N A J J I A L L O u S H

# الأفعال الشعرية

# ناجي علوش

الاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين

# الأفعال الشعرية

ناجي علوش

# الأفعال الشعرية

ناجي علوش

# ناجي علّوش:
# راهبُ الحياةِ وهو يحتضنُ راهبَ النضال
# يمارسُ السياسةَ كرديفٍ لشفافيةِ الشعر

## وليد أبو بكر

كيف يمكن تلخيص كلّ هذا الأفق الواسع في كلمات؟ كيف يمكن أن يجمع البحر في وعاء صغير، وهو أفق لا يكفي مداد البحر له مدادا؟ كيف يمكن الحديث عن تاريخ من الفكر والنضال والشعر، والحسّ الإنساني الفائق، في صفحات قليلة، تعجز عن القول حين يحين وقته، ويسبق عيُّها فصاحتَها من قبل أن تبدأ؟

هذا ما شعرت به وأنا أقدّم لأعمال ناجي علّوش الشعرية الكاملة، حزيناً بأنني لا أستطيع أن أفي صاحبها (كإنسان وكمناضل وكشاعر معا) حقاً واجباً، وسعيداً بأنني سأقول فيه كلمة مكتوبة، ما توقف قط تردّدها على شفتيّ، وعلى شفتي كلّ من عرفه عن قرب، لكن دون تدوين.

بدأ ذلك منذ اقتربت منه شخصيّا، أوائل ستينيات القرن العشرين، اقترابا مكّن نظرتي إليه من أن تبقى كما ولدت في الانطباع الأول: هو رجل ينسى نفسه وهو يكرّس كلّ جهده للآخرين، جماعاتٍ وأفراداً، قريبين وبعيدين، بشكل لا يمكن أن يوصف إلا بأنه فوق طبيعة الإنسانِ العاديّ.

وناجي علّوش، بكلّ المقاييس التي نعرفها، ليس إنساناً عاديا. إنه رجل استثنائي في قدرته على العطاء، وفي اتساع مجالات عطائه، واتساع مجالات المعرفة والإبداع لديه، بالفعل وبالكلمة، وفي مساحات الذوق الإنسانيّ أيضاً، إلى الحدّ الذي يمكن أن

يوصف فيه بأنه اختار أن يكون زاهداً في كلّ شيء، ليتفرّغ لمهمات وطنية وإنسانية متشابكة، تعني في مجملها: نبع من العطاء لا يجفّ له مصدر.

سوف أزعم أنني عرفت ناجي علّوش في كلّ مجال ممكنٍ من المجالات الواسعة التي كرّس حياته لها: عرفته مفكّراً سياسيّا منذ البداية، وربما كان رائداً أولَ في دراسة تاريخ الانتفاضات الشعبيّة في فلسطين، منذ بدأ يتلمس عمق المأساة التي يعيشها الشعب الذي ينتمي إليه. كان حافزه الذي تواصل، ما يراه من علاقة تربط الواقع الذي يعيش، بالكلّي القوميّ، أو الوطنيّ. وعبّر عن ذلك ممارسة فعلية وكتابة فكرية وشعرية، حتى خيل لمن يعرفه أن قياسه للناس ينحصر في وطنيتهم، وفي ما يفعلونه من خلال ذلك، دون أن يحاصرهم في إطار مغلق. وهو لا يختلف مع أحد، إلا إذا شعر بأن توجّهه يغيّب ما هو وطنيّ، أو يضعه في المقام التالي لما هو شخصيّ، لأنه يرى في ذلك انحرافا صغيراً سوف يقود بالضرورة إلى انحراف أكبر.

من هنا بدأ خلافه مع الذين اختار العمل معهم، انطلاقاً من نقطة تشكّل الأساس في كل ما يفعل: الوطن الذي غادره في شبابه مضطرا. وإذا كانت القومية هاجسه الأول، والوحدة هي القناعة التي تقود إلى ما يتطلّع إليه من تحرّر وطنيّ وسياسيّ واجتماعيّ، إلا أن الانتماء إليها ظلّ لديه مشروطا بأمرين: الأول هو العمل المخلص من أجل تحقيق طموحات الفكرة، والثاني هو أن تظلّ إنسانية، تتّسع لكلّ أفق يعمل تحت خيمتها، ولا يخون، وترفض أية وسيلة ترضى بامتهان الإنسان، على المستوى الفرديّ والجمعيّ معا. ولعل خلافاته السياسية المتعدّدة جميعا تنطلق من فكرة أساسية في حياته: قدسيّة الإنسان جزء من قدسية الوطن.

ولم يكن هذا الإيمان قاصرا على الموقف السياسيّ الذي بدأ قوميا واستمرّ، وإن

تعدّدت بعد ذلك سبل التعبير عنه؛ بل كان ينسحب أيضا على ما بناه ناجي علّوش من علاقات إنسانية، تستند إلى الحسّ الوطني في كلّ تفاصيلها. وقد رأيته، ربما أوّل ما رأيته في موقفٍ سياسيّ، يناقش المرحوم أحمد الشقيريّ في موضوع إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية، عندما زار الأخير الكويت، مستطلعاً آراء النخبة الفلسطينية هناك. وحين تحدّثنا بعد ذلك، أدركت أنه يعتقد بأن عملاً يرتبط بمحدّدات من أيّ نوع، لا يليق بفلسطين.

ربما كان ذلك هو الدافع الذي جعله يهجر عمله المستقرّ في الكويت، ليذهب إلى لبنان، مقترباً من فلسطين، وليبدأ عملا قوميا في دار نشر قومية (الطليعة) يرى أنه سوف يخدم وطنه من خلالها، بمزيد من الدراسة والبحث، وتشجيع الفكر القوميّ. وهناك أخذ يستكمل أبحاثه السياسية والثورية، ويفتح الأبواب واسعة لكلّ فكر قوميّ وتقدميّ، ثمّ يتجه إضافة إلى ذلك إلى الفعل الثوريّ ذاته، من خلال الانتماء الذي اقتنع به طريقا للكفاح المسلّح في سبيل تحرير الوطن، دون أن يسقط من حسابه، لحظة واحدة، ذلك السلوك الإنساني النبيل تجاه الناس الذين يرتبط بهم، ويرى في ما يفعلون جزءاً من كفاحه.

وربما كانت رؤيته مثل أب حانٍ على شاعر كبير، شاعريّة وشهرة وسنّاً، هو بدر شاكر السيّاب، من أسباب الاقتناع العميق بأن الأولوية عنده ظلت للإنسان. كنت هناك وأنا أرى ذلك القوميّ الشابّ المليء بالحيوية والأمل، يكاد يكون أقرب أهل السيّاب إليه، وأكثر الناس معرفة بقيمة الشاعر والشعر. لذلك استمرّ في رعايته في أحد مستشفيات الكويت، بعد أن ضاق على الشاعر الكبير وطنه، وراح يودّع الحياة وحيداً إلا من ناجي علّوش، ومن جمعهم حوله ممن يؤمنون بالشعر وبالإنسان، ويؤمنون بالوطنية.

كان علّوش في موقفه من السيّاب، يمارس فعلاً شعريّا وإنسانياً أصيلا، حتى ولو لم يكن ممن يكتبون الشعر قط، مع أنه كان يكتبه، دون استعراض أو ادعاء. ولا أنسى انشغاله ولهفته وهو يجمع (مع الشاعر الكويتي القوميّ علي السبتي) ما لم ينشر من شعر السيّاب، ولا تلك اللحظة التي تنفّس فيها الصعداء حين شعر بأنه استكمل مهمته في الجمع، وشرع في الإشراف على إصدار الديوان الذي حمل عنوان (إقبال)، والذي كانت له مهمّتان إنسانيتان تماما: الأولى ألا يضيع شيء مما كتبه السيّاب في مرضه الأخير، بين أيدي من كانوا يزورونه، على قلّتهم، (وناجي علّوش أكثرهم تردّدا، وأكثرهم وفاء)؛ والثاني هو أن يكون ديوان الشاعر الذي اعتبر الأخير اعتذاراً من الشاعر لزوجته، عن قصيدة سابقة، لا بأن يحمل اسم الزوجة وحسب، وإنما بقصيدة موجّهة إليها: أحبيني!

وما يعرفه ناجي علّوش أو يمكن أن يروى عما يعرفه، يصعب حصره. وإذا كان عرف كمناضل عنيد، وكمفكّر سياسيّ ملتزم، وكفاعل مؤسس في الحياة السياسية الفلسطينية والعربية، فإن هذا الانشغال طغى - خارج ذاته - على انتمائه إلى الشعر، الذي بدأ معه منذ مطلع شبابه، خصوصا وأنّ معظم شعره مكرّس لاهتمامه الذي شغل حيّز تفكيره كاملا: قضية وطنه الصغير المحتلّ، الذي لا يستطيع أن يعود إليه، إلا من خلال ذاكرة تسجّل التفاصيل الصغيرة والكبيرة فيه بأسى كبير، وبأمل لا ينتهي، دون أن يغيب عن باله أن هذا الوطن جزء من أمته الكبيرة، وأنه جزء من مسؤوليتها أيضا؛ فناجي علوش شاعراً لم ينفصل عن ناجي علوش سياسيّاً، وهو لم يعش أي نوع من الازدواجية بين ما يؤمن به وما يفعله، رغم صعوبة هذه الوحدة الذاتية في أزمنة الانفصام الفلسطينية والعربية التي شهدها، وحافظ على توازنه خلالها.

إن الذين تعاملوا مع ناجي علّوش حزبيّا، في أول انتماء له إلى حزب البعث (وكان له وجوده الفاعل ورموزه الشهيرة، في رام الله، حيث درس ونشأ، مع منتصف القرن العشرين)، ثمّ في انتمائه إلى حركة فتح، مع بدايات تأسيسها، وإلى غيرها مما يقع في الإطار الوطنيّ ذاته بعد ذلك، نظروا إليه كسياسيّ مفكّر وشاعر، لكن الواقع الذي أستطيع أن ألمسه، من خلاصة معرفتي الشخصيّة بناجي علّوش، منذ عملنا قليلاً في مجلة "أضواء المدينة" في الكويت (التي كان يصدرها مسؤول حزب البعث هناك، بعد أن ترك "الرسالة"، صحيفته الأولى)، اتصالا إلى بيروت ودمشق وعمّان، وصولاً إلى آخر الزيارات المفعمة بالشجن، هو: ناجي علّوش شاعر أخذته السياسة من شعره، ثمّ خذلته، رغم صموده الذي جرّ عليه كثيراً من الآلام. وقد أثّرت السياسة سلبا على شاعريته التي لم يولِها ما تستحقّ من عناية، رغم أهميّة ما أنجز، مقارنة بما فعل الذين تفرّغوا للشعر، وكان بإمكانها أن توصله إلى موقع أوّلَ وسطَ شعراء جيله، بسبب عمق انتمائه من ناحية، وميله إلى الحداثة، في الفكر عموما، من ناحية ثانية، وإتقانه للغته العربية إتقانا يحسده عليه المختصّون، من ناحية ثالثة.

إن المواقف التي اتخذها ناجي علّوش في حياته السياسية والحزبية لا تشير إلى سياسيّ محترف، بل إلى شاعر حقيقيّ يتعاطى السياسة. إن أبرز سماته تبدأ من الصدق مع الذات ومع الآخرين، وهي سمة لا بدّ وأن يكون لها ثمن، خصوصا إذا رافقتها الصراحة التي تجرّ كثيرا من العداء السياسيّ، ومواجهة المواقف بما يليق بها من شجاعة، دون خوف أو تلوّن، أو انحناء أمام عواصف عاتية، قد تهدّد بكلّ أنواع العذاب، بما في ذلك الموت، وهو الفعل الذي استنكره كثيرا، ومع ذلك طال بعضَ من رثاهم في شعره. ولا شكّ في أن مثل هذه السمات الثابتة في كلّ الأحوال،

تظلّ بعيدة عن سمة السياسيّ، وتكون أكثر التصاقاً بمزاج الشاعر، خصوصا حين لا يكون شعره وسيلة تكسّب من أيّ نوع.

ولأنه ينتسب إلى الشعر، فقد كان ناجي علّوش حداثياً واسع الأفق في توجهاته، خصوصا عندما لا يلمس ما يمكن أن يمسّ الإيمان القومي المطلق. وعندما كان في رام الله، في مطلع الشباب، كانت إرهاصات الشعر الحديث قد أخذت تتنفس فيها. وفي ذلك الوقت، غلب عليه الاحتكاك بالروّاد المحليين لهذا الشعر، على بساطة ما ينتجون، إلا أنه لم ينحز إلى هذا السبيل، (وذلك ما فعله أمين شنار، من أشهر الشعراء في حينه، وكانت له توجّهات دينية)، ربما من باب التأمل والحذر، بهدف التأكد من عدم خروج الشعر عن السياق القوميّ من ناحيته، أو الإسلاميّ من ناحية زميله.

لكن العقل المنفتح لناجي علّوش جعله يسرع إلى تقبّل هذه الحركة الحداثيّة الوليدة في حينه، والتي اكتشف أنها تحمل صفة الحرية دون أن تتخلى عن أصولها. جاء ذلك متزامناً مع وصوله إلى الكويت، بعد منتصف الخمسينيات، وهناك هيّئ له جوّ من الاحتكاك بأدباء لهم تجربة شعرية ثرية وممتدة، خصوصا من العراق ومن مصر. وفي هذا الوقت المبكّر بدأ ناجي علّوش ينتمي إلى الشعر الحديث، ما يمكن أن يصنّفه كواحد من روّاده في الوطن العربي، بعد أن سبق في كتابته كثيرين ممن صاروا مشاهير فيه. ولعلّني أقصد أن أقفز عن كثير من المقدّمات، حين أشير إلى إن مؤتمر الأدباء العرب في الكويت، أواخر الخمسينيات، وبعد ثورة تموز العراقية، الذي يعتبر أشهر مؤتمرات العرب الأدبية على الإطلاق، كان علامة فارقة في حياة الأدب العربيّ، ومن ضمنه الشعر الحديث، أو الحرّ، ما جعل الانحياز إليه جزءاً من الفكرة العربية التقدميّة.

هذه الفكرة، إضافة إلى الروح الإنسانيّة التي يتمتع بها ناجي علّوش، كانت وراء

الاهتمام بالسيّاب وشعره، وهو ما صار بعد ذلك سنّة لديه، انسحبت على عدد لا يحصى من الذين عرفوه، في مواقعه السياسية المتقدّمة، وخصوصا في موقعه الأدبيّ المتقدّم، كمؤسس للاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين، وكأمين عام له حتى مؤتمره العامّ ١٩٨٠، الذي لم يكن جزءاً منه، بسبب خلافاته مع حركته، وانسحابه منها، وارتباطه بغيرها، وتعرّضه لكثير من التهديد، واضطراره إلى الترحال المعنويّ والماديّ، وكان وراء ذلك كله سبب يتصل بطبيعة ناجي علوش التي لا تفارقه: انحياز إلى قيمة الإنسان، ورفض للتفريط بهذه القيمة، مهما كان رأي الإنسان مخالفا، في الحدود الوطنية العامة.

وإذا كانت الانتقالات السياسية في حياة ناجي علّوش كثيرة، وكان آخرها أنه أسس حزبا قوميا، إلا أن أيّ انحراف عن الإيمان القوميّ لم يسجّل عليه، بل يمكن القول إن القومية عنده باتت فكرة شاعرية، هي التي عبّر عنها في شعره كله، دون أن يخرج عن حدود الالتزام بها، حتى وهو يرثي أو يتأمل في الطبيعة، أو يخاطب امرأة أحبّ، لأن ناجي علّوش منذ لحظة تفتّح الوعي لديه، دخل حالة من الرهبنة القوميّة الإنسانية، ولم يخرج منها.

هذه الرهبنة كانت إحدى سمات شعره، وتشكلت من مجموعة هواجس متصلة بالشعر، إلى جانب مجموعة من نقائضها الحادّة التي تحول دون تحقيق الطموح، وتستلزم مواجهة صلبة.

كانت الغربة هي الهاجس الأول الذي حمله شعر ناجي علّوش طيلة الوقت، وهي غربة عاشها في وطن عربيّ يشعره بأنه غريب، يطارده إن لم يطرده. ومع أنها غربة محكومة بحتمية الإيمان بالعودة، إلا أن عوامل إعاقة هذه العودة هي التي تشكّل لدى الشاعر مأزق حياته، إلى الحدّ الذي يحسد فيها الطير على جناحيه.

ومع قسوة المشاعر التي تخلفها الغربة، كان الهاجس الثاني، الذي يخلق الأمل والعمل في سبيل العودة هو الحسّ القومي، وطموحه في الوحدة. ومع ذلك فإن الواقع الذي يلمسه الشعر يمزّق القلب، لأن الفرسان فيه يهزمون دون قتال، ولأن العسس والقتلة هم الذين يسوسون هذا الواقع، ويطعمونه بجراح تفجرها جراح، فهل يكتفي الشاعر بالقول إننا "نجمع الحزن إلى الحزن" ونسكت، أم يبقى أمله مركزا على مفتاح الأمل، ومفجر الثورة: الجماهير؟

في شعر ناجي علوش مجموعة من الإشارات المباشرة جدا إلى فعل الجماهير، وهي تبرز أكثر ما تبرز في الحديث عن الثورات (من الجزائر إلى كوبا وفيتنام) والمقاومة. لكنّ هذه الإشارات تتحول إلى رموز شفافة مع تقدّم الأداة الشعرية لدى الشاعر، ومن يبرز رمزان متلازمان يتعامل معهما الشاعر بشغف كبير: المهرة التي لا تكون إلا لمن يستحقها، والفارس الذي لا يساوم.

هذا الفارس الشجاع، صاحب الكلمة التي لا تتحوّل، هو الذي يشكل مثال الإنسان لدى ناجي علوش في شعره. وإذا كان شاعرا يحمل الصفتين، مثل أبي الطيب المتنبي، بات قريبا من ناجي علوش منذ مطلع شبابه، بشعره وحياته المغامرة أيضا، فيمكن القول إنه هو الذي خلق لديه طموحا في الشعر وفي الفروسية بمعناها النضاليّ الحديث أيضا، إلى الحدّ الذي يمكن معه اعتبار قصيدته "محاورة مع أبي الطيب المتنبي" ـ في مجموعته الأخيرة ـ سيرة ذاتية للشاعر القديم، موازية لسيرة الشاعر الحديث، خطوة بعد خطوة، ما جعل هذه القصيدة "درّة" شعره كله، حسب تعبير نقديّ عربيّ قديم:

يا أيّها الوطنُ المسافرُ في الجبالِ

وفي السهولِ، وفي الهضابِ، وفي الصحاري

يا أيّها الوطنُ المعزّزُ بالمحيطاتِ الفسيحةِ والبحارِ

طوّفتُ فيكَ من الطفولةِ غيرَ أنّي لمْ أسافرْ بعدُ

ذاكَ النيلُ يدعوني وتلكَ شوامخُ الأوراسِ

هل يمتدُّ عمري كي أغوصَ إلى منابعِكَ السخيّة؟

.....

عفواً أخا الفلواتِ لا تأخذْكَ لحظتُكَ الشجيّة

فالنيلُ يحملُ سرّهَ الأزليَّ للمدنِ الكبيرةِ والدساكرِ والفيافي

والنيلُ يطرقُ خُضرةَ الرملِ المعذّبِ، لا يُراوغُ أو يُجافي

والنيلُ يأخذُهُ انقباضٌ ثمّ يأخذهُ اتساعُ

لكنّهُ يجري بصدقٍ لا يُخلُّ به انقطاعُ

سوف يشعر قارئ شعر ناجي علّوش بثبات على المبدأ لا يتحوّل، وهو ثبات يصعب أن يلاحظ في شعر غيره، حتى ممن تأثّر بهم، ورغم ذلك، سوف يلاحظ قارئ الأعمال الكاملة أيضا تصاعداً في الطاقة الشعرية، وفي القدرة على التعبير الشعريّ، ما يعني فعلاً حقيقيا في تطوير الملكة الشعرية التي كان يمكن أن تكون أكثر اتساعا، لو أن السياسة والعمل الحزبيّ لم يسرقا صاحبها من عالم مثاليّ، التزم به في حياته، كما التزم به في كلماته، هو عالم ليس له ما يمكن أن يسمّى به، سوى الشعر.

# بورتريه الشاعر الفارس:

# ناجي علوش[1]

ولد ناجي علوش العام ١٩٣٥ في بلدة بيرزيت الواقعة على أحد المرتفعات الجبلية في منتصف المسافة بين القدس ونابلس، والتي تبعد عن رام الله مسافة سبعة كيلومترات إلى الشمال. وقد تلقى دراسته الابتدائية في مدرسة بيرزيت الأهلية التابعة لطائفة اللاتين. ودراسته الثانوية في الكلية الأهلية في رام الله.

بدأ اهتمامه بالشعر منذ أن كان طالباً في المدرسة فكتب مجموعة أشعار وهو في السادسة عشرة من عمره جعل عنوانها: "برعم الزهر- من بواكير العبر "وهي عبارة عن مجموعة أشعار وطنية وغزلية حسب ميزان الشعر التقليدي.

كانت ميول ناجي علوش في المدرسة أدبية سياسية، وكانت تكاليف الدراسة في ذلك الوقت عبئاً على والده المزارع الفقير، ذلك أنه كان يتعلم في المدرسة إلى جانب أخيه جميل وأخته ميّ الأصغر منه، وقد حصل أنه أخفق في النجاح في إحدى المواد العلمية ذات سنة وكان عليه أن يعمل امتحانا ملحقا مما أغضب والده الذي اشترى له حطة وعقالاً وديماية (قمبازا) وقال له: هذه هي الأرض وها هو الرزق. طبعاً رفض ناجي ونجح بعد ذلك في امتحان الإكمال، وما كنا لنستشهد بهذه النادرة إلا لنبين مدى قسوة الظروف التي تعلم فيها، ومدى حاجة المزارع إلى العمل في الأرض وكسب الرزق.

وكان للأستاذ جميل الفاخوري، مدرس اللغة العربية في مدرسة اللاتين الأهلية في بيرزيت تأثير كبير في اهتمام ناجي علوش بالشعر والأدب[2]، فقد كان ذلك المعلم بتميز بأسلوب عظيم التأثير. كما كان للأستاذ أبو بكر النمري، مدرس اللغة العربية في الكلية

---

١ . راجع كتاب أعلام من أرض السلام، تاليف عرفات سعيد أبو حمد الهواري. رقم ١٤٠٩صفحة ٤٤٦، شركة الأبحاث العلمية والعملية/ جامعة حيفا ١٩٧٩.

٢ . راجع مقدمة ديوان "النوافذ التي تفتحها القنابل" لناجي علوش، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيرزيت.

الأهلية في رام الله تأثيره، أيضاً.

بعد أن تخرج ناجي علوش من المدرسة وبعد حصوله على شهادة المترك العام ١٩٥٥، اشتغل مدرساً في بلدة الفحيص شرق الأردن لعدة أشهر بدأ خلالها نشاطه–الأدبي وأخذ يكتب في مجلة الآداب البيروتية[٣]، وقد انضم آنذاك إلى حزب البعث وكان من النشيطين سياسياً ما اضطره إلى ترك البلاد بعد سلسلة من المظاهرات والاعتقالات التي عصفت بالبلاد في أعقاب طرد كلوب باشا واتفاق حلف بغداد فسافر العام ١٩٥٦ إلى الكويت وكان ممن استقبلوه واحتضنوه هناك أصدقاؤه هاشم وعز الدين وعوني أبناء الشيخ عبد المحسن فرسخ الذين كانوا قد سبقوه إلى هناك، وهم أيضاً، من أبناء بيرزيت المغتربين.

وفي الكويت عمل في مستودعات الأدوية التابعة لوزارة الصحة عدة أعوام وثّق خلالها علاقاته مع الوطنيين الكويتيين وكاد يطرد من الكويت بسبب نشاطاته، وعمل مدير تحرير لصحيفة "أضواء المدينة" مدة من الزمن حتى العام ١٩٦٤.

انتقل العام ١٩٦٤ إلى بيروت وسكن في حيّ عين الرمانة وعمل آنذاك في دار الطليعة للطباعة والنشر مديراً للتحرير حتى العام ١٩٦٩ كان خلالها قد نشر عدة كتب منها "الثوري العربي المعاصر" و "المسيرة إلى فلسطين" و "الثورة.. والجماهير". وكان من أوائل المنضمّين إلى حركة فتح منذ وصوله بيروت واضطر العام ١٩٦٩ أن ينتقل إلى عمان فسكن في جبل اللويبدة وكان نشاطه بارزاً وجهوده ملحوظة سواء على الساحة الأدبية أو الساحة التنظيمية وكانت تقف إلى جانبه وتسانده وتعمل معه زوجته سميرة شفيق وقد أخذت دورها هي أيضاً، في النضال على مستوى التنظيمات الشعبية في الأردن خلال العام ١٩٦٩/١٩٧٠.

---

٣ . راجع مجلة الآداب عدد تشرين ثاني ١٩٥٥، مقال بقلم ناجي علوش بعنوان: الأممية ذلك الصنم..العروبة.. أولاً..صفحة ٦٤، ورسالة الأستاذ رئيف خوري حول الجزائر عنوان: صندوق بريد "مجلة الآداب، عدد أيار ١٩٥٧، صفحة ١٠٦.

وفي العام ١٩٧١ عاد إلى بيروت لكي يمارس عمله من جديد في دار الطليعة للطباعة والنشر، بالإضافة إلى تحرير مجلة دراسات عربية البيروتية التي كانت منبراً للتعبير عن فكره[٤] السياسي طوال فترة وجوده في بيروت. وأخذ يطالب حركة فتح بتقييم ما حدث في الأردن ومراجعة الأحداث بصورة شاملة وتحديد المسؤوليات فلم يجد أذناً صاغية وكان في ذلك العام (١٩٧٠) قد انتخب عضواً في المجلس الثوري لحركة فتح.

العام ١٩٧٢ انتخب أميناً عاماً لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين. وقد حصل على أعلى الأصوات .

وفي العام ١٩٧٨ انتخب مرة أخرى رئيساً للاتحاد في انتخابات جرت في تونس وبقي حتى عام ١٩٨٠ يقود مسيرة الاتحاد.[٥] رافعاً شعار عدم مهادنة الاستعمار والإمبريالية وعدم التفريط بالحقوق الفلسطينية.[٦] وكان موقعه مؤثراً في القيادة الفلسطينية بسبب جمعه بين رئاسة اتحاد الكتاب وعضوية المجلس الثوري.[٧] وحدثت خلافات في الرأي بينه وبين رئيس المنظمة ياسر عرفات بسبب معارضته لفكرة السلطة الوطنية في العام ١٩٧٣ وذلك لأول مرة في مؤتمر اتحاد الطلاب الفلسطينيين المنعقد في الجزائر . وقد أدى نجاح صيغة المشروع التي قدّمها كمشروع قرار للاتحاد إلى استدعائه ومحاولة اعتقاله ما أثار موجة سخط في المخيمات وبين الكوادر الفلسطينية وكانت النتيجة إطلاق سراحه.

---

٤ . راجع مجلة دراسات عربية، السنة الثانية، العدد ١، تشرين الثاني ١٩٦٥.

٥ . جريدة القدس ٣٣/١١/ ١٩٧٧ الصفحة الأولى، السكرتارية العامة الجديدة لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين، تم انتخابها في ختام المؤتمر الثاني لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين وتضم كلا من خالد أبو ورشاد أبو شارو وبسام أبو شريف وجميل هلال وعلي إسحق وهاني مندس والدكتور سعيد حمود وبلال الحسن وزياد عبد الفتاح ومعن بشور بالإضافة إلى رئيسه ناجي علوش.

٦ . راجع مقابلة صحفية مع ناجي علوش، جريدة الفجر المقدسية ١٩٧٧/١٠/٨٨، ١٩٧٧/١٠/١٠، تحت عنوان: ناجي علوش: ننبه إلى خطورة المؤامرة.. وندعو كافة الوطنيين للوحدة، الصفحة الثالثة. راجع أيضاً، الصفحة الأدبية، جريدة الفجر المقدسية ١٩٧٨/٩٩/٦٦، تحت زاوية لمحات في النقد، حوار مفتوح حول الآداب والفن: التقليد حرم الأدب من القدرة على التجديد.. الكاتب ناجي علوش.

٧ . راجع جريدة الميثاق، ١٩٨٩/١٢/١٠ ما الذي يجري في فتح صفحة ٣٣.

وفي العام ١٩٧٨ عارض ناجي علوش ومجموعة أخرى من القياديين قرار وقف إطلاق النار مع إسرائيل في الجنوب اللبناني، كما عارض اغتيال علي أحمد سالم وأحد رفاقه، وهم من كبار قادة معركة تل الزعتر. وقال في خطاب له في جامعة بيروت العربية في ذكرى استشهاد غسان كنفاني العام ١٩٧٨ إنه يعارض القتل جميع أنواع القتل ومن ضمن ذلك اغتيال علي أحمد سالم ورفيقه في الدامور. وكان من نتيجة ذلك أن تعرض لهجوم واسع ومحاولة تصفية جسدية.[٨]

وفي بغداد استلم ناجي علوش تنظيم فتح حيث كان صبري البنّا (أبو نضال) مريضاً في أحد المستشفيات من أجل العلاج وقد أحدث ناجي تغييرا جوهرياً في فكر كوادر الحركة في العراق خاصة فيما يتعلق بالاغتيالات السياسية ضد القادة والمسؤولين الفلسطينيين. ولما خرج أبو نضال من المستشفى وجد أن الواقع قد تغير ووقع خلاف بين الرجلين أدى إلى اعتصام السياسيين ومعهم ناجي علوش في المكاتب.[٩]

وبعد اندلاع الحرب العراقية الإيرانية ووقوف هؤلاء ضد استمرارها اضطروا إلى الخروج من بغداد إلى دمشق. فقد انتقل ناجي علوش إلى دمشق العام ١٩٨١. وكان قبل خروجه من بغداد يعد للإعلان عن حزب عربي وعن حركة تحرير باسم حركة التحرير الشعبية العربية وقد تم له ذلك، وهو الآن الأمين العام لهذه الحركة[١٠].

---

٨ . راجع جريدة القدس ١٩٧٩/٥/١ صفحة ٤ تحت عنوان نبأ عن انشقاق في مجموعة أبو نضال بزعامة ناجي علوش الرجل الثاني في الحركة.

٩ . راجع جريدة القدس، ١٩٧٩/١٢/٢١ تحت عنوان نجاح الوساطة-بقية.

١٠ . بدر شاكر السياب -دراسة، دار الأسوار عكا ١٩٧٧.

## حياته العائلية:

ذكرنا أن الظروف التي نشأ فيها ناجي علوش كانت ظروفاً اجتماعية واقتصادية قاسية، تواكبت مع الحقبة الأخيرة لعهد الانتداب البريطاني فمن إضراب العام ١٩٣٦ إلى ثورة عارمة شملت جميع أنحاء البلاد (٣٩-٣٦) إلى الجهاد المقدس (١٩٤٧) كل ذلك حدث أمام عيونه وهي تتفتح لترى الدنيا. وكان ناجي ثاني مولود ذكر لوالده إبراهيم علوش لكنه ولد بعد وفاة الطفل الأول فأخذ اسمه، ولذلك فناجي أكبر إخوته الذكور، عندما تخرج من المدرسة الثانوية-الكلية الأهلية برام الله- كان والده ينتظر مساعدته له والمساهمة في إعالة عائلة مكونة من تسعة أفراد. ووجد ناجي والده مكبلا بالديون عند تخرجه من المدرسة، وأنه قد رهن قسماً من أراضيه من أجل تعليم أولاده، فكان يتحمل مسؤولية كبيرة في إنقاذ الأسرة مدة من الزمن وحتى بداية الستينات وتخرج أخيه جميل وأخته ميّ من المدرسة.

لم يكن ناجي وحيداً في حبه للشعر والأدب فقد نشأ أخوته في الظروف نفسها ومشوا على الطريق نفسه غير بأنه كان يتميز عنهم أنه مزج الأدب بالسياسة فقد كان مفكرا وسياسياً، أيضاً. ولم يكن هذا من قبيل الصدفة فوالده إبراهيم علوش كان راوية للقصص الشعبية وللأشعار والنوادر والتاريخ، وكان يسجل الأحداث في مفكرته الخاصة ويحتفظ بالجرائد والمجلات منذ صغر سنه فلا غرو إذن أن يلعب دوراً كبيرا في تثقيف أولاده.

يقول الشاعر الراحل جميل علوش- دكتور في الأدب العربي خريج الجامعة اليسوعية في بيروت- كان ناجي متقدماً عن سنه في التفكير عشر سنوات. كان تقدمياً في أفكاره تحرريا في نظرته للمرأة وقد جعل سبيله للوصول إلى سلم

المجد محبة الآخرين ونكران الذات.

قال له أحد زملائه في مجلة دراسات عربية التي تصدر في بيروت إنني أتعجب منك كيف تنشر مقالاً لشخص ينتقدك إلى درجة التجريح، وقد كان ناجي محرراً لمجلة دراسات عربية وكان صدره يتسع لنشر الأفكار المخالفة لرأيه دون تردد.

أما في حياته اليومية فقد كان يبتعد عن حياة الترف، كان يمتنع عن شرب المشروبات الروحية وعن القهوة والدخان وحتى المشروبات الغازية. وقد حدث أن دُعي في الكويت إلى مائدة أحد الكويتيين، وشرب الجميع ما تيسر من المشروبات وأما هو فرفض، عندئذ قال أحد الكويتيين: إنه مسلم سني!!

كان ناجي يوجه عنايته الخاصة إلى أخته الصغرى مي التي كانت قد بدأت تجربتها الشعرية. وكانت مي ترى فيه مثلاً أعلى للفكر والحرية وللإنسان. حتى إن ناجي جعل عنوان مجموعته الشعرية الأولى "هدية صغيرة" وهو عنوان قصيدة موجهة إلى أخته يقول فيها:

أواه كَمْ أودُّ أنْ أراكِ
أنْ تَضُمَّنِي عَيْناكِ
أنْ أعُود
وَفِي يَدَيَّ بَعْضُ مَا جَنَيْتُ
مِنْ مَجَاهِلِ الوُجُود
هَدِيةٌ صَغِيَرةٌ لِقَلْبِكِ الوَدُود

وشاءت الظروف أن يتعرف ناجي علوش إلى سميرة شفيق الفتاة التي كانت معلمة في مدرسة طاليتا قومي في بيت جالا مع مي علوش. وتزوجها العام ١٩٦٢ وانخرطت معه في العمل السياسي والتنظيمي، ولم يكن لديه شيء يقدمه لها في غمرة أحداث المقاومة الفلسطينية في عمان وسوريا ولبنان إلا بعض أبيات الشعر جعلها في مقدمة مجموعة أشعاره يقول فيها:

غَيْري يُمنّي مَنْ يُحِبُّ بِالنُّجُوم
غَيْري يُمَنّي مَنْ يُحِبُّ بِاللؤْلؤ والمُرجَان
أمّا أنا فَلَيْسَ عِنْدِي غَيْرُ بَعْضِ الشّعر
هذا الذي لَدَيَّ
فَهَلْ تُرَاهُ يَسْتَحقُّ الذّكر؟

وخلال وجوده في الكويت توفيت والدته بينما كان عمرها خمسين عاماً ولم يستطع أن يحضر مراسم دفنها فعزّ عليه فراقها وحزن أشد الحزن وعبر عن مشاعره هذه شعراً ووجه إلى والدته قصيدة رثاء سماها "سيدة البستان" قال فيها:

"إلى أمي التي فارقتها منذ سبع سنوات على أمل لقاء في ظلال الجوزة الخضراء، ولكن الخبر جاءني ليلة الثالث من شباط ١٩٦٣ بأن الفراق أصبح أبدياً.

الجَوْزَةُ الخَضْرَاءُ
تَهُزّها الرياح، والمَطَر

يَنَثُرُ ما أبقى لهيب الصّيْفِ مِن أورَاقِها
وأنتِ تَرقُدينَ في التُّرابِ، والصّقِيع
يُجَمِّدُ الدُّمُوعَ في آماقِها

ومن الكويت إلى عمان ومن عمان إلى بيروت ومن بيروت إلى دمشق وصنعاء. كان ناجي علوش يتنقل بين العواصم العربية وكان والده يترقب أخباره ويسأل المسافر والقادم أن يزوده عن أخباره. وتوفي إبراهيم علوش فتأثر ناجي كثيرا وتذكر أن عنوانه محفور على أشجار بيرزيت فكتب مراثيه لوالده واصفا لحظة وداعه وفراقه يقول:

سَلَامَا أيُّها المُشحُونُ بِالأشعَارِ
والأَخْبَار
سَلَامَا أيُّها المَطْحُون فِي الأَحْجَار
والمَسْكُونُ بِالأشْجَار
والمَعْجُونُ بِالتُّرْبَة
لِماذَا تُنْشِدُ الغُرْبَة
وَلَمْ تَتَعَلَّمِ الأسْفَار
مُنْذُ نُعُومةِ الأظْفَار
عَرَفْتُكَ لا تَرَى أزكَى
مِنَ النَّسَمَاتِ فِي الخِرْبَة

ولا أنْقَى مِنَ الماءِ الذي يَنْسَابُ

من هَضَبَاتِ عَيْنِ القَوسِ

أو رَبَواتِ عَيْنِ المرْجِ

ولا أشْهَى مِن العِنَبِ الذي زرّعتَ

والتّين الذي رَعْرَعْتَ

والزّيتِ الذي عَصَّرتَ

مِنْ زَيْتُونِكَ الدّهْرِي في جَبّور

وَلَا أمْرَا مِن العَدَسَاتِ والبَصَلاتِ والجَرْجِيرِ

والعَكّوبِ والزَّعْتَر

وَلَا أحْلَى مِن الشُّوَباشِ حِينَ يُلَعلِعُ المُوزَر

وَلَا أغلَى مِنَ الصُّحبَة

فَكْيفَ تُرَى تُخَلّفُ رَوْعَةَ النّوْارِ في أيّار[1]

وَكَيْفَ تُرَى تُخلي الدّار؟

وُكَيْفَ تُفَارِقُ البُسّتَانَ

والخِلّانَ

والأحَزانَ

يَا مُسْتَودَعَ الأحْزَان؟

---

١ . مات الوالد في العام ١٩٨١.

## علاقاته:

قد لا يكون الحديث عن علاقاته مع الأدباء، والكتاب منذ نشأته دقيقا: لأنه كان يتنقل من بلاد إلى أخرى خارج الوطن، وأن ما سأكتبه هنا يعبر عن معرفتي الشخصية أو عن معلومات استقيتها من الآخرين.

لقد بدأ نشأته الأدبية على يد الأستاذ جميل فاخوري في مدرسة بيرزيت الأهلية ثم الأستاذ أبو بكر النمري في الكلية الأهلية في رام الله. غير أنه أنشأ مجموعة علاقات مع أدباء وشعراء من أبناء جيله أعرف منهم المرحوم راضي صدوق من منطقة طولكرم والمرحوم توفيق صرداوي من سردا* قرب بيرزيت أما بعد سفره إلى الكويت فقد أرسى علاقات المودة مع الشاعر المصري فاروق شوشة والشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي وساهم مساهمة فعالة في نشر أشعار بدر شاكر السياب[١١] وكان إلى جانبه في سني مرضه وآخر أيام حياته، وكتب سيرته الشخصية وكان له دور رائد في مدِّ يد العون إلى الشعراء الشباب عبر ثلاثين عاما مضت ومن الأمثلة على ذلك الشاعر أحمد دحبور، كما كان له أثر في تنمية شاعرية أخته ميّ التي تعيش الآن في بيرزيت[١٢].

## شعره:

كان ناجي علوش يحاكي الشعراء القدامى في شعره في بداية نشأته الأدبية فهو من الطراز الكلاسيكي ويعتمد على التفعيلة العروضية، وكان هذا الشعر الكلاسيكي مرتبطاً بمرحلة يلاحظ أنها مرحلة دراسته الثانوية. أما مرحلة تحرره الشعري فكانت مباشرة بعد تخرجه وسفره واتصاله بالأدباء العرب العراقيين والمصريين في الكويت. وكان يتابع حركة الشعر الحديث عبر مجلة (الآداب) ومجلة (شعر).

---

* سردا: قرية تقع جنوب بيرزيت وتبعد عنها سبعة كيلو مترات

١١ . راجع قصيدته هدية صغيرة التي أطلق اسمها على اسم مجموعته الشعرية.

١٢ . راجع مجلة الشراع المقدسية عدد ١٩٨٣/٦/١٥، صفحة ٥١.

لقد عاصر حركة التجديد في الشعر وكان قد عمل على نشر قصائد بدر شاكر السياب بعد وفاته العام ١٩٦٤. وكان شعره أثناء وجوده في الكويت يعبر عن الحنين إلى الوطن وتجسيد مشاعر الغربة ومن قصائده تلك "باب المحبة" و "الغريب". ومن القصائد المؤثرة التي كتبها قصيدة "سيدة البستان" وقصيدة "زوديني من جرارك"، الأولى في رثاء والدته والثانية في رثاء والده، فقد منعته الظروف من حضور مراسيم دفن كليهما[١٣].

لقد نشأ ناجي علوش في ظل أسرة فقيرة وأب مزارع وكانت ظروف معيشته قاسية وهو بالرغم من كل ذلك كان أبيّا رافع الرأس. ها هو يعبر عن ذلك في قصيدة طويلة أهداها إلى صديقه سليمان قدورة ذلك الإنسان المعذب واللاجئ البائس (كما وصفه):

يا أخي نَحنُ حُطامٌ نثروُهُ في الدُّرُوب
هو مِنْ حِقدِ اللّيالِي وانتِفاضَاتِ النُّدُوب
هو أشلاءُ ابتِسَام الغَد والأمسِ الرَّهِيب
يَتَنَزَّى فِي فم الظُّلمِ كأفعَى فِي اللّهِيب

يا أخِي لا تَرْجُ خَيرا مِن وزير أو مُدير
إنّهُم لَنْ يَهْرِقوا العَطف لإرواءِ شُعُور
إنّهُم لَنْ يَسفَحُوا مِن أجلنا وَمَضةَ نُور
أو تَدرِي بِشقاءِ الكُوخِ أحلامُ القُصُور

١٣ . راجع مجلة الشراع المقدسية عدد ١٩٨٣/٦/١٥، صفحة ٥١.

هِيَ لا تَعْرِفُ من حِقدِي ومِن حِقدِكَ شيّا
هِيَ لا تِعْرِفُ أنّا رَغم أنفِ المَوتِ نَحيَا
هِيَ لا تَعرِفُ إلا الكأسَ والثَّغْرَ الشّهِيّا
أيَريَ السّكران يا لِلحقّ في الأرضِ شَقِيّا

والقصائد التي قالها من هذا النوع متعددة تجمعها خصائص معينة متشابهة إذ لم يعد هناك مجال للصمت فها هي النار تشتعل وتتأجَّج ولكن النتيجة حتمية وهي فشل المؤامرات وتبدد الظلام وإحقاق الحق.

صَمَتُّ فَلَمْ يَسْمَح بِصْمتٍ لِيَ الصَّدرُ
وَكَيفَ وفي أغوارِهِ النارُ والجَمرُ
فَلَم يَبقَ في صَدرِي لِسِرٍّ تعلة
أخي يا أخِي لَمْ يَبْقَ فيما أرى سِرُّ

ونتيجة للظروف الحياتية الصعبة التي عاشها أصيب بمرض واصطحبته والدته إلى عيادة مجانية في القدس من أجل أن يتعالج، وهناك رأى ما رأى فاهتزت مشاعره وكتب قصيدة روى فيها قصة المظالم التي يحس بها وقال:

سَكَبَ الوُجَومُ مَرَارةَ الفَرَحِ الحَزِينِ عَلَى الشُّرُوقِ
فَالدّربُ ناجي القَلب عبر شَذَى الأسَى الثَّمِل العَمِيق

وَخُطَى المساكِين العُراةِ تَطِنُّ فِي أذن الطّريق
وَسَمِعْتُ هَمْهَمَةً: هُناكَ هِيَ العِيادَةُ يا رَفِيقِي

وَوَقفتُ أنْظُرْ حامِلاً في مُهجَتِي صُوَرًا غَرِيبَة
القُدسُ والسُّورُ الجَدِيدُ وبُؤسُ أبناءِ العُرُوبَة
وحِجَارة السُّورِ المُهدَّمِ.. والبِنايَاتُ الخَرِيبة
والسّلْكُ تَربضُ خَلفَهُ "صهيون" تائِهةً طروبة

ماذا أرى؟.. أَأَرى سِوى أَشْلَاءِ أُمتي الحَبيبة؟
أَأَرى سِوى ربّ السِّياسةِ صَاحِب الصُّور الرَّهيبة؟
أَأَرى سوى شَعبي يَجُوزُ على جماجِمِهِ دُرُوبه؟
شَعبي الذي لَمَحَ اللّهِيبَ فَسَارَ لم يَرْهَبْ لَهِيبه

ورغم الإغراء المادي في الكويت لم يلتفت ناجي علوش إلى المادة كغيره وخرج منها في الوقت الذي كان فيه وضعه جيدا يقول من قصيدة "على شواطئ المدينة الخراب":

هُنا ... هُنا
على شَوَاطِئِ المَدينة الخَرَاب

ما أكثرَ.. النحاسَ والحديد والصَّدف

ما أكثرَ المُقاتِلين دُونما هَدَف

هنا .. هنا

شيءٌ يَضُمّ النّاسَ أجمعين

الحَاكم الجَبّار والسَّجين

وكُلُّ عَاكِفٍ على ثرائِهِ

وكُلُّ عاكفٍ على شقائِه

والشَّيخ والطفلة والجنين

لقد كان ارتباطه ببلدته وأهله ووطنه أقوى من كل اعتبار، فبيرزيت تمر في ذهنه صورة متنوعة تختلط فيها السعادة والشقاء ويتعاقب الري والجفاف.

يقول من قصيدة "الغريب":

أمْس شعرت بالدوار

شعرت أنّنِي غريب

و أنّني أعِيشُ في متاهة انتظار

أمْس رَأيْتُ بيرزيت.. صورة على الجدار

زيتونها وتينها وأرْضَهَا البوار

والعائدين في المساء من كرومها

بكل ما يجمع التراب من همومها

والعائدات في طلوع الشمس بالجرار

من عينها يَحْكِينَ عن نضوبها

عن المواسم التي ستطرق الأبْوَابَ دونما ثمارْ

لتقذف المعذبين في دروبها

إلى مجاهلِ القفار

كي يرجعوا بالخبز والثياب للصّغار

## مشاريعه الأدبية:

بالإضافة إلى أنه قدم لأشعار عدد من الأدباء وعرّف بسيرتهم الشخصية مثل المرحوم الشهيد كمال ناصر وبدر شاكر السياب، فإنه مهتم جداً بإخراج سلسلة كتب عن شعراء وأدباء سابقين وحاليين يتناول فيها الوجه الآخر لشعرهم وحياتهم. وقد بدأ فعلا بإصدار تلك السلسلة من الكتب فكان أوّلها كتاب عن أديب إسحاق وكان يعُدُّ العدة لإصدار كتاب عبد الغني العريسي. كما كان يفكر بالكتابة بطريقة أخرى عن المتنبي، وعن الوجه الخفي لشعره أو عن الجانب الثوري منه.

## مؤلفاته:

إن مؤلفات ناجي علوش في السياسة والأدب، بدأها العام ١٩٦١ بدراسة تاريخ الفكر العربي وقد سمى كتابه: "الثوري العربي المعاصر" وقد كان عمره في ذلك الوقت ستة وعشرين عاما. وقد لاقى الكتاب رواجاً، وكان ذلك الكتاب

بداية لنشر سلسلة من الكتب منها كتاب "الثورة والجماهير" الذي صدرت الطبعة الأولى منه العام ١٩٦٢. وكتاب "في سبيل الحركة العربية الثورية الشاملة"، وكتاب "المسيرة إلى فلسطين "و كان أول من نبه فيه إلى العمل العسكري ضد إسرائيل. وبعد انتمائه إلى حركة فتح العام ١٩٦٧ وبروز العمل الفدائي بشكل علني العام ١٩٦٨ نشر عدة كتب تعالج موضوع العمل الفدائي وكان منها:

١. المقاومة العربية في فلسطين- مركز الأبحاث - دار الطليعة (ثلاث طبعات ١٩٧٠).

٢. الماركسية والمسألة اليهودية - دار الطليعة ١٩٦٩ (طبعتان).

٣. الثورة الفلسطينية - أبعادها وقضاياها- دار الطليعة (طبعتان).

٤. مناقشات حول الثورة الفلسطينية - دار الطليعة ١٩٧٠.

٥. نحو ثورة فلسطينية جديدة - دار الطليعة ١٩٧٢.

٦. حرب الشعب وحرب الشعب العربية- دار الطليعة ١٩٧٣.

٧. التجربة الفيتنامية- دروسها السياسية والعسكرية- دار الطليعة ١٩٧٣.

٨. الحركة الوطنية الفلسطينية- أمام اليهود والصهيونية- مركز الأبحاث ودار الطليعة ١٩٧٤.

٩. حول الخط الاستراتيجي العام لحركتنا وثورتنا- دار الطليعة ١٩٧٤.

١٠. الحركة القومية العربية - دار الطليعة - ١٩٧٥.

١١. خط القتال والنضال وخط التسوية والتصفية - دار الطليعة ١٩٧٦.

١٢. الخط العالمي الثوري والثورة القومية الديمقراطية ١٩٧٦-.

١٣. حول الحرب الأهلية في لبنان - دار الكاتب - ١٩٧٦.

١٤. عودة إلى موضوعات الثورة العربية - دار الكاتب ١٩٧٨.

١٥. حوار حول قضايا الثورة العربية - دار الكاتب - ١٩٧٩.

١٦. حوار حول الأمة، القومية، والوحدة - دار الطليعة ١٩٨٠.

**كما نشر ناجي علوش عدة كتب بعد خروجه من حركة فتح واعتزاله رئاسة اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ومنها:**

١. الوطن العربي - الجغرافية الطبيعية والبشرية- ١٩٨٦.

٢. الوحدة العربية -المشكلات والعوائق- ١٩٩١.

٣. المشروع القومي من الدفاع إلى الهجوم ١٩٩١-.

**و قام كذلك بإعداد عدة كتب وجمعها والتقديم لها وهي:**

١. أعمال بدر شاكر السياب الشعرية - دار العودة.

- المجلد الأول: مع تقديم في دراسة أدبه
- المجلد الثاني: مع تقديم في دراسة شخصيته وحياته.

٢. بندلي صليبا جوزي: دراسات في اللغة والتاريخ الاقتصادي والاجتماعي عند العرب (بالاشتراك مع جلال السيد) - دار الطليعة ١٩٧٥.

٣. أديب اسحق -الكتابات السياسية والاجتماعية- دار الطليعة ١٩٧٨.

٤. عبد الغني العريسي -مختارات المفيد- دار الطليعة ١٩٨١.

٥. محمد عزت دروزة –مختارات قومية– مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٨٩.

٦. إيغال ألون– إنشاء وتكوين الجيش الإسرائيلي– دار العودة ١٩٧١.

**وأصدر ناجي علوش عدة مجموعات شعرية هي:**

١. هدية صغيرة –دار الكاتب العربي– مصر– ١٩٦٧.

٢. النوافذ التي تفتحها القنابل – دار الطليعة – ١٩٧٠.

٣. المجموعة الشعرية الكاملة – وزارة الثقافة – بغداد – ١٩٧٧.

٤. عن الزهر والنار– المجلس القومي للثقافة العربية– ١٩٩١.

**كما أصدر عددا من الدراسات الأدبية والترجمات وهي:**

١. بعض مظاهر التجديد والالتزام في الأدب العربي – الدار العربية للكتاب– طرابلس – تونس.

٢. بدر شاكر السياب – سيرة شخصية – دار العودة.

٣. دراسة عن الوضع الثوري في العالم– جيفارا– دار الطليعة ١٩٦٧.

٤. القوة السوداء – ستوكليكار مايكل وتشارلز هولمز– دار الآداب ١٩٦٨.

٥. حرب المقاومة الشعبية – الجنرال جياب – دار الآداب ١٩٦٧.

٦. نصر كبير ومهمة عظيمة – ماوتسي تونغ – دار الطليعة ١٩٦٨.

٧. من الذي سينتصر في فيتنام – فوننجوين جياب – بالاشتراك مع منير شفيق والعفيف الأخضر. سنة ١٩٧١.

٨. الإصلاح الزراعي في الصين الشعبية – دار دمشق ١٩٦٦.

٩. الميزان العسكري في العام ١٩٧٣–١٩٧٢. معهد الدراسات الإستراتيجية لندن – المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٣.

(موسى علوش)

## هذا الديوان:

رغم إن ناجي علوش قام بإصدار مجموعة أشعاره خارج الوطن – في العراق – فإننا هنا لم نستلم نسخة من ذلك الديوان، لذلك ضمنا هذا الديوان قصائد قالها الشاعر في بداية حياته الشعرية وقصائد نشرها في الجرائد والمجلات وقصائد نشرها في مجموعته "هدية صغيرة" وقصائد نشرها في مجموعته "النوافذ التي تفتحها القنابل" والمتابع لهذه القصائد يلاحظ الطابع الكلاسيكي للقصائد الأولى ثم التحول الكبير إلى الشعر الحديث. ورغم إن الشاعر كان واضحا في إعلان اتجاهه السياسي في أشعاره الأولى إلا أنه يعيش الغربة بكل معانيها بعد ذلك لكي يجد هويته الجديدة في القصيدة التي أهداها إلى صديقه الصيني لين ديوان "الشمس والأشجار"، يقول فيها:

الشمسُ في بلادكمْ تسطعُ والأشجار
تزخرُ بالثَمَر
فالدفءُ للجميع
والخبزُ للجميعْ
والشمسُ في بلادنا تسطعُ والأشجار
تزخر بالثمَر
لكننا نموتُ في الصقيع
ونأكلُ الحجر
بلادَنا
متى تكون الشمس والأشجار للجميع؟!

# يا طريقَ الجراح

## المجموعة الأولى

# مقدمة

قصائد اخترتها من شعري المكتوب بين سنة ١٩٥٣ وسنة ١٩٦٠. وهي بعض ما كتبت في هذه المرحلة. ولم أختر شيئاً مما كتبت قبل ذلك لأن شعر المرحلة السابقة موجود في الأرض المحتلة. وما تسلمته منه قليل، ولم يتسنّ لي الاختيار منه.

والقصائد مؤرخة حسب تواريخها

ناجي علوش

١٧/٥/١٩٧٧

# لنا السّاحلُ

دمائي لهيب في الشرايين، عارمُ ... وقلبي خفوقٌ وإثم متلاطمُ
وما أنا إلا شعلةٌ في غمامةٍ ... تَشِعُّ ووجه الأرض أربدُ قاتمُ
فيا سائلي فيمَ انقباضي وثورتي ... ألم تدرِ ما تبغي لقومي الأراقمُ
أراقمُ تبغي الصلح حقاً فَصِحْ معي ... مُصالِحُ إسرائيل يا دهرُ آثمُ
وردِّد نشيد الثائرين وقل له ... رويدك يا طاغي علامَ تُساومُ
حقوق أبينا للعدا لن نبيحها ... وإنا سنأبى للمدَى ونقاومُ
لنا الساحلُ المسلوبُ والحُق حقُنا ... وكلُ حديث في السلام مزاعمُ
فلا سِلْمَ حتى يرجعَ الشعبُ للحِمى ... وأنفُ بني صهيونَ والغربُ راغمُ
فيا من تروم الصلحَ، والصُلحُ لعنَةٌ ... حياتُكَ رهنٌ بالذي أنتَ رائمُ
وماالسجنُ والسجانُ والقيدُ والدجى؟ ... وإيمانُنَا بالحقِ والشعبِ جازمُ
ونحن شبابُ الحق والبأس والعلى ... سنبقى نعادي نهجَكم ونخاصمُ
عقيدتنا نور ونار وعزمنا ... شديد يغذيه العلى والمكارمُ
سنحطم بعلَ الشرِّ فاعتصموا به ... فما لكمُ من ثورة الحق عاصمُ
فتهدمُ ما شادَ الفسادُ زُنودُنا ... وهل غيرها بانٍ قديرٌ وهادمُ
حرامٌ علينا النوم حتى نرى السَّنا ... ويشرق فجرٌ في البريَّةِ باسمُ

وينهارُ الاستعمارُ والظلمُ والأذى فتهنأ بالسِلمِ الصحِيحِ العوالمُ

وهل في الورى شيءٌ سوى الشعب قوةٌ وهل في الورى شيءٌ سوى الشعب دائمُ

نشيدي دماءٌ يا أخي وانتفاضةٌ وشوقٌ إلى دنيا البطولة عارمُ

ولحني صدى لحن الإباء ونغمتي نداءٌ وقلبي ثورةٌ وملاحمُ

وكيف ترى قلبي يقرُّ قرارهُ وفي الأرض مظلومٌ وفي الأرض ظالمُ

١٩٥٤/٩/٢٣

# في المَيدان

غَمَرتَنيْ رَوْعةُ الفجرِ فَغَنَّيتُ لِفجْري
واعْترتْني رَعشَةُ الثأر فَهَّللتُ لِثأْري
وتلقّتني على دربِ السنى وَحْشَةُ هَجْري
غير أني سرت كالعملاقِ في ظلمة عمري
سرت في الميدان في معركة النصر المفدّى
أَزرَعُ الدَّرْبَ الذي صوّح رَيحْاناً وَوَرْدا
وأمنّى أرْضنا السّمحاءَ ... بالعَوّدةِ ، مَجدا
سِرتُ لا أعرفُ سُلطانا ودُستوراً وَحَدّا
فَأنا في القدسِ إعصارُ البطولاتِ الفتيّة
وَعلى النيل أناشيدُ السّنى والأريَحية
تتنزَّى في الرُّبى العذراء نوراً وحمية
وجِراحاتٍ، عذارى وابْتساماتٍ زكية
وأنا في المغربِ الجبّارِ... نارٌ وأغاني
يَتحَدّى قبضةَ الموتِ المعنى ...عُنفواني

ولـقـدْ سِـــرْتُ إلـــى الـقَـبـرِ بـأشـــلاءِ الـهـوانِ
فالرُّبى .. والبحرُ .. والصحراءُ .. زهـوٌ وأماني
سِـــرْتُ والـشـطُّ يُـنـاديـنـي وأَرضُ الـكبـريـاءِ
أحـمـلُ الأمـــسَ بـعِـيـنـيَّ .. بـقـلـبـي بـدِمـائـي
وأرى فـي رَوْعـــةِ الـفـجـرِ دمـــوعَ الأبـريـاءِ
وانـتـفـاضـاتِ الثَّكالى .. وارتـعـاشـاتِ الشقاءِ
وتـمـلْـمـلـتُ فَـضَـجَّـتْ تَـتَـحـدانـي قُـيـودي
وتـعـدّ الـنـار كـي تجعلني بَـعـض الـوقـودِ
فـتـنـيرُ الـظـلُّـمـةَ الـعـمـيـاء فـي لـيـلِ الحـقـودِ
لـيـلُـهـا الـغـافـي عـلـى أشـــلاءِ مـاضـيَّ الشّـهـيـدِ
وتـنـزَّيـتُ ... وثـــارَت كـبـريـائـي فـي عـروقـي
فـاقـبـلـي يـا رَوعـــةَ الـفـجـرِ ارتـعـاشـاتِ المشوقِ
إنّـنـي شـئـتُ بـأن أحـفـر فـي الـصَّـخـرِ طريقي
لـلـتّـلاقـي فـي افـتـرار الـنـور فـي دفء الشُّـروق
أنّـنـي شِـئـتُ ولـن أَقـعـدَ فـي عَـصـفِ الـريـاحِ
فَـلـتُـدمـدِم مِـثـلـمـا شـاءت عـلـى الـــدّربِ جراحي

إنـهـا أنـشـودتـي الـنَّـشـوى وقـلـبـي وسـمـاحـي
ولـقـد أقـسـمـتُ ألا أتـخـلّـى عـن كِـفـاحـي
فـلأكـن فـي الـسـاحـةِ الـسّـمـحـاءِ إعـصـاراً ونـارا
وهـتـافـاتٍ وأعـراسـاً .. عـذارى
فـلـقـد كُـنْـتُ كـمـا شـاءوا خُـلـودا وانْـتـصـارا

# قَذارةُ الأرْض

هذه مقاطع قصيدة لي أقدمها (للوطن) التي تمثل الوثبة العربية وثبة البعث

وسأقدم لها باستمرار مشاركة في الواجب.

قــذارة الأرض لا تيـهاً ولا طَرَبـا ... هـذا هـو المـاردُ الـغافـي قـد اضـطَّربـا

صحا على السَّوطِ يَذرو جسمه مزقاً ... فـصـاحَ صَـيْحـةَ لـيثٍ هَـمَّ أن يثبِا

هـذا هـو الشَّـعبُ كَـمْ أعلـى فراعنةً ... وكـم أبـاحَ عُـروشَ الظلم وانتـهَبا

ألا انـخـروه وصـوغـوا من جماجمهِ ... حصناً لكم يدفع الأزراءَ والنوبا

وســخّــروهُ لمـا شِـئْـتُـم فـلـيس له ... أن يـرفضَ الظلمَ أو يستنكرَ الطَّلبا

يا حـاجبَ النّور عيني وعـن وَطني ... لوكنتَ فرعونَ أو نيرونَ ما احتجبا

هــذي مَـشـيـئـةُ شـعـبٍ ثـائـرٍ قِـلـقٍ ... لا تسألِ الشّعبَ عن شيءٍ إذا غَضِبا

هــذي المـلايـين كـفْـرٌ أن تُـقَـدِّمـهـا ... ضَـحـيّـةً لالــهِ الحــرْبِ مـا طلبا

وأن تـكـونَ بَـخـورا فـي هـياكِلِهِ ... ليشبع الجشعَ القتّال والسَّغبا

يا مَوْجةَ البَعْث من قلبِ الحِمى وخَرَت ... آمـنـتُ بـالـنّـورِ مـن كـفـيّكِ مُنسكبا

آمـنـتُ بـالـغَـد ولـتـجـرم سـياسَـتـهم ... فـلـن تحــولَ إيمــانــي بــه كَـذبـا

ولــن تــردَّ خـطـى الـتـاريـخِ خـائـبـةً ... ولــن تحــوّل أحــلام الحـيـاةِ هَـبـا

ولـن تـشـوّهَ مـعـنـى الـعَـدلِ بـعـدُ كَـمـا ... كـانـت ولـن تـرفـعَ الأوثـان والنُّـصُـبـا

آمـنْـتُ بـالـغـد أحـلامـاً مـقـدسـةً ... لا تـعـرف الـدمَ والأشـلاءَ والـكـربـا

أجـل .. أيـعـذلـنـي قـومـي إذا عـصـفـت ... قـصـائـدي ثـورةً حـمـراءَ أو لَـهـبـا؟

فـلـست مـن يـحـمـل الـعـار الـذي حـمـلـوا ... أو مَـن يـخـافُ الأذىوالبطشَ والحربا

فـي الـقـلـب آمـالُ شـعـب وانـتـفـاضـتـه ... فـكـيـفَ أخْـنُـقُ حِـقْـداً ثـارَ والـتـهـبـا

فـقـل لـمـن شـاءَ أن يـجـتـاحَ قـوّتـنـا ... خَـسـئْـتَ لـن تـسـحـقَ الـتّـاريـخَ والعَرَبا

كـم مـن زعـيـم طـغـى مـسـتـهـتـرا وبـغـى ... لـكـنـه فـي نِـعـالِ الـشـعـبِ قـد ذَهـبـا

إنّـا كـفـرنـا بـكـم بـالـظـلـم قـاطـبـةً ... بـكـل عِـلْـجٍ عـلـى أشـلائِـنـا انـتـصـبـا

ألا ابـطـشـوا لـن يـزيـد الـبـطـشُ ثـورتَـنـا ... يـا لـلـبـلـيَّـة الا ثـورة وإبـا

نـحـن الـذيـن جـعـلـنـا الـحـقَّ رايـتـنـا ... والـحـبَّ أمّـاً لـنـا والـكـبـريـاء أبـا

إنـي عَـجـبـتُ فـلا تـسـتـكـبـروا عَـجـبـي ... رأيـتُ فـي وطـنـي أسـطـورةً عَـجَـبـا

شـعـبٌ يـكـادُ الـظّـمـا يـؤدي بـكـثـرتـه ... ولـو أرادَ لأروى غُـلـه ذهـبـا

يـا مـن رأى مـجـدهـا الـجـبـارَ ممتهنا ... والـذخـر منـتـهـبـا والـحـق مـغـتـصـبـا

وأمـةٌ قَـتـلَ الإمـلاقُ مُـعـظـمـهـا ... لـيـشـبـعَ الـزُّعـمـاء الـصـيـدَ والـغُـربـا

هـذي الـمـهـازلُ هـل تُـمـحـى بـمـغـفـرةٍ ... فـانـهـا أخـزت الـتـاريـخ والـكـتـبـا ؟

قـد مـثـلـوا مـثـلـمـا شـاءوا بـهـا ومـضـوا ... يـعـانـقـونَ عـلـى أشـلائـهـا الـطـربـا

كـأنـمـا مـلأوا تـاريـخـهـا عـبـراً ... وألـبَـسـوهـا أكـالـيـلَ الـعـلـى قـشـبـا

ودنَّسوا العزةَ الشماء وانتسبوا يا للإباءِ إلى تاريخها فأبى

يا جائعينَ إلى العلياء واعجبي هذي المجاعةُ لا أدري لها سببا
ألا ابذلوا في سبيلِ الحقِّ أنفسَكم فإنّ للحقِّ لا للقوةِ الغلبا
إن الجماهير إن ثارت و إن غضبت لاترهب البطشَ والإرهابَ والغَضبا
فرافقوا موكبَ التاريخ وانشرحوا فإنما البعثُ بعثُ الأمةِ اقتربا
ونحن إن لم نكن للأمر عدته فلن نعيد لهذا الشعب ما سُلبا
ولن نعيدَ إلى التاريخِ عِزَّتهُ فيبلغ اليوم -ممّا شاءه- الأربا

بيرزيت ١٩٥٤

# نحنُ

إلى ذلك الإنسان المعذب اللاجئ البائس

**سليمان قدورة**

يـــا أخـــي نـــحـــن حـــطـــامٌ  نـــثـــروه فـــي الـــدروب
هـــو مـــن حـــقـــدِ الـــلـــيـــالـــي  وانـــتـــفـــاضـــاتِ الـــنـــدوب
هـــو أشـــلاءُ ابـــتـــســـامِ  الـــغـــدِ والأمـــســـِ الـــرهـــيـــب
يـــتـــنـــزّى فـــي فـــمِ الـــظـــلـــمِ  كـــأفـــعَـــى فـــي الـــلّـــهـــيـــب

يـــا أخـــي هـــذا الـــذي كـــانَ  فـــكـــن أَرْبَـــطَ جـــأشـــا
ولـــيـــزدْ جـــلادُنـــا ظـــلـــمـــاً  وإرهـــابـــاً وبَـــطْـــشـــا
ولـــيـــنـــصّـــب فـــوقَ أشـــلائـــي  وأشـــلائِـــكَ عـــرشـــا

هـــو لـــن يَـــصـــنـــعَ مـــهـــمـــا  كـــان لـــلأمّـــةِ نـــعـــشـــا
هـــو لـــن يـــدفـــنَ آمـــالـــي  وآمـــالـــكَ حـــيـــة
هـــو لـــن يـــطـــفـــئَ فـــيـــنـــا  الجـــذواتِ الـــعـــربـــيـــة
هـــو لـــن يُـــخـــضِـــعَـــنـــا  يـــومـــا لِـــشَـــرعِ الـــهـــمـــجـــيـــة

إنمـــــا الإيمـــــــــان فـــي الـــنـــاس نـــــزوعٌ ومـــزيـــة
يـــا أخـــي لا تَـــــرْجُ خـيـراً مـــن وزيـــــرٍ أو مـديـر
إنـــهـــم لـــن يـــهـــرقـــوا الـعـطـفَ لإرواء شـــــعـــــور
إنـــهـــم لـــن يَـسـفـحـوا مـــن أجـلـنـا ومـضـةَ نـور
أوَ تـــــدري بِـــشـــقـــاءِ الـــكـــوخِ أحـــلامُ الـقـصـور

هـي لا تـعـرفُ مـن حِـقـدي ومـن حِـقـدكَ شَـيّـا
هـي لا تـعـرفُ أنـا رُغـمَ أنـف المـوتِ نَحيا
هـي لا تـعـرف إلّا الـكـأسَ والـثّـغـرَ الشـهـيّـا
أيـرى الـسـكـرانُ يـا لـلـحـقِ فـي الأرض شقيا
وإذا مـا اشـتـدتِ الـظـلـمـة وازددْت عـنـاءَ
فـاحـمـلِ المـشـعـلَ وانـثـرهُ عـلـى الـنـاسِ ضـيـاءَ
والـثـمِ الـفـجـرَ الـذي سـالَ عـلـى الأرض دمـاءَ
واخـلـعِ المـجـدَ عـلـى الـتـاريـخِ وابـن الكبرياءَ
إنـنـا فـي الـغـضـبـةِ الـحـمـراءَ أحـفـادُ الحـيـاةِ
إنـنـا مـهـزلـةُ الإنـســانِ فـي شَـــرْع الـطـغـاةِ

إنـنـا نـقـمـةُ جـيـلٍ عـبـقـريّ الـرغـبـاتِ
سـار كـالإعـصـارِ فـي وجـهِ دسـاتـيـرِ الـعُـتـاةِ
وسـيـبـقـى ثـائـرَ الـرَّوعِ عـلـيـهـا ... كـالـريـاحِ
يـتـغـنّـي فـي الـمـيـاديـنِ أغـانـيّ الـسّـمـاحِ
وسـيـبـقـى ثـائـراً حـتـى يـرى نـورَ الـصّـبـاحِ
وإذا مـا حـمـلـقَ الـشـرُّ وأزرى بـالـرُّعـاعِ
فـانـحـر الـظـلـمـةَ واسـتـوحِ انـتـفـاضـات الـصـراعِ
وانـطـلـق فـي جـوّكَ الـثـائـر نـضّـاحَ الـشُّـعـاع
واكـتـبِ الـتـاريـخَ فـالـتـاريـخُ آمـالُ الجِـيـاعِ

كانون الثاني ١٩٥٥

# صمتٌ فَلَم يسمَح

صمتٌ فلم يَسْمح بصمتٍ ليَ الصدرُ ... وكيف ...؟ وفي أغوارِهِ النارُ والجمرُ
فيا من أرادَ البعثَ والفجرَ والعُلا ... لنا البعثُ ماشاءَ العُلا ولنا الفَجْرُ
ألا ليتَ شِعري سوف تبقى لك الذرى ... وللقِمّةِ الشماءِ قد خُلِقَ النَّسْرُ
فلم يَبْقَ في صَدري لسرٌ تعلةٌ ... أخي يا أخي لم يبقَ – فيما أرى – سرٌّ
وصاح إبائي :لا تخفْ وحشةَ النَّوى ... فإنا سَنلقى النصرَ ما كَلَّف النَّصرُ
ومن طلب المجدَ العزيزَ فعندَهُ ... نداءُ الفِدا حلوٌ وكأسُ الونَى مُرُّ
وما أنت إلا شاعرٌ يصفَعُ الدُّجى ... فيهتزُّ إجفالاً ويلتفتُ الدهرُ
ألا أيها الجبّار قد حان لِلحمى ... انتفاضُ أسيرٍ لا يلذُّ له الأسرُ
وقَد بَرزت للعينِ كلُّ خفيّةٍ ... وبان الذي يسعَى له "العالم الحرُّ"
ولم تبقَ للمستعمرين وسيلةٌ ... تُموّه في عينِ الشّعوبِ فتنجرُّ
ولم تبقَ للأذنابِ إلا ثمالة ... تجرّعُها قبرٌ وإهمالها قبرُ
وما ظلمةُ الماضي سِوى ظلمةِ الرَّدى ... وَعمّا قريبٍ سوف يَبعَثُنا الحشرُ
فيا رائدَ الصحراءِ ما أنتَ مفرد ... فمثلكُ في هذا الحِمى ملأٌ كُثرُ
شبابٌ يغذّيهم هوىً وعقيدةٌ ... ويجمعهُم هَمٌّ ويحفزهم ثأرُ
سواءُ لديهم في الجهادِ جميعهم ... أيصْحَبهُم زهرُ الرياضِ أم الزهرُ

عـنـاهُـمُ مـا نـلـقـى فـلـمًـا تـواثـبـوا تملَّك الاستعمارَ من طيفهم ذُعْرُ
وما سكن الصحرا سوى أسدُ الشّرى وما يستطيعُ النسرُ لا يفعل الصقرُ
ففي كلِّ قلبٍ مثل قلبكَ صرخةٌ: يكون لنا في أرض أَجدادنا الصدرُ
وما الفخرُ أنْ نرضى بِذلِّ حياتِنا ولكنَّ ما يبغيه أمثالك الفخرُ
ومَنْ أنا إن لم تصرع الليلَ صيحتي فتجتاحُ قلبَ الظُّلمِ أنشودتي البِكرُ
وسوف يفرُّ الليلُ خزيانَ فاشلاً قريبًا وإنّ المدَّ يَعْقُبُهُ الجَزْرُ

١٩٥٥

# اعصِفي يا رِياحُ

عزيزي رَاضي صَدّوق؟ لماذا تخاف التراب؟..ولماذا أنتَ متشائم..؟ ارتفع بقلبك يرتفع أدبك.. اخترق هذا الضباب الكثيف الذي يكتنفك وأطِلّ على العالم.. عالم الخلود، ليست هذه نهايتها.. وليس التُّراب ذلك العملاق الذي يستطيع أن يخنق الحياة بقبضته الحديدية .

اعصِفي يا ريحُ..! إنَّ نشيدي ... صَرخةُ البعثِ في ترابِ الجدودِ
كلما كَفَّنَ الخريفَ انطلاقي ... عدتُ للأرضِ بانطلاقٍ جديدِ
الهوى والسماحُ.. ملءُ انتفاضي ... والأزاهيرُ ملءُ ثوبي العتيدِ
ما أنا يا ربيعُ.. إلا ربيعٌ ... في حنايا ظلامِ هذا الوجودِ
ما مضى بيَ الخريفُ إلا اشرأبَّتْ ... للصَباحِ الجميلِ .. كُحْلُ ورودي
وتنزيتُ كالجريحِ إلى الثأرِ ... وثارتْ في كل فجٍّ رعودي
تبعثُ الذكرياتِ من ظلمةِ ... الموتِ وتحدو رَمامَ تلك اللحودِ
فالصباحُ ابتسامةٌ ورجاءٌ ... وزغاريدُ في شِفاه الخلودِ
ما أنا يا ربيعُ إلا نداءٌ ... جنَّ في هَدأةِ الظلام الشديدِ
ما أراني حَطّمتُ عودي وألقيتُ ... بقلبي إلى عَبوسِ القُيودِ

إن نفسي تأبى الفِرار وتأبى ... ما أرادَ الأذى لها من حُدودِ
فاعصِفي يا رياحُ إنّ نشيدي ... صرخةُ البعثِ في تُرابِ الجدودِ
اعصِفي كيف شئتِ ما زلتُ ... جَبّاراً وما زلتُ فادياً للعبيدِ
قَذَفَتَني قلوبُهم ثورةً شَعو ... اءَ جبارةَ السّنى والوقودِ
اعْصِفي ما أردتِ..هذي أناشيدي .. ... ولن يخنق اعتسافُك عودي
اعصِفي .. اعْصِفي فقلبي حياةٌ ... تَتَحدىّ غِوى الفناءِ العنيدِ
جعل الحبُّ منه روضا جميلاً ... عبقريّ الربيعِ عذبَ النشيدِ
اتخافُ الترابَ هذي الأناشيدُ ... ويخشى وجهَ الذبول صُمودي
فاعصِفي يا رياحُ ...هذا جناحي ... كافرٌ باستكانتي .. وركودي

# هُولاكو الجَدِيْد

مابين الثامن من أيار والحادي عشر منه عام ١٩٤٥ قَتل قائد فرنسي خمسة وأربعين ألف طفل وامرأة عجوز من أخوتنا عرب الجزائر وأحال ثلاثَ قرى حطاماً منثوراً، بينما كان الرجل في الجبل...

تركوا المناجلَ والسنابلَ في الحقول

ومضوا يجرّون الذيول

والزَّرعُ ينتظرُ الحصاد

والبيدرُ المهجورُ يحلمُ بالغِلال

وصغارُهم يتهللونَ لغلّة العامِ الخَصيبِ

ويبدّدونَ طيوفَ أمسهمِ الرهيبِ

أمس المجاعةِ والخطوبِ

لكن أغنيةَ الجهاد

أنْسَتْهُمُ الحُلُمَ الجميل

فَعَلَت هتافاتُ النضال

ومضوا كتائبَ في الجبال

ليحقِّقوا حريةَ الوَطنِ الحبيبِ

وهناك في صَمتِ الصعيدِ

أغفت ثلاث قرى على حلم شرودِ

وعلا رصاصُ الثائرينَ موقِّعاً نَغَمَ الخلودِ

وإذا ب (هولاكو) على أبوابها وَفْر العديدِ

متحفِّزٌ للبطشِ .. والإجرامِ.. خفَّاق البنودِ

وعلا ضجيجُ المدفعيَّةِ فاختفى طيفُ الرقودِ

وعويلُ غاداتٍ ممزقة البرودِ

يلطُمْنَ شاحبةَ الخدودِ

ويصِحْنَ صيحةَ يائسٍ فزعٍ شريدِ

" يا رحمة الله الوحيدِ "

وفحيحُ ألسَنةِ اللَّظى وصريرُ أكواخِ ( العبيدِ )

وجسوم قتلى قد نُثِرن نثارَ ذابلةِ الورودِ

وهريرُ كلبٍ من بعيدِ

ودبيبُ شيخٍ حاملٍ أحقادَ مظلمة العُهودِ

ومضت دقائقُ خلفتها في يدِ الموتِ المبيدِ

نارٌ وأشلاءٌ مبعثرةٌ على هام التلال

وهناك أطلالُ القرى وحطامُ أخوتنا الرقودِ

وصدى صراخ المدفعِ المسعورِ (والتَّنكِ) العنيدِ

وأنينُ أشياعِ الرغيفِ المرغَمين على السجودِ

للظلمِ... للإجرامِ...(لله الجديد)

المؤمنينَ برحمةِ الكفار ... أتباع الجحودِ

التاركينَ الأرضَ للكفّار ...أتباعَ الجحودِ

الحالمينَ كما يُقالُ لهم بجنَّات (الخلود)

يلقوْن فيها الحور... تنعمُ في ذُرى العيشِ الرغيدِ

وهناك قهقهةُ (الجنودِ)

وغناءُ ليلِ العربداتِ يطِنّ في أُذن الوجودِ

وسرورُ (هَولاكو) الجديدِ

بالموتِ...بالدَّمِ... بالدمارِ... بفعلهِ (السامي الحميدِ)

وهتافُهم للنصرِ ... (للنصر المجيدِ)

وكأنَّ (نابليونَ) عاد يَجرُّ زاهيةَ البنودِ

ويعيدُ (للإفرنج) تاريخَ البطولةِ والسُّعودِ

وهناك ترتفعُ انتفاضاتُ الحشودِ

وتصيحُ بالسَّفاح بالوغدِ الحقودِ

ما أنتَ (نابليونَ) ذو العرشِ الوطيدِ

ما أنتَ قهّارُ الفيالقِ والبنودِ

ما أنتَ عملاقُ القضاءِ فنستنيمُ إلى الركودِ

أو ما درستَ مصيرَ سَيِّدِكَ المريدِ....؟

أو ما درستَ الشعبَ في تاريخِ أُمَّتِكَ التليدِ

كم فيه مِثْلُكَ من بليدِ؟

صَنَع السلاسلَ والقيودَ فكان قربانَ السلاسل والقيودِ!

وأرادَ تمثالَ الخلودِ فكان تمثالَ الحقارةِ والكنودِ

لا ... لن تكون أعزّ من (عبد الحميد)

عرف الوجودُ أعزَّ منك فلم تُردّ خطى الوجودِ

كم قد رأينا يا مغرَّر– من مترنيخ– بليدِ

أمثالَ سيدك العتيد

يا من تقومُ على الحديدِ

إنا لنهزأ كلنا ... بالنّارِ... بالدّمِ.... بالحديدِ

وببطشِ زمرتكَ الشديدِ

ولسوف تبصرُ ثورةَ الحقدِ المبيدِ

وترى عُلاك على دروبِ الموتِ كالعفنِ البديدِ

وتمرُّ عنك مواكبُ التاريخِ صاخبةَ النشيدِ

متغنيات بالمنى... بالمجدِ ... بالغدِ.... بالصُّمودِ

وتصيحُ بالسَّفاحِ... بالعبدِ الحقودِ

بحطامِ عزَّتكَ البديدِ

" مهلاً فراعنةَ النذالةِ والقذارةِ والجحودِ

إنا نهايةُ كل جبارٍ عنيدِ "

وهناك لم تزل السنابلُ والمناجلُ والحقول

مجنونةَ الأشواقِ تنتظرِ الحصاد

وفلولُ قافلة الجهاد

لكنها ظلت نداءً في التِّلال وفي السهول

للطّير ... للأرضِ الحبيبةِ ... للذيول

بيرزيت – أيار ١٩٥٥

# مواكب الأجيال

(أغْرَقوا شاطئَ السلامة بالدماءِ والدموعِ وتركوه ليعودوا مع الفجر

وما زالوا بانتظار فجرٍ تخلقه شرارة الدماء وإشعاع الدماء)

هــزمَ الـبـغـيُ كـبـريـاءَ الـرجـالِ  خلِّـنـي فـي انـتـفـاضـتـي وانـفـعـالـي
شـئـتُ أن أدفـنَ المصيبةَ فـي قلبي  المُـعَـنـّى فـي لـوعـتـي فـي اعـتـزالـي
فـانـقـمـي يـا عـواصـفَ الـبَـغْـيِ ما  شـئـتِ ولا تـبـق يـا ريـاحَ الـضَّـلال

**

قــفْ هـنـا قـبـل أن تـغـيِّـبـكَ  الـظـلـمـةُ وأشـهـد مـواكـب الأجـيـالِ
تـتـهـادى كـأنـهـن انـتـصـار  يـتـخـطـى بـنـشـوة واخـتـيـالِ
أتـرى خـالـداً... أتـلـمـحُ عـمـراً  والـبـطـولات فـي دروب المعالي
إنـهـا لـم تـزلْ هـنـاكَ دمـاءٌ  تسفحُ النورَ..في...الرُّبى... والمجالي
مـا تمـادى الـضَّـلالُ إلا أفـاقـتْ  تـتـنـزّى مـشـتـاقـةً لـلـقـتـالِ
سَـلْ (صلاحاً) كيف استفاقت على  الـبـغـيِ فـأهـدت حـيـاتَـه لـلـزَّوالِ
هـذه أغـنـيـاتُ مـوكِـبِـه الجـبّـار  هـذي قـوافـلُ الأبـطـالِ
تـتـهـادى عـلـى الـشُّـطـوطِ دروبـاً  مـن إبـاءٍ وعِـزَّةٍ وجـلالِ

يـا تـــرابَ الجـــدودِ مـا زلـت فـي قلـبـي انـتـفـاضـاً وروعـــةً فـي خـيـالـي
كـلـمـا ثـــارت الـــرُّؤى فـي فـــؤاديَ ذَكَـرَتْـنـــي شـريـعـةُ الأدغـــالِ
ذكـرَتْـنـي أشـــلاءُ قـومـي ...وأشـــــلاءُ إبـائـي....وعـزَّتـي....لاغـتـيـالِ
ذكَـــرَتْـــنـــي الـــرجـــالُ تـنـقـاد لـلـجـبنِ فـتُـلـقـي مـصـيـرنـا لـلـيـالـي
ذكَـرَتْـنـــي جـريـمـةٌ أنـــا أحـيـاهـا، وتحـيـا فـي مـهـجـتـي فـــي بـالـي
ذكَـرَتْـنـــي الـــدروبُ تُـلْـهِـمُ إخـوانـي فـتـرضـى عـصـائـب الأنـــذالِ
والمـــلايـــينُ غـصـبـةٌ وشـــحـــوب ونـــداءٌ يـهـزُّ قـلـبَ الـلـيـالـي
هـــذه نـغـمـةُ الـهـزيـمـةِ فـلـيـلـعـن ثـــرى الـطُّـــهْـرِ كـبـريـاءَ الـرجـالِ
كـيـف نـامـوا عـلـى الأذى واسـتـبـدَّت غـفـوةُ الـهـون بـانـتـفـاض الـشـبـالِ
كـيـف ألـقـت مـصـيـرَنـا لـلـغـوايـاتِ فـألـقـتـهُ فـي فـمِ الأهْـــوالِ

**

كلما ثـارت الـرؤى ذَكَـرتـنـي رعـفـةُ الجـرحِ وارتـعـاشِ الـهـزالِ
والضحايا مسفوحةٌ لأله الحربِ في مذبحِ الأذى... والوَبالِ
ذَكَـرَتْـنـي شـريـعـةُ الـغـابِ والحـــقِّ انـقـيـاد لـقـوةٍ واحـتـيـالِ

قـف هـنـا إنّمـا الـطـريـقُ عـبـوسٌ  تـتـنـزى أشـواكُـهُ كـالـنِّـصـالِ
والـظـلامُ الرهـيبُ يَـغْـرقُ فـي الصَّمت  فـيـغـفـو عـلـى أنـيـنِ الـسـؤالِ:
أيـن تمـضـي فـإنَّ دربـكَ أدغـالُ  حـيـارى مُـروّعـات الـظـلالِ؟
وامـضِ فـي الـظـلامِ عبر صحارى  لـيس فـيـهـا سـوى الـقـذى والألِ
حـامـلاً فـي ضـلـوعـه ذكـريـاتٍ  راعـشـاتٍ مـرعـودةِ الأوْصـال

ذكريات النِّضال والدَّم والأشواكِ والثائرينَ ملءَ الجبالِ
تحملُ النارَ في القلوبِ وتنهالُ على الغاصبينَ كل انهيالِ
والبطولاتُ في الرُّبوعِ ابتسامٌ وأغانيّ رائعات غوالِ

**

ومضى يحضنُ الليالِيَ آلاماً ويمشي عبر الدُّجى والرِّمالِ
لم يُفِقْه إلا نداء كهمْس الموتِ .... ياللحياةِ .... عند العيالِ
فاستفاقت جراحَهُ تتلَظّى كفؤادِ الأذى.. كقلبِ النِّكالِ

**

أين أمضي؟ إن الشُّطوطَ تناديني فما لي أحَطّم الشوقَ ؟مالي؟....!
فلأعُدْ... هذه إرداةُ شعبٍ ليسَ يخشى ضراوةَ الأغلالِ
وإذا بالدُنى انطلاقةُ أحلام تجلَّت مع ابتعادِ ابتهالِ
وتبدَّت مواكبُ الأجيال تَتهادى بنَشْوةٍ واختيالِ
والبطولاتُ والضحايا ارتجافُ الحبِّ في بهجةِ اللُّقا والوصالِ
فلأعُد هذه إرادةُ شعبٍ لستُ أرضى شريعةَ الأرذالِ
إنني قد كرهتُ طيْفَ خُنُوعي إنني قد كرهتُ ظلَّ احتمالي

فاشمخي يا جبالُ عدنا إلى الميدانِ... عدنا إلى دروبِ النضالِ
في فلسطين ....في العرائس ....في الشام...براكين عزَّةٍ...واحتمالِ
ما أرادَ اندثارَها البغْيُ إلا فاجأتهُ بثورةٍ واشْتعالِ
موكبٌ إثرَ موكبٍ تتوالى خَسِئت كلُّ سطوةٍ واحتلالِ
هذه ثورةُ البقاءِ على الموتِ ..على كلِّ عثرةٍ واعتلالِ
تهرمُ الشمسُ والقرونُ وتبقى فوقَ كل استسلامةٍ وانحلالِ
يا تراب الجدودِ ما زلت في قلبي انتفاضاً وروعةً في خيالي
إنني في الحدودِ غضبةٌ عملاقٍ تحدّى مشيئةَ الآجالِ
أتردّ الأسلاكُ زمزمةَ الثأرِ وتثني حقد السنين الطِّوالِ
إنني في الحدودِ وثبةُ شعبٍ سارَ في موكبِ العلى ... والكَمالِ
قد جرت في عروقهِ نشوةُ العزَّةِ كالخمرِ في عروقِ الدَّوالي

**

خلِّني في انتفاضتي وانفعالي لا أرى في الحِمى سوى أطلالِ
وبقايا مسخرين يظلون طعاماً لحاكم أو والي
ودروبُ الشَّقاءِ تكتظُّ بالأرتالِ تروي حكايةَ الأرتالِ
خلني قد نقمتُ.. قد ثرتُ على كلِّ سُنّةٍ واعتدالِ
لهم الأرضُ والذين عليها ولهم كلُّ موسمٍ وغِلالِ
وعلى الشعبِ أن يكون ضحايا وبخوراً يضوع كلَّ احتفالِ
إنما الحكمُ حقَّهم ... هبة الله أقيمت على الرشاد "المثالي"

**

يا رنينَ القيودِ في اللَّيلةِ الظلماء يا لهثةَ السنينَ الخوالي
يا أنينَ التاريخ يخفقُ دنيا تحت نير الهوانِ والإذلالِ

يا زئيرَ الرئبالِ في ساحةِ الموتِ استطيرت دماءُه لاقتتالِ
يا انتفاضَ الصباحِ في خاطرِ الليلِ ويا همسةَ الرِّضا والدَّلالِ
يا رنينَ القيودِ يا نغمةَ الحقِّ وأنشودةِ العلى والأمالي
يرقصُ المجدُ والقرونُ عليها رقصةَ الكبر في ابتسامِ النوالِ
هذه أغنياتُ موكبنا الجبَّار يقظةُ الثأرِ أيّما إشعالِ

**

رقصةُ الكبرِ في ابتسامِ النَّوالِ هذه قوافلُ الأبطالِ
حملتْ نغمةَ السنين وسارت في ظلامِ الدروبِ والأدغالِ
تصفعُ البطشَ والخيانةَ والجَبن وتلقى جيش الأذى والضَّلالِ
فأمخُري يا سفينةَ البعثِ في اللُّجة .. في ثورةِ الدُّجى لا تبالي
لا تخافي الرياحَ ولا ترهبي الموتَ وسيري إليه باستبسالِ
عن قريبٍ تغفو الرياحُ ويبدو للمغيرينَ شاطئُ الآمالِ

بيرزيت ١٠/٨/١٩٥٥

# ملايين....!

ملايين في وطني تُسفَحُ ... أما شَبِعَ الرَّبُّ والمذبح
أما أشبعَ الربَّ في عرشهِ ... بخورُك ذاك الذي ينفحُ
وتلكَ الزغاريدُ والأغنياتُ ... بأنوارِ ثورتنا تنضَحُ

**

فديتُكَ ما الشعرُ والأغنياتُ ... إذا لم تكن ثورةٌ تلْفحُ
وما هذه التمتماتُ التي ... عن الحقدِ... والثأر لا تفصحُ
فديتُكَ من ذا يخافُ الشَّباب ... (صعاليك) في أرضنا سلحوا؟
أتخشى العُتاةَ.. أتخشى القُساةَ ... سواعدُ مفتولةٌ تكدحُ
أيخشى بنو الشعبِ تلك السَّياط ... وتلك السجون التي تفتحُ
وتلك المنافي.. بين الرمالِ ... وتلك القيودُ التي تطرحُ
عيونٌ مخضَّبةٌ بالطموحِ ... شَرارُ الحياةِ بها يقْدحُ
فقل للكبارِ وأذنابهم ... ومن في البلاد لهم يجنحُ
هو الشعبُ وليجرم المجرمون ... فثورته البِكْرُ لا تُكبحُ

فـإن شـئـتـمُ فـالجـأوا لـلـقـيـودِ وإن شـئـتـمُ فـانـحـروا واذبـحـوا
وجُـــرُّوا الـبـلاءَ عـلـى الـثـائـريـنَ ولا تـرحـمـوهـم ولا تَـصْـفـحـوا
وعـبّـوا دمـانـا الحـــرارَ الـتـي عـلـى مـلـعـبٍ لـلـلأذى تُـسْـفـحُ
وشـــاؤوا الـــذي شـئـتـم إنـنـا نـسـيـرُ ويـجـذِبـنـا (مـطـمـحُ)
جـعـلـنـاه غـايـتَـنـا والخـلـود وسـرنـا إلـيـه خـطـىً تمـرحُ
فـمـاذا يُـفـيـدُ بـأن تَـنـقَـمـوا وأن تَـسْـتـطـيـروا وتستقْبحوا
عـلـى مـسـرحِ المـجـدِ أنـشـودةٌ يـثـور لإيـقـاعـهـا المـسـرحُ
وفـي مـذبـحِ الإثـمِ والـتـرُهـات ضـحـايـا يـضـجُّ بـهـا المـذبـحُ

**

فـيـا حـامـلـيـنَ قـيـود الـغـزاة وعـارَ الخـنـوعِ....ألا سبّـحـوا....
خـنـوعٌ.. فـهـل هـو مُـسـتَـعـذبٌ وعـــارٌ.. فـهـل هـو مُـسـتَـمْـلَـحُ

**

وفـيـم الـشـمـوخُ وهـذي الـرؤوسُ نِـعـالُ الـسـفـيـرِ بـهـا تُـمـسـحُ
سـيـعـرفـنـا الـظـلـمُ عـنـد الـلـقـاء سَـيـعـرفـنـا عـنـدمـا نَجْـمَـحُ
وتـــعـــدو إلـيـه جـمـاهـيـرُنـا يُـؤجِّـجُـهـا الـهـدفُ الأسـمـحُ
وتـنـطـلـقُ الأغـنـيـاتُ الـعـذارى مـع الـفـجـرِ.. فـي وطـنـي تصدحُ
ويـنـهـارُ هـذا الـظَّـلامُ الرهـيـبُ ويـخـبـو تـعـجـرُفـهُ الأكـلـحُ

**

مواكبنا في دروبِ العُلى ضياءٌ تهشُّ له الأبطحُ
فيا حاملينَ قيودَ الغزاةِ لقد آن .... قد آن...أن تمّحوا
مهازلكم في عيونِ القرون قذىً يا لتاريخنا ... يجرحُ
وهذي (الكراسي) التي ترفعونَ غداً..تحتَ أرْجِلنا.. تُكْسَحُ

**

فديتَك كيف يكونُ اللقاءُ وهذي الغواياتُ لا تبرحُ
ملايينُ في ظلماتِ الحياةِ كما شاء ربُّ الأذى تُذْبحُ
وهذا الأنينُ العليلُ الذي يموتُ على الفمِ لا يوضحُ
أنينُ الثكالى ... أنينُ اليتامى أنينُ الشَّبابِ الذي يُسْفحُ
ودمدمةُ الحقدِ ملء الشِّعاب تقول لهم: أفصِحوا..أفصِحوا
وماذا تخافون من زُمْرَةٍ يظلِّلها العلمُ (الأقبَحُ)
(كلابٌ) ويا ويحَ تلكَ الكلاب على كلِّ (مزبلةٍ)... تَنْبَحُ...

**

ملايينُ في ظلماتِ الحياةِ تسيرُ الهويْنا ألا تلمحُ؟
تواثبها جائعاتُ الذئابِ وأنيابها بالدِّما ترشحُ
فيبقى الحطامُ هنا... وهناك ينادي الحياةَ ويستوضحُ
ألا خبِّرونا لماذا نموتُ وصدرُ الحياةِ لنا يُفْسَحُ...؟

**

وتنطقُ بالدمدماتِ السِّياطُ ... ويضطربُ الأفقُ (المترحُ)
ويكلحُ وجهُ الشروقِ الجميلِ ... ووجهُ البطولةِ...لا يكلحُ...
متى نتمنَّى فتحْلو المنُى ... متى نتغنَّى...متى نفرحُ...؟
متى لا أرى في بلادي سوى ... فم بابتسامتهِ يطفحُ...؟
وصدرٍ تلِجُّ به الأغنياتُ ... وقلبٍ إلى ما سما يطمحُ....
وعالم مكُرمة ما به ... قبيحُ... ولا فيه مستقبحُ
ألا خبِّروني متى لا يكونُ ... بموطننا للأذى مطرحُ..؟
فتغسلُ هذا الهوان الدماءُ ... وتنمو زهورُ العُلى تُشرحُ
فأُصبحُ كالطيرِ عند الشروقِ ... أُناغي الطبيعةَ إذْ تصبحُ

**

فديتكَ يا غنوةَ المكرماتَ ... أتبقى لأنيارهم ترزحُ
فديتكَ هذا دمي رشفةٌ ... لمثلكَ تقديمها يملحُ

١٩٥٥/١٠/١٢

# الأسطورة القدسية...

سيظلُّ يهزأُ بالرياحِ ندائي ... فعلامَ تعصفُ ثورةُ البغْضاءِ
أتظنُّني سأحطمُ النّايَ الذي ... خَفَقَت عليه عواطفُ الضعفاءِ
فغدا ركاماً من دمٍ متوثبٍ ... متطلِّعاً ... للمجدِ ... والعلياءِ
يرنو إلى الغدِ ...والسياطُ تنوشُهُ ... فيلوحُ في عينيهِ سيلُ إباءِ
متدفِّقٌ لا الريحُ توقفهُ ولا ... عَصْفُ الأذى وكتائبُ الأعداءِ
هو موكبُ التاريخِ... فليكفرْ به ... جندُ الغوى وفوارسُ الظَّلْماءِ
فليحشد الإرهابُ كلَّ عدائهِ ... وسلاحِهِ .... وجنودهِ البسلاءِ
وليعبروا الجسرَ الذي وقفت به ... يا للحياة مواكب الأحياءِ

**

أترى الجموعُ تسيرُ سيرةَ جازمٍ ... متحفزٍّ... متشوِّقٍ... للقاءِ
فتمرُّ عن جثثِ الشبابِ طروبةً ... من دونِ ما خوف ولا إبطاءِ
وتظلُّ تنشدُ والحياةُ قصيدةٌ ... محبوبةُ النغماتِ والأصْداءِ
وتزمجرُ الفحشاءُ وهْيَ لئيمةٌ ... فتهبُّ عاصفةً من الأرزاءِ
فأرى الحطامَ... حطامَ إخواني هنا ... وهناك...مُغْمِضَةً على الأقذاءِ
تتلمَّسُ الأنوارَ...دون رويّةٍ ... لتخطَّ للأجيالِ دربَ علاءِ

وتواثبت كالنارِ تزخرُ بالسّنى وتأجَّجَت كعواطفِ الشُّعراءِ
ومشت يحيطُ بها الظلامُ فلا تني بجماله...بشعابهِ الوعثاءِ
بالرعدِ يقصفُ... بالعواصفِ تَنْبَري بالسيلِ يصرخُ صرخةَ المُستاءِ

**

ولقد مشيتُ أجُرُّ ذيلَ تمرُّدي وتركتُ خلفي عُصبةَ الجبناءِ
يتمزَّقُ التاريخُ بين جوانحي وتُدَمْدِمُ الأجيالُ في أحشائي
ونظرتُ ..للآمالِ.. للغدِ.. للعلى والريحُ تعصفُ والرعودُ إزائي
عَطِشٌ وما في الأرضِ غير صبابةٍ أوتّستطيعُ صبابةٌ إروائي
وهناك ينبوعُ الحياةِ ترودهُ (زُمَرُ الوحوشِ)أليس فيه رجائي

**

يا وصمةَ الأجيال لا تتعجرفي سأظلُّ أبْسُمُ بسمةَ استهزاءِ
ولينقم الأربابُ نقمةَ مجرمٍ وليسحقوا الربوات من رُفقائي
هذي مواكبُنا ستبقى ها هنا في ليلنا الدَّاجي عمودَ ضياءِ

**

وتهبُّ عاصفةُ الصَّقيعِ على دمي لتُجمِّدَ الرَّعشاتِ في أعضائي
وتحيلُ أمالي ركاماً دامياً فيموتُ في الشفتينِ كلُّ غنائي
يا وصمةَ التاريخِ لا تتجبَّري لن تقبري أنشودتي وندائي

أنا صرخةُ الضغفاءِ في ظُلُماتهم أَعرفت من أين استطارَ مضائي
أفنى ويبقى العنفوانُ قصيدتي والكبرياءُ ملاحمي وعزائي
أنا ليس لي إلا الدِّماءُ ذخيرةٌ فعلامَ لا تروي العِطاشَ دمائي

**

تتململُ الخيلاءُ في صدري الذي يزري بكلِّ جنايةٍ وعداءِ
فأرى الجموعَ به نداءً دامياً متحفِّزاً متشوقاً... للقاءِ
والموكبُ الجبارُ ينتهبُ الخُطى في دربهِ... في الوحشةِ الخرساءِ
يا وصمةَ التاريخِ لا تتعجرفي أرأيتِ تلك نهايةُ الفَحشاءِ
الحقُّ كم جعلوه ربَّاً فاجراً عطشاً إلى الإجرامِ والنكراءِ
والحبُّ... كم هتفت منابرُ باسمهِ حتى سئمتُ مواعظَ الخطباءِ
والسلمُ ...كم نادى به حلفاؤهُ فكفرتُ بالدَّاعينَ ... بالحلفاءِ
فاكفر بعطْفِ الناسكينَ وقل لهم مهلاً ...أهذي رحمةُ الرُّحماءِ
اللهُ والسِّكينُ ....والدَّمُ... والتُّقى زادُ الكرامِ وثروةُ الحكماءِ
فلتنقم الفَحْشاء ولتعصف بنا برعودِها ...برياحِها الحمقاءِ
فالموكبُ الجبَّارُ ليس يردُّهُ غَضَبُ اللِّئامِ وثورةُ السُّفهاءِ
إني عطشتُ إلى الصَّفاءِ وليس لي في عالمي هذا سبيلُ صَفاءِ
وقفَ اللئامُ ببابهِ بسياطِهم ووقفتُ أنْظُرُ نظرةَ الغرباءِ

وتمـــرَّدَتْ فِـيَّ الحـيـاةُ وهـالـنـي سـوطُ الأذى فكفرتُ باستخذائي
ونفضتُ عن عينيّ أجنحَةَ الكَرى ورفعتُ في وجهِ (اللِّئامِ) لِوائي
وصـرخـتُ صـرخـةَ ثـائـرٍ متـحـفّـزٍ أنَـا هـهنا سـأكـونُ (كَبْشَ فـداءِ)

**

يـاعـالـمَ الأنـــوارِ فـيـم جِـنـايـتـي إنِّـــي كـفـرتُ بـذِلَّـتـي وشـقـائـي
بـالجوعِ ...جـوعـي للحياةِ بِنَقْمَتي بـنـذالـتـي....بـإرادتـي الـعـمـيـاءِ
ونـظـرتُ لـلـجـلادِ نـظـرةَ سـاخـطٍ وهـتـفـتُ: هـل تـسـتـهـدفـون عَـيـائـي
إنِّـي أنـا الـعـمـلاقُ ضَـمَّ جـراحَـهُ أظـنـنـتُـمُ أنـــي دفـنـتُ بـلائـي
ووقـفـتُ مـنـهـزمَ الإبـــاءِ مـضـيّـعـاً مـتـغـرّبـاً بـتـأوُّهـــي وبـكـائـي
سـأخـوضُ معركةَ الحياةَ فمن لكم بـهـزيـمـتـي الـنَّـكـراءِ ...عـنـد لـقـائـي
أنـسـيـتـمُ أنّـــي الجـمـوعُ وأنَّـنـي فـأسُ الجـيـاعِ ومـعـولُ(الـبـؤسـاءِ)
فـإلامَ تَـرْسِـفُ في القيودِ معاصمي والإمَ تَـنْـتَـهِـبُ الـسِّـيـاطُ إبـائـي
ونـظـرتُ لـلأجـيـالِ تـنـتـهـبُ الخُـطـى في الشَّوْكِ ... في الظُّلماتِ ...في الأنواءِ
وكـتـبـتُ والـتـاريـخُ يـنـظـرُ مـن علٍ أســطــورةً قُـدْسِـيّـةً بـدمـائـي
إنـي انـتـحـرتُ هـنـا انـتـحـارَ مُـؤمّـلٍ فـلـيـعـبـرِ الـتـاريـخُ...عـن أشـلائـي

١٧/١١/١٩٥٥

# أغنية الخلود

إلى أخويّ الصغيرين.. وإلى جماهير الصغار الذين ينتظرهم مستقبل غامض..

حقاً أخي ..ما زال يزعجكم مصيري
فأبي وأمي يخشيان عليَّ عاقبةَ العثورِ
وسياطَ(جلادي)العصورِ
أو لم يزالا يرغبان بأن أكفَّ عن المسيرِ
في الدربِ... درب غدي النضيرِ
وأنامَ في كوخي الحقيرِ
والناسُ ...تعبرُ كالقطيعِ إلى الهلاكِ.. إلى القبورِ
يتهامسون تهامسَ العَبَرات في الطَّرْف الكسيرِ
ويدمدمونَ على القضاءِ... على النداءِ المُسْتَجيرِ
وأظلُّ أزأرُ كالأسيرِ
أرنو إلى الغدِ... والضياءِ ...بطرفي المضنى الحسيرِ
وأصعِّد الآهاتِ.. يحرقها زفيري
لكن، أيُجديني زئيري؟

والسوطُ يقذفُ بي إلى ليلِ النَّذالة والفجورِ

أوَ يرغبان بأن أبيعَ النفسَ في سوقِ الشرورِ

وأصيحَ بالجلاد..يا جلادُ... قد قدست نيري

وسكبتُ من كبدي عليهِ، على سماجته، بخوري

لا...لن يطاوعَني شعوري

أن أعبدَ الأصنامَ... آلهة القبورِ

فئةٌ ممزقةُ الضميرِ

فئةٌ على يدِها مصيري

ومصيرُ شعبي .. وافترار الفجر عن إشعاعِ نورِ

أوَأستجيب إلى النداءِ ...نداءِ ليلهما الضريرِ ؟

وأكونُ أغنيةُ الظلام بهيكلِ (الصَّنم الكبيرِ)

لا ... لا سأبقى كالعواصفِ مُمْعِناتٍ في الهديرِ

وإذا جُررتُ إلى السجون... كما يُجرُّ المجرمون

ولقيتمو شظفَ الحياةِ ... بوجههِ الفظَّ اللَّعين

فتساءلوا ... لم تُقذف الالآفُ في ليلِ السجون ؟

وإذا قضينا في المعاقلِ مثلما شاءَ العُتاة

وتنفَّسَ الحقدُ الدَّفين فزلزلَ الأرضَ الأباة

فهناك غنّوا.. غُنْوة الجبار .. في الفجرِ السعيدِ

ولتنطلق رِمَمُ الجياعِ كما تشاءُ لها الحياة

فلقد مشى رَكْبُ العبيدِ

ولسوف في الغدِ تعلمون

انا غضبنا غضبة الأقدارِ في وجهِ الدمارِ

وتحمَّلت منا الخُطى لهبَ الظهيرةِ والوعورِ

وسياطَ (جلادي) العصورِ

ليعانقَ الفرحَ الصغار

ويفوز بالأملِ الكبار

هذي نضارتك الفتية

ستحطِّمُ القضبان.. قضبان السجونِ

وتهدُّ جدرانَ المعاقلِ والحصونِ

ولسوفَ تعلمُ حين ذاك لم انتفضنا ثائرين

ولم انتصرنا للقيودِ على المذلّة والقعودِ

وأبي وأمي سوف يحتسيانِ آلاماً عتية

وسيذرُفان مدامعَ الحقدِ السخيّة

وسينقمان على الإلهِ... على الوجودِ

وعلى سماسرة الحقودِ

أمّا أنا فلقد عزمتُ على المسيرِ

في الدربِ ... دربِ غدي النضيرِ

فلتعصف الأرزاء.. عصفة مستطيرِ

فإرادتي لن تستكين

سأخوضُ معركةَ القرون

فإذا سقطتُ على الترابِ ترابِ أجدادي ضحيّة

فلقد سقطّتُ ليسعدَ الآباءُ بعدي والبنون

وينام أخوتنا الصغار على ابتساماتِ السعودِ

فعلامَ يزعجكم مصيري

وعلامَ تجرف والديّ مرارة الألم العسيرِ؟

ألأنني سأكون أغنيةَ الخلودِ...؟

فبراير ١٩٥٦

# النَّرْجِسةُ البريئَة

وكتبتِها جُملاً مُثارة

جُملاً تؤجِّجها الطهارة

مشحونةً بالحبِّ... بالصرخاتِ... صاخبةَ الأنينِ

لكن لِمَ ارتجّت يداكِ فأهلكت خِصْبَ العبارة

وهتفتِ: أحرقها ولا تُبقِ الذي كتبت يميني

ونظرتِ حولك كالمُسيئة

تخشى من العدمِ انتهاره

لكن... علامَ ألستِ مؤمنةً بحافزكِ الأمينِ؟

بالحبِّ ..بالجملِ المُثارة

فلِمَ ارتجفْتِ وصحتِ بي :مَزِّق جُنوني...؟

أظننتِ أنك صرتِ حواء المُسيئة...؟

وغرقتِ في وحْلِ الخطيئة...

حين ارتمت شفتاكِ قائلةً...أحبُّكَ ...خَبّريني..؟

أمْ خفتِ عاقبةَ التجسُّسِ..والوشايةِ..والخَفَارة

والناسُ تمضغُ قصةَ(العملِ المشينِ)

لا..لا تخافي..يا ابتسامتيَ الحبيبة.. يا غنائي

ما زلتِ نرجسةً بريئة...

فتمرّدي ....أوَ ما كرهتِ ظلامَ منزلكِ الحزينِ؟

وعشقتِ أغنيةَ الطبيعة... والضياءِ؟

فلم انثنيتِ إلى الظَّلام.. ودستِ مُنيتكِ الوضيئة...؟

وسقطتِ كالعَبَراتِ تنزفها استجارة

وكتبتها جملاً محطمةَ الجلالةِ والإباءِ

موهونةَ النغماتِ تزخرُ بالشكايةِ .. والأنينِ

أنسيتِ أني كافرٌ بخرافةِ الوهمِ اللعينِ..؟

بحكايةِ الإرهابِ.. بالجندِ المُغيرة... بالكَدارة...؟

أجهلتني .. وجهلتِ نزوةَ كبريائي...؟

وحسبتِ أنك خضتِ معركةَ المجونِ

حين استجبتِ إلى الحياةِ ... وهي تعصفُ بالنداءِ...؟

ومتى عرفتِ الحبَّ يا حسناءُ مهزلةً دنيئة

فتخافُ مُهجتك القذارة

وترى الأذى .. في لفظةٍ سمحاءَ ... حافلةَ الرنينِ ...

كوني جرئية

إنا كفرنا بالسلاسلِ،بالمعاقلِ ،بالسُّجونِ

بالسوطِ بالجلادِ يَشْبع من تمردنا نهاره

ولقد مشتْ كالسَّيلِ كالإعصارِ قافلةُ القرونِ

فلِمَ انسحبتِ إلى الظلامِ ..ظلامِ منزلكِ الحزينِ .. ؟

هذا كتابُك ،سوفَ يبقى في يدي للحبِّ شارة

ولينقم (السفهاء) ولتكفر سفاهتهم بديني

إني أحبُّك، أنتِ، يا أملَ انتصاري يا فنوني

يا ثورةَ الإنسانِ يصنعُ من تألُّقه نهاره

فعلامَ أحرِقُ ما كتبت، وهل تطاوعني يميني ...؟

آذار ١٩٥٦

# بغداد ثوري

وبينما كان قلبي منساباً مع الرافدين... تعتمل فيه رؤىً عتيقة ...ارتطمت الطائرة بالأرض

ففتحت عيني لأرى طائرة من طائرات حلف بغداد تنتصب أمامي:

بغدادُ ..... ثوري

بغدادُ ..... يا بلدَ النسورِ

وأفقتُ من نومي على دنيا يموجُ بها شعوري

دُنيا الأباة

دُنيا الحضارةِ ... والجلالِ

دُنيا الصلابةِ ..... والنضالِ

دُنيا يظلُّ نداؤها الجبارُ .... يهزأُ بالعتاة

ببني (السَّلاجقة) القُساة

وبكلِّ مسفوحِ الضميرِ

من مثلِ (نوري)·

دُنيا يظلُّ نداؤها الجبارُ يصرخُ بالعصورِ

وبكلِّ طاغيةٍ حقيرِ
بالمجرمينَ .... السافحينَ دماءَ عزِّتنا الطَّهورِ
في مذبحِ الآثامِ .... في برجِ الحقارَةِ والشُّرورِ
دُنيا يظلُّ نداؤها الجبارُ ... يصرخُ بالطغاة

"إنا ...هنا ... إنّا عمالقةُ الدهورِ"
ولسوف نَحْطُمُ كلَّ نيرِ
ولسوف نقذفُ هذه الأغلالُ .... في نزقِ السَّعيرِ
فليحتدم غضبُ (الغزاة)
رهطُ السماسرةِ الجُناة
وليجعلوا ... من أرضِنا السَّمحاءِ مقبرةً كبيرة
ولينعُموا ... بمنابعِ البترولِ والنفطِ الغزيرة
وليقذفوا ... قُوتَ الملايينِ الغفيرة
قوتَ الجماهيرِ الفقيرة
لِفَمِ السماسرةِ (الغُزاة)
لِفَمِ النِّفاياتِ (الحقيرة)
ولينفقوا ... في (لندنَ) الرَّعناءَ ... في باريسَ ما جَمعَ العُراة

وليُحضروا الأغلالَ ...أغلالَ الفجورِ

وليمنعوا عن شعبِنا ... عن أرضِنا إشعاعَ نورِ

فلسوف تبقى أرضُنا ...أرضُ الإباة

أرضُ البطولاتِ الكبيرة

**

وتفيقُ في قلبي انفعالاتٍ مريرة

وتعودُ بي الذكرى إلى تلكَ اللَّيالي

أيامَ كنتِ منارةً... في كلِّ ناحيةٍ مُنيرة

تختالُ فوقَكِ رايةُ الأحرارِ زاهيةً ... فَخورة

**

وأراكِ .... لكن لا أرى إلا قلاعاً للضلالِ

إلا مطاراً ... للوحوشِ السَّائرينَ إلى القتالِ

للطائراتِ المجرماتِ .... وللمَدافعِ ...والذَّخيرة

إلا السلاسلَ والسياطَ تَئِنُّ مجرمةً حِيالي

إلا جموعَ الثائرينَ ... الظامئينَ إلى الحياة

إلا انتفاضاً حاملاً في قلبهِ حِقدَ اللَّيالي

حِقدَ الملايين التي تُلْقى إلى ليلِ القبورِ

حقدَ الملايين التي ترنو إلى الفَجرِ المنيرِ

حقدَ الجماهيرِ التي اشتاقتْ إلى الفجرِ الكبيرِ

فجرِ البطولةِ ... والسَّعادةِ ... والسُّرورِ

**

بغدادُ ... يا بلدَ النُّسورِ

أفديكِ .! يا بلدَ (المعالي)

أفديكِ ....من سجنٍ كبيرِ

للمجرمينَ ... لكلِّ طاغيةٍ حقيرِ

الكويت – ١٩/ ٤/ ١٩٥٦

# مَوْكِبُ التَّاريخ

وطـــنٌ يُـبـــاحُ وأمَّـــــةٌ تـتـشـرَّدُ  يـــا لـــلإبـــاءِ فـكـيـف لا نـتـمـرَّدُ
أنـرى الجـريمـةَ ثم نغمضُ طرْفنا  وكـأنـنـا مـن هـوْلـهـا لا نَـشْـهَـدُ
يـا نـقـمـةَ الأجـيـــالِ لا تـتـنـكَّـري  مـا زالَ فـي قـلـبـي إبـــاءٌ يـحـقِـدُ
الحـــقُّ كـم نـــادى مـنـــادٍ بـاسـمـة  وحـقـوقُـنـا نَـهْـبٌ لـديـهِ مـبـدَّدُ
والـسِّـلـمُ كـم نـــادى بـــهِ حـلـفـاؤهُ  وجـمـوعُـنـا بـلـظـى المـطـامـعِ تُـوقَـدُ
هـذي فِـلسْـطـينُ الحـبـيـبـةُ فـانـظـروا  والمـغـربُ الـعـربـيُّ يَـصْـرُخُ فـاشـهـدوا
مـا الـبـربـريَّـةُ فـي حـقـيـقـةِ أمـرِهـا  إلا الـذي كـتـبَ الـغَـزاةُ ...وأيَّـــدوا
أَمِـــنَ الـعـدالـةِ أن تُـشَـــرَّدَ أمَّـــةٌ  لـيـفـوزَ بـالـخـيـرِ الـعَـمـيـمِ الـسَّـيـدُ؟
أَمِـــنَ الـعـدالـةِ أن يُـبـاحَ تـراثُـنـا  ويُـــداسَ مـا نـزهـو بـه ونُـمـجِّـدُ؟
قـد شـاءَ (بـلـفـورُ) الـلَّـعـيـنُ فـقـسَّـمـوا  وألـحّ (شـرتـوكُ) الـلـئـيـمُ فـحَـدَّدوا
ومـضـى بـهـم جَـشَـعُ الـغـرورِ فـنـكَّـلوا  بـالآمـنـيـنَ ومـثَّـلـوا واسـتـعـبـدوا
وكـأنـهـم لـم يـفـعـلـوا إلا الـذي  يـرضـى الإبـاءُ بـمـثـلـهِ .. والـسُّـؤْدُدُ

**

لـلـهِ ... كـم مـن شـاهـدٍ فـي أرضِـنـا  ولَـكَـمْ هـنـالـكَ ثـائـرٌ ومُـشَـرَّدُ
عـصـفـتْ بـهـم ريـحُ الـغـزاةِ فـبـدَّدوا  والـثَّـــوْرةُ الـشَّـمـاءُ لا تَـتَـبـدَّدُ
لـلـهِ ... هـل فـي مـوطـنـي إلا فـتـىً  يشقى الحياةَ ... ويُبتلى ويُسهّدُ

الجـــوعُ يـحُـكِـمُ ذلَّـــهُ ويـضـيـرهُ ... والـقـيـدُ فـي إرهـابـهِ يـتـشـدَّدُ
والمـجـرمـونَ عـصـابـةٌ كـفـرت بـه ... فـمـضـت تـغـلُّ شـبـابـه وتـقـيِّـدُ
وجـراحـهُ الحـمـراء تـنـزفُ والـعِدى ... فـي كـلِّ صَـــوْبٍ حـولـه تـتـحشَّـدُ
أرأيـــتَ يـافـا تـسـتـغيثُ وتَشْـتـكي ... والـقـدسُ يخنقُها الـعـداءُ الأسـودُ؟
أرأيـتَ قِـبْـيَـةَ والـوحـوشُ تحيطُها ... وجـنـودُنـا تـغـفـو هـنـاك وتـرْقُـدُ؟
دَقَّـت نـواقـيسُ الـعـداءِ وأطلقتْ ... حِـمَـمٌ إلـى الـقـلـبِ الـطَّـعـينِ تُـسَـدَّدُ
وأصـابـت الحـرمَ الـشـريـفَ قذيفةٌ ... فـاهـتـزَّ فـي عـرشِ الخـلـودِ(مُـحـمَّـدُ)
يـا نـقـمـةَ الأجـيـالِ .. كـم مـن نكبةٍ ... دُمـيـت لـهـا مُـقـلٌ وحـــزّت أكـبُـدُ
مـرت عـلـى الأجـيـالِ فَـهْـيَ تحَـفـزٌ ... وأصـابـت الـتـاريـخَ فَـهْـوَ تـوقّـدُ
قُـــلْ لـلـذيـن يـزمـجـرونَ حـمـيّـةً ... إنَّ الـبـطـولـةَ هـاهـنـا فـاسـتـشـهـدوا
أونَـرهـبُ الـقَـدَرَ الـعـنـيدَ وبـطـشَـهُ ... وإبـاؤنـا الجـبَّـارُ ...مـنـهُ أَعْـنـدُ
هـــذي مـيـاديـنُ الـكـفـاحِ كـثـيـرةٌ ... فـعـلامَ بـاسْـمِ الحـقَّ لا نَـتـجـنَّـدُ؟
إنّـا سـنـحـفـرُ بـالـفـؤوسِ قـبـورَهـم ... ونَـهُـدُّ مـارفـعَ الـطُّـغـاةُ ... ووطَّـدوا
يـا أمَّـتـي والـفـجـرُ يَـنْـتَـهِـبُ الخُـطـى ... والـظـالـمـون ...تحـــفُّـــزٌ...وتَـــرَدّدُ
يـأبـى عـلـيـكِ المـجـدُ أن تـتـقـاعـدي ... عـمَّـا خُـلِـقْـتِ لـه ويـأبـى الـسُّـؤددُ
فـالـمـوكـبُ الـعـربـيُّ لـيـس يـــردُّهُ ... طـــاغٍ ولا يَـثْـنـي خُـطـاهُ مُـهـدِّدُ
هـو مـوكـبُ الـتـاريـخِ...ولـيـتـنـكَّـروا ... فـلِـثـورَةُ الـشـعـبِ الأبـيـةِ ..مـوعـدُ
ولـيـرهـقـوا أحـــرارَنـــا بـقـيـودِهـم ... فـالشَّـعـبُ ..كلُّ الشعبِ ...كيف يُقَيَّدُ؟

حِـطّـيـنُ تـلـك روايـــةٌ جـبـارةٌ ... فـي كـلِّ يـوم عـنـدنـا...تـتـجـدَّدُ
هَـبَّـتْ مـن الأردنِّ فَـهْـيَ مـلاحـمٌ ... يَـشْـدو بـهـا وَتَـرُ الـعُـلـى ويُـخـلِّـدُ
ومـن الجـزائـرِ كـم أفـاقـت ثـورةٌ ... فـالـمـجـرمـونَ لـدى الـعـرائـسِ سُـجَّـدُ
فمضت فرنسةُ في الجريمةِ وادَّعت ... أن الأُبـاةَ عـلـى الـنِّـظـام تـمـرَّدوا
وعـلـى ثـراكِ الـسَّـمْـحِ كـم مـن وثـبةٍ ... نشأت ...وكـم لاقـى الـنهايةَ مُـفْـسِـدُ
إن الـبـطـولاتِ الـتـي تحـيـا بـنـا ... فـي كـلِّ شـبـرٍ مـن تـرابِـكِ تُـولَـدُ
وتُـطـلُّ مـن خـلـفِ الـسِّـتـارِ عـصـابـةٌ ... نـوري الـسـعـيـد وراءَهـــا يـتـوعَّـدُ
الـشـرُّ مـــلءَ عـيـونِـهـا مُـتـطـلِّـعٌ ... والـحـقـدُ مـلءَ قـلـوبـهـا مُـسْـتـأسِـدُ
نَـظَـرت إلـى الـتـاريـخِ نـظـرةَ مُـجـرم ... يـخـشـى انـطـلاقـتَـهُ الـتـي لا تُـجْـحَـدُ
وتـوَهَّـمـت رُسـلُ الـحـقـيـقـةِ عـصـبـةً ... تَـهْـذي بمـا قـذفـت الـيـه وتُـفـسِـدُ
فـالـثَّـائـرُ الجـبَّـارُ عـاصٍ مـارقٌ ... والـفـيـلـسـوفُ الـفـذُّ أحـمـقُ مُـلْـحِـدُ
هـذي الـحـثـالاتُ الـتـي وقـفـت لـنـا ... جـيـشٌ لأعـــداءِ الـحـيـاةِ مُـجـنَّـدُ
تشقى البلادُ سهولُها وجبالُها ... وترابُها السَّمْحُ الحبيبُ ليسعدوا
وتسيلُ ثروتنا وتُخْصِبُ أرضنا ... لـيـوزِّعـوا ولـيُـنـفـقـوا ويُـبـدِّدوا
لـيـمـوتَ أبـنـاءُ الـبـلادِ مـجـاعـةً ... ولـيـزهـقـوا ولـيـسـحـقـوا ولـيُـجْـهَـدوا
وليقبلوا الكابوسَ ..كابوسَ الأذى ... ولـيَـعْـبُـدوا مـاشـاءَهُ...الـمُـسـتـعْـبِـدُ
لـتـظـلَّ عـاصـمـةُ الـرَّشـيـدِ فـريـسـةً ... يـلـهـو بـهـا الـمُـسْـتَـعْـمِـرُ الـمـتـمـرِّدُ
ويقيم فيها التُّركُ حِصْنَ دعارةٍ ... (بـايـار) رائـدُهـا ونـوري الـمُـرشِـدُ

يحمي بها المستعمرونَ قلاعَهم ... ويحاولون أمامنا أن يَصْمُدوا
أن ينهبوا قوتَ الجياعِ ويَغْصُبوا ... أملَ الرعاعِ ويعزلوا ويُسوِّدوا
لتظلَّ إسرائيلُ بين ضلوعِنا ... شوكاً يمزِّقُ قلبنا.. ويُقدِّدُ
فتحقق الأمل الذي قالت به ... تلك العصاباتُ التي لا ترشدُ
تلك العصاباتُ التي ماراعَها ... إصرارُنا المتجدِّدُ.. المُتمرِّدُ
فمضت كما شاءَ الهوى وكأنها ... ظنَّت بأنَّ بني العروبةِ هُجَّدُ
وبأنَّ أبطالَ الجهادِ تمزَّقوا ... والثائرينَ على الهوانِ استنفدوا
قُلْ للذين سيوفِدون رجالَهم ... ليوطِّدوا (صهيون)لا..لا تُوفِدوا
الصُّلحُ ...إنَّ الصلحَ ليس بكائنٍ ... مهما استطارَ المجرمونَ وعَرْبَدوا
يا ويحَكم هذي الكتائبُ تنبري ... فإذا بقيثارِ الزمانِ...يُردِّدُ
يا أيُّها المستعمرونَ رويدكم ... ساءت سياسَتُكم وساءَ المقْصِدُ
وغداً ...غداً تقضي العدالةُ بيننا ... فتنكروا لبني العدالة واعتدوا
ولسوفَ يعرفُنا الزعانفُ ثورةً ... شعواءَ تَصْرَعُ جيشَهم وتبدِّدُ
وتطهِّرُ التاريخَ من أدْرانهم ... وتعيدُ للأجيالِ ما هم أفسدوا
فيعودُ ساحلُنا الحبيبُ لشعبنا ... فنردُّ للحرُماتِ ما هي تَفْقِدُ
وطنُ العروبةِ لن يكون لغيرها ... فعلامَ تَسْخَرُ زمرةٌ وتهدِّدُ؟
وإلامَ تنتفضُ الزعانفُ خشيةً ... وسبيلُها نحو الزَّوالِ ...مُمهَّدُ؟
عَمَدَت إلى وأْدِ النِّضال وراعَها ... أن تبصرَ الإعصارَ لا ..يتردد

وبغى الضلالُ سجودَه فإذا به ... للمجرمينَ على المدى لا يَسْجُدُ
مهلاً سماسرةَ الدَّمارِ فإنما ... وَهجُ البطولةِ والعُلى لا يوءَدُ
والثائرونَ المؤمنونَ بحقِّهم ... كفروا بأصنامِ الفسادِ ونَدَّدوا
ومضوا يشقّون السبيلَ سبيلَهم ... واللَّيلُ يرعدُ..والأذى يتوعَّدُ
لكنهم نثروا الجماجمَ في الرُّبى ... فالدربُ أوضحُ والسبيلُ مُعبَّدُ
ودماؤهم نورٌ يُطلُّ على الدُّجى ... فإذا الدُّجى من نورهم يتوقَّدُ
عقدوا القلوبَ على الفدى وتطوَّعوا ... ا للثَّأرِ فانتفضَ الغُزاةُ ... وشهَّدوا
وتردَّدَت صَرَخاتُهم فمكبَّرٌ ... ممّا يرى ... ومهلِّلٌ... ومُمَجِّدُ
ومضى ليصنعَ شعبُنا تاريَخه ... ويعيدَ ماصنعَ الأباةُ...وخلَّدوا
ليعيشَ حرّاً..خالداً بربوعهِ ... يصبو إلى الشَّرفِ الرَّفيعِ... ويَجْهَدُ
وسمعتُ للجيلِ العريبِ قصيدةً ... عربيةً في كلِّ بيتٍ تُنْشَدُ
الثورةُ السَّمْحاءُ تملأُها سنىً ... والشعبُ يمنحها الحياةَ فتصمدُ
(العودةُ الكُبرى) وكم من ثائرٍ ... للعودةِ الكُبرى... يُعدُّ ويحشدُ
والوحدةُ الكبرى ..فهل من جاهلٍ ... إن العروبةَ في غدٍ... تتوحَّدُ
وبأنَّ ما نبغيهِ ...ليس توهُّماً ... وبأنَّ نَصْرَ الثائرينَ...مؤكَّدُ
للمجرمينَ ضلالُهم..وشقاؤهم ... ولنا بَسالةُ شعبِنا ..ولنا الغدُ

الكويت في ١٥/٥/١٩٥٦

# بطولاتُنا... والغدُ الأكبرُ

بـطـولاتُـنـا والـغـدُ الأكـبـرُ ... نـداءٌ تـردِّدهُ الأعـصُـرُ
وأنـشـودةُ الـفـجـرِ... فجرِ الكفاحِ ... ضـيـاءٌ عـلـى دربِـنـا يُـنْـثَـرُ
وهـذي الجماهيرُ ... في أرضِنا ... قـوافـلُ ... لـلـمُـلـتـقـى..تـقـطُـرُ
يـؤجِّـجُـهـا الـثـأرُ....ثـأرُ الإبـاءِ ... ويـدفـعُـهـا...وعـيُـهـا الـنـيِّـرُ
فـقـل لـلـحـثـالاتِ ...والـغـاضـبـينَ ... هـو الـشـعـبُ مـن مـكـركـم أكـبـرُ
هـو الـشـعـبُ ولـيـفـهـم المـجـرمـونَ ... بـأنـا ...بـإيـمـانـنـا ....أقـدرُ
وإنَّ شـريـعـتَـهـم..... لـلـزَّوالِ ... وإن .....شـريـعـتـنـا....تـظـفـرُ

**

فـيـا أمَّـتـي... والـظـلامُ الحـزيـنُ ... يمـزِّقـهُ.... وَهْـجٌ.... مُـسْـفِـرُ
وثـورتُـنـا.....ابـتـسـمـت للـنضـالِ ... فـسـارت مـواكـبُـهـا ...تَـسْـمُـرُ
ففـي كـلِّ شـبـرٍ جـراحٌ تسيلُ ... وأيـدٍ مُـلـوّحـةٌ .....تُـنـذرُ
وفـي كـلِّ قـلـبٍ نـداءُ عـريـب ... ودمـدمـةٌ..... حـرةٌ ....تَـزأرُ
عـلـى الـسـافـحـينَ دم الآمـنـينَ ... لـيـلـهـوا بـهـا .... ولـيـسـتـهـتِـروا
على الـغـاصـبـينَ ابـتـسـامُ الـصِّـغـارِ ... لـيـشـبـعَ جـوعـهـم ... الأحـمَـرُ
عـلـى حَـفْـنـةٍ مـن حُـطـامِ الـعـبـيـدِ ... تـخـافُ الـسَّـنـى...عـنـدمـا يُـسْـفِـرُ

إذا ابتسمت شعَّ وجهُ الحقود وإن هَتَفَت.....هتَفَ المُنْكَرُ
تُسِّخرُ أنفُسَها للغزاةِ لجيشِ الدمارِ.... لمنْ يمكرُ
ويا أُمَّتي كَثُرَ الطامعونَ وأشرقَ للعينِ...ما دبَّروا
وصاحت دماؤك والذكرياتُ فأرضُ الجدودِ...مُدى تُشْهَرُ
وناداكِ للثأرِ تاريخُنا فضجَّت على القممِ... الأنسُرُ
وراحَ النداءُ يحثُّ القرونَ ويصرخُ فيها...متى تثأرُ
متى نستعيدُ الترابَ الخصيبَ متى يشرقُ الحلمُ الأخضرُ؟
متى يستفيقُ الوجودُ الطّعينُ على القيدِ، قيدِ الأذى يُكْسَرُ؟

**

وضجَّ القراصنةُ الأشقياءُ وألهبهم ....فَزعٌ... مُسكِرُ
وثارت علينا ضلالاتُهم وسارت .إلينا رؤى تُذْعِرُ
قراصنةُ الدمِ ... هل يهنَأون إذا لم يُبيحوا ... ولم يَنْحَروا... ؟
وآلهةُ الحربِ ...هل يهدأون وفي الأرضِ...أغنيةٌ تؤثَرُ.... ؟
تحنُّ نفوسهم .. للدَّمار كما حَنَّ للراحةِ المُضجَرُ
فإن عَشيت ليلةُ المجرمين فثاروا على الحقِّ ...واستهتَروا
وسارت إلينا أساطيلُهم يؤجِّجُها...حَمَقٌ...مُسْعَرُ

رأيـــتُ كـتـائـبَـنـا فـي الـقـنـال كـتـائـبَ شـمَّـاء ... لا تُـقـهَـرُ
كـتـائـبَ زاحـفـةً كـالـلـهـيـبِ كـعـاصـفـةٍ...فَـظَّـةٍ تـعـبـرُ؟
أيـغـفـو عـن الـغـصّـةِ الـثـائـرونَ وفـي هـذه الأرضُ مُـسـتـعـمِـرُ؟
ويـسـلـو الـرفـاقُ...رفـاقُ الـكـفـاحِ وفـي كـلِّ حُـنـجـرةٍ...خـنـجَـرُ؟
وأشـلاؤنـا فـي ربـاك الـفـسـاح عـلـى كـلِّ مـنـعـطـفٍ تُـنْـثَـرُ؟

**

(قـنـال) أقـامـتـهُ فـي أرضِـنـا جـمـاهـيـرُ مـن شـعـبِـنـا سُـخّـروا
جـمـاهـيـرُ سِـيـقـت إلـى حـتـفِـهـا لـيـرضـى الـغـزاة... ويـسـتـعـمِـروا
ألا تـسـمـعـونَ سـيـاطَ الـعُـتـاةِ بـأحـيـائِـنـا .... بـالـقـرى ... تَـسْـهَـرُ؟
لـيـنـعـمَ بـالـثـمـراتِ الـعـلـوجُ ويـبـسـمُ لـلـحـظِّ...((مُـسْـتَـثـمِـرُ))...؟

**

أجـل أيـهـا الـمـجـرمـون الـغـزاةُ جـمـاهـيـرُنـا.... لـم تـزلْ ...تَـحْـفُـرُ
ولـكـنْ أخـاديـدَ لـلـظـالـمـيـنَ بـهـا كـلُّ أوهـامِـهِـم....تُـقْـبَـرُ
مـاذا يـفـيـدُ بـأن يـصـرُخـوا ومـاذا يـفـيـدُ بـأن ...يَـزْجـروا
ومـوْكِـبُـنـا ...هـمـمٌ...تـلـتـظـي وأفـئـدةٌ...حـرةٌ...تَـجْـهَـرُ
فـمِـن ثـائـرٍ عـاصـفٍ بـالـحـيـاةِ تـطـلُّـعـهُ الـشـامـخُ الأسَـمـرُ

ومِـــن شـــاعـــرٍ بسـمـيـح المـنـى ... بـأحـلامِـنـا ...قـلـبُـه... يـزْخَـرُ
ومـــن والـــدٍ فـي ظـــلامِ الـقـرونِ ... يـسـيـرُ إلـــى المـــوتِ لا يَـقْـتُـرُ
يـــردِّدُ...أغـــنـــيـــةَ الخـالـديـن ... هـو الـثـأرُ... يـا قـومَـنـا ...فـاثـأروا
ويـــا إخـــوتـــي هـلِّـلـوا لـلـصـبـاحِ ... صـبـاحِ البطولةِ .... واستَبْشِروا
فـــإنَّ الـغـدَ الـعـربـيَّ الـكـبـيـرَ ... عـلـى رغـمِ سـطـوتِـهـم...مُـزْهِـرُ
غـد الـصَّـامـديـنَ...غـد الـصَّـاعـديـنَ ... يـضـجُّ بـهـم (مـطـمـح) خـيِّـرُ
وتـدفـعُـهُـم لـــدروبِ الـدمـاءِ ... (عـقـائـدُهـم) والـسـنـى المُـهْـدَرُ
عـقـائـدُ يـربـطُـهُـم بـالـخـلـودِ ... تمَّـــرُدُهـــا الـصَّـــامـــدُ المـوغَـرُ
(عـقـائـدُ) مـاصَـرَخـت بـالـغـزاةِ ... ولـم يستطيروا ... ولـم يُـدْبِـروا
أيـنـسـى ( جـزائـرَنـا ) ظـالـمٌ ... رؤاهُ عـلـى أرضِـنـا تُـهْـصَـرُ ؟
وينسى القنالَ عجوزُ العصورِ ... وفـيـه تـطـلُّـعـهـا يُـعـصـرُ ؟
وينسى القنالَ لصوصُ البحارِ ... وأشـبـاحُـهُـم فـوقـه تُـدَثـرُ؟
أيـنـسـى الـعـروبـةَ مُـسْـتـثـمِـرٌ ... أينسى العروبةَ ...مستعمرُ؟
وفـــي أرضِـــنـــا أمَّـــةٌ ...حـــرَّةٌ ... إلـــى كـــلِّ مـعـركـةٍ ...تـنـفُـرُ
أجـــلْ أيـهـا الـثَّـائـرونَ الأُبـــاةَ ... طـلائـعُـكـم ...أشـرقـت ...تَـــزْأرُ
(طـلائـعُ)...ضـمَّ الـشـبـابَ العتيَّ ... تحـفُّـزُهـا ...الـرائـع...الـنـيِّـرُ

يـجـمـعُـهـا(أمـلٌ)...واحـدٌ ... ويـربِـطُـهـا (هـدفٌ أكـبـرُ)...
فـكـلُّ ابـتـسـامٍ نـداءُ حـبـيـبٍ ... يُـرَدِّدُهُ حـبُّـنـا الأَطـهـرُ
وكـلُّ انـتـفـاضٍ ضـيـاءُ فـتـىً ... تسيرُ على نـورِهِ ... الأعـصُـرُ
أجـلْ ...أيـهـا الـثـائـرونَ الأبـاةَ ... لنا مصرُ...و(النيلُ)..(والأحمرُ)
لـنـا مـصـرُ لا الـلـصـوصُ الَّـتـي ... بـأرواحِـنِـا ... بـالـدِّمـا ... تَـتْـجُـرُ
لـشـرذِمَـةٍ مـن جـيـاعِ الـذِّئـابِ ... مـن الـشَّـرَهِ الـفَـظِّ ...لا تُـبْـصِـرُ
حـقـيـقـتُـهـا فـي شـعـارِ الـوجـودِ ... هـي الـفـمُ ...والـنَّـابُ...والأظْـفُـرُ
لـنـا مـصـرُ...ولـيـعـرف المجرمونَ ... بـأنَّـا لـمـصـرَ...ومـا نَـذْخَـرُ
وأنَّـا سـنـلـقـاهـمُ فـي الـقـنـالِ ... كـتـائـبَ خـرسـاءَ لا تُـحْـصَـرُ
(كـتـائـبَ) مـؤمـنـةً بـالـحـيـاةِ ... عـواصِـفُـهـا انـطـلـقـت تَـهْـدُرُ
إذا مـا اسـتـفـزت بـطـولاتـهـا ... عـلـى كـلِّ طـاغـيـةٍ ...تُـنْـصَـرُ
فـإن أزِفَـت سـاعـةُ الـلـتَـقـى ... فـلـلـمـوتِ...لـلـمـوتِ...مـا جَـمـهـروا
ولـلـهـدمِ... كـلُّ الـذي شـيَّـدوا ... ولـلـرَّدْمِ ...كـلُّ الـذي (عَـمَّـروا)
ولـسـنـا نـحـبُّ الأذى والـدمـارَ ... كـمـا يـدَّعـي ...حـاقـدٌ...مـوغَـرُ
ولـكـنـهـا ثـورةٌ ...حـرةٌ ... بـنـيـرانـهـا...أرضُـنـا ..تـطـهـرُ؟
ألا تـلـمـحـونَ ضـلالاتِـهـم ... بـقـايـا مـحـطـمـةً ...تـنـخـرُ؟
وإنَّ الـسـجـونَ الـتـي شـيَّـدوا ... وإنَّ الـقـيـودَ الـتـي (سَـمَّـروا)

سَتَصْحَبُهم في طريقِ الهلاكِ وفوْقَ نفاياتِهم ...تُطْمَرُ
ففيمَ تصيحُ حُثالاتُهم ونحنُ بِغَلْوائِها ...نَكْفُرُ
أينفعُها أنَّها تشتكي وينفعُها أنَّها...تُنْذِرُ
وللثأرِ جَلْجَلَةٌ وانتفاضٌ وللشعبِ ....محتشدٌ مُذعرُ
وماذا يفيدُ الكبارَ الثلاثةَ هَوَجُ القلوبِ وإنْ (قَرَّروا)
أتخشى البطولةُ أن يغضَبوا على الثائرينَ... ويستنْكِروا
وللثائرينَ نداءٌ أشم يضُمُّ الجراحَ... ويستكْبِرُ
وتصحو عليهِ زهورُ الخلودِ أكاليل ...من دمِهِم..تضفرُ

**

أو اجتمعوا لتحق الحقوق كما زعموا ...أم لكي يغدروا
وللمخزياتِ... وتاريخها بتاريخهم...منزلٌ...أشهَرُ
تلفُّ البطولةُ أرجاسَهم فما من بطولتِهم أعْهَرُ!
أجلْ أيُّها المجرمونَ الغزاةَ فلسطينُ ما برحت تنظرُ
(وطَنْجةُ) مُطرقةُ الكبرياءِ و(اسكندرونةُ) تستفْسِرُ
تآمركُم ....وأضاليكم ضحايا الشعوبُ بها أخْبَرُ
(وأحلافُكُم) مثلُ وجهِ (السعيد) على رغم ثورتهِ...مُقْفِرُ

فديتك ماذا يخافُ الشبابُ ... صعاليك في أرضنا (أُمِّروا)
وكيف يخافُ عبيدَ الظلامِ ... حداءً...تواكِبُهُ....الأعْصُرُ
وأغنيةٌ هلَّلَ العابرونَ ... بها....والعروبةُ....والمَعْبَرُ
(هو الشعبُ وليعرف المعتدونَ ... فثورتهُ البِكْرُ... لا تَغْفِرُ)
هو الشعبُ إن هبَّ لا (هتلرٌ) ... يَشلُّ خطاهُ...ولا قَيْصَرُ)
فأيّ العمالقة الأقوياء ... بيومِ انتفاضتِه... استنفروا

الكويت- في ٢٦/٨/١٩٥٦

# حِكايةٌ كَبيرة

وأفقتُ ألمسُ هدأةَ الذكرى وقد ضَجَّت عروقي

بحكايةِ الأمسِ القصيرة

بحكايةِ الأمسِ الكبيرة

يومَ التقينا....في الطريق

قلبان يبتسمانِ...للغدِ... للبراعمِ... للشّروق

قلبان تعصفُ فيهما أنشودةُ النور المثيرة

ودفنتُ ذكراك المنيرة

في عمقِ أعماقي الفسيحةِ.. في انتفاضي... في احتراقي

في صبْوتي لغدٍ طليقِ

في صبوتي... لمنى نضيرة

ومضيت يدفعني اشتياقي

ومررتُ بالأشواكِ.... بالأمواجِ ... بالدمِ... بالدموعِ

بحكايةِ الأمس القصيرة

بأبي ... بأمي المستجيرة

بجموعِ إخوتنا الصغار.... الباحثينَ عن الربيعِ

في ظلمةِ الليل المروعِ

بالصارخينَ على المذابحِ ... في الجزائر والعراق

في الشامِ..في رملِ الجزائر

(بالمجرمين) يدنّسون ثرى ملاعِبنا الفساحِ

ورأيتُ وجهكِ بين آلآف الوجوه المستطيرةْ

بين الجماهير الغفيرة

بين الرفاق ؛

متحفزاً للملتقى في الليلِ... في وعْرِ الطماحِ

في الشمس .... في وَهجِ الظهيرة

ينسابُ منه سَنى السماح

وتَشِعُّ فيه منى نضيرة

والأرضُ... تَعْصِفُ بالرياحِ

بعويلِ (آلهةِ السلاحِ)

ويداكِ تمتدّانِ في الظَّلْماءِ.... من بين الرماحِ

لتضمَّ... في صمتٍ... جِراحي

مُدِّي يَديكِ فقَدْ ذكرت حكايةَ الأمسِ الكبيرة

يومَ التقيْنَا في الطَّريقِ

وذكرت أغنيةَ الرفاقِ

في الشَّامِ... في ليلِ العراقِ

في تونسَ الخضراءَ... في قِمَمِ العرائسِ .. في الجزيرة

مُدِّي يديْكِ ومزِّقي عن ليلِكِ (المصلوبِ) نَيْرَه

فَلَقَد رأيتُكِ في انطِلاقي

بينَ الجماهيرِ الغفيرة

بين الرِّفاقِ

تَتْمزقينَ أسىً وغيرة

لتهدِمي عن قلبكِ "المسجونِ" سوره

وتُقاسِميني... ليلَ جُوعي

جُوعي الذي أحياهُ.. أحلاماً مُنَمّقَةً كثيرة

الكويت–آب ١٩٥٦

# يا طريقَ الجراح

يـــا طـــريـــقَ الجـــــــراحِ أنـــــتِ الـطـريـقُ
أنـــــتِ.... مـــا يُـنْـشِـدُ الـوجـودُ الـطَّـلـيـقُ
أنـــتِ هـــذا الـرصـــاصُ يـسـتـصـرخُ المَـــوتَ
فـــتـــلـــقـــاهُ... أكـــبـــد... وعـــــروقُ
يـــا طـــريـــقَ الجـــــــراحِ..... أنـــتِ المـلايـينُ
تـلـظّـى بـــهـــا... الـــسَّـــمـــاحُ المـشـــوقُ
فـتـحـدث أصـــنـــام "عـــالَمـــنـــا الحـــر"
وصـــاحـــت... مـتـى يـثـورُ الـرقـيـقُ؟
ومـتـى تـصـرخُ الـبـطـولاتُ بـالـشـعـبِ
فـــأرضُ الجـــدودِ...حُـــلـــم رقـيـقُ؟

**

واسـتـجـابـت وهـــرانُ... وانـتـفـضـت مـصـرُ
وهـــبَّـــت عـمـانـنـا ..... تـتـحـدى

تـــــزرعُ الأُرضَ كـــبـــريـــاء وتـــــذرو
فـــي صـــحـــارى الحـــيـــاةِ.. والمـــــوت مـجـدا
واســـتـــجـــابَ الجـــــدودُ فـــانـتـفـضَ الـتـاريـخُ
وَحْـــــيـــــاً وعُـــنـــفُـــوانـــاً وخُـــلْـــدا
ومَـــضَـــيْـــنـــا نـــخـــطُّ أُغـــنِـــيـــةَ المـــجـــدِ
ونـــبـــنـــي الـــغـــدَ الـــعـــظـــيـــمَ... المُـــفـــدَّى
نـتـحـدَّى الـــطـــاغـــوتَ... فـــي أرضِـــنـــا الـبْـكـرِ
ونُـــلْـــغـــي الحـــــــدودَ... حـــــــدّاً.... فـحـدا

**

يـــا طـــريـــقَ الجِـــــــراحِ... هـــذي ضـحـايـانـا
عـــلـــى الـــــــدَّرْبِ... ثَـــــورةٌ تَـسْـتَـفِـيـقُ
ونِـــــداءٌ يـــظـــلُّ يَـــسْـــتَـــصْـــرخُ الـــثـــورةَ مـا
اســـتـــصـــرخ الـــرِّفـــاق .... الـــشـــروقُ
هـــــذه الأغـــنـــيـــاتُ... دفءٌ ربـــيـــعـــيٌّ
وفـــيْـــضٌ مـــن الـــــنـــــزوعِ.. دفـــــوقُ
حـــمـــلـــتـــهُ الجـــمـــــوعُ فـــانـــقـــضَّ إعـــصـــارٌ

وثـــــارت حـــول الـــذئـــابِ الـــبـــروقُ
ووقـــفـــنـــا نـــقـــولُ لـــلـــدَّهـــرِ عـــذراً
لـــنْ يـــخـــونَ الـــفَـــخَـــارُ شـــعـــبٌ عـــريـــقُ

**

لـــن تـــخـــونَ الـــفَـــخـــارُ... هـــذي الـــبـــطـــولاتُ
ولـــــن تـــسْـــتـــكـــيـــنَ... هـــــذه الجـــــراحُ
وعـــلـــى الأرضِ مـــجـــرمٌ يـــتـــنـــزَّى
لـــــوثـــــوب.. وغـــــاصـــــبٌ ســـفـــاّحُ
درْبـــنـــا ذاك مـــا أرادَ المـــيـــامـــينُ
ومـــا شـــاءَ شـــعْـــبُـــنـــا... والـــســـمـــاحُ
فـــلـــتـــغـــنّ الـــطـــريـــقُ هـــذي الجـــراحـــات
فـــإنّـــا تحـــفـــزُّ... وكِـــفـــاح
أيـــخـــافُ الـــسِّـــلاحَ.. شـــعـــبٌ يُـــنـــاديـــه
لـــلـــســـاحِ... كُـــلَّ يـــومٍ سِـــلاحُ

**

يـــا طـــريـــقَ الجـــــراح... هـــذي الجـــزائـــر
مَـــوْكِـــبٌ... مِـــن مـــواكـــب الخُـــلْـــدِ ســـائِـــر

تـتـنـزى عـلـى جـنـاحَـيْـهِ أحـلامُ
بـلادي... وتـسـتـفـيـقُ الـبَـشـائِـر
فـالجـمـاهـيـرُ ثـورةٌ تَـلْـطُـمُ الـوحـشَ
فـتـهـوي نـيـوبُـهُ... والأظـافِـر
ورُبـى الـقـدسِ تَـسْـألُ الـشَّـطَّ عـنّـا
وعـن الـثـأرِ... والـصَّـبـاحِ الـظَّـافـر
عـن رِفـاقِ الـسِّـلاحِ يـومَ يُـنـادِيـهـم
إلـى الـعُـنْـفُـوانِ... جـرحُ ثـائـر

**

عـن رفـاقِ الـسِّـلاح يـومَ يُـنـادِيـهـم
إلـى الـعُـنْـفُـوانِ ... روحُ الجـدود
فـيـثـورُ الـبـركـانُ بـركـانُـنـا الـغـافـي
وتجـري... ريـاحُـهُ... فـي الـوجـودِ
حـامـلاتٍ رُؤى الـعـروبـةِ والـبـعـثِ
وأحـلامَ... عـالَـمٍ... مَـكْـدودِ
إنـه الـشـعـبُ... صَـرْخَـةٌ تـتـحـدَّى
كـلَّ أصـنـامِـهِ ... وكـلَّ الـقـيـودِ

نـــفـــرت لـــلـــقـــاء... كـــل حـــنـــايـــاه
وســـــارت عـــلـــى حِـــــرابِ الجـــحـــودِ
صـــــارخٌ بـــالجـــلادِ.... هـــذي طَـريـقـيَ
قـد بـــدأت الـــتـــاريـــخ.... مـــن بـــور سـعـيد

**

يـــا طـــريـــقَ الجـــــراح هـــذي خـطـايـانـا
دعـــــــاءٌ وثـــــــورةٌ وانـــطـــلاقُ
وشـــبـــابٌ يُـطـلُّـل مـــن غَـــمْـــرَةِ الـبـؤسِ
دمـــــــاءٌ.... عـــلـــى الـــطـــريـــقِ تُـــراقُ
مـــوســـمٌ مـــن مـــواســـمِ الـكـبـر يـدعـونـا
إلـــيـــهِ.... إصـــــرارُنـــــا.... الخـــلاقُ
فـمـتـى تَـهـتـفُ الـبـطـولـةُ لـلـجُـرْحِ
ويـــبـــدو هـــتـــافُـــهـــا.... يـــا رفـــــاقُ :
"لـــن تـظـلَّ "الأوراسُ" تـعـبـدُ أوثـــانَ
صَـــغـــارٍ ولـــن يَـــظـــلّ الـــعـــراقُ".

١٩٥٧/٣/٢٥

# لا تَسأليني

**إلى أم عربية**

لا تسألـيـنـي فـيـم لـم تُجـب ... أنـا لـسـتُ فـي وطـنـي بمـغـتـربِ

الـــدارُ داري... مـذ نـزلـتُ بـها ... ضـمّـت جـوارحـهـا عـلـى كُـرَبـي

لا تـسـألـيـنـي...كـلُّ مـتـعـبـةٍ ... أمـــي.. وكـــلُّ المـتـعـبـيـنَ أبـي

شـعَّـت جـراحـي فـي مـحـاجـرهـم ... تـلـك الـتـي تـقـتـاتُ بـالـتـعـبِ

تـلـك الـتـي تـنـشـقُّ عـن لَـهـبٍ ... لـتـضـمَّ أجـفـانـا عـلـى الـلـهـبِ

فـيـهـا مـــرارةُ أمـسـنـا كشفت ... رؤيـــا غـــدٍ ســـاعٍ ومـقـتـربِ

شـاهـدتـه فـي وجـهِ كـلِّ أبٍ ... ولمحـتـه فـي عـيـنِ كـلِّ صـبـي

فـــإذا تـركـتُ هـنـاك والـــدةً ... ترجو الـلـقـاء... رَجـاء مضطربِ

فـلـقـد حـظـيـتُ بـخـيـر عـائـلـةٍ ... مـحـبـوبـةٍ.. مـوثـوقـةِ الحسـبِ

مـن رفـقـةٍ طـابـت مـعـادنـهـم ... مـن كـلِّ شـهـمٍ فـي الـلـقـاء أبـي

إن ســرتُ فـي بـغـداد أعـرفـهـم ... أو ســرتُ فـي بـيـروتَ أو حـلـبِ

**

لا تسألـيـنـي فـيـم لـم تَـعُـدِ إنـي لـفـي داري وفـي بـلـدي
المـرهـقـونَ.. رفـاق رحلـتـنـا هـم أخـوتـي.. هـم حـاضـري وغـدي
الحـامـلـونَ لـواءَنـا أبـداً الـصـامـدون لـكـلّ مـضـطـهـدِ
لا تسألـيـنـي: لـيس فـي جسدي إلا كُـرَّيـاتٌ مـن الجَـلَـدِ
إلا نـداءٌ ضـجَّ فـي جـلـدي سـيـظـلُّ يـدفـعـنـي إلـى الأبـدِ
فـاذا رأيـتِ قـطـوفَ دالـيـةٍ وخـشـيـتِ أن تـلـقـى إلـى الـبـردِ
لا تسألـيـنـي: فـيـم لـم تَـعـد إنـي أتـظـرتُ لـقـاك يـا ولـديَ
لـتـرى الـدوالـي وَهْـي مـثـقـلـةٌ وتـرى المـروجَ تمـوجُ فـي الـرغـدِ
ويمـرّ بـي فـي الـدرب فـجـرُ غـدٍ فـأظـلُّ واقـفـةٌ لـفـجـرِ غـدِ
لـكـنـنـي ألـقـاهُ دون مـنـىً فـأعـود أسْـألُ عـابـرَ الـبـلـدِ
فـلـربمـا حـمـلـتـهُ خـبـراً تحـيـاهُ... كـل حـرارة الجسـدِ

**

لا تسألـيـنـي: لـيس يحـزنـنـي ألاّ أراك ولـيـس يـؤلـمـنـي
وعـلـى ثـرى وطـنـي مـشـردةٌ تسعى بـلا هـدفِ... إلـى الكفنِ
مـا دام فـي الـظـلـمـات إخـوتـنـا أعـمـارهـم تـفـنـى بـلا ثـمـنِ
وعـلـى الـطـريـق رفـاقُ رحلـتِنـا تجـتـاحـهـم ريـحُ مـن الحـزنِ

لا تسألـيـني لـيـس مـرتـهـنـاً بـالـشـوقِ أو بـالملتـقـى سـكـنـي
بـيـتـي بـيـوت المـتـعـبـين وكـم مـن هـؤلاء عـرفـتُ فـي وطـنـي

**

لا تسألـيـنـي لـيـس يـحـزنـنـي إلا الحـيـاة... حـيـاة ممـتـهـنِ
أمـا الـذي صـدقـت صـلابـتـه مـنـا فـلـم يـخـضـع ولـم يَـهُـنِ
فـلـسـوف أفـرحُ عـنـد مـصـرعـهِ ولـسـوف أنـدبـهُ بـلا شـجـنِ
أرضـي هـنـا... وهـنـاك مـا بـرحـت فـي شـوقـهـا لـلـروح والـبـدنِ
لا تسألـيـنـي إن فـي زمـنـي مـا لـيـس تـعـرفـه رؤى الـزّمـنِ

الكويت ١٩٥٨

# هُوَ الشّعبُ

إلى شعبنا العربي في العراق

بمناسبة الإنتفاضة الأخيرة (١٩٨٥)

هو الشعبُ في دربهِ الظافر ... طريق انتصارٍ بلا آخرِ
تفتحُ عن موسمٍ.. زاهرِ ... وتفضي إلى موسمٍ زاهرِ
هو الشعب في ظُلُماتِ الطريقِ ... رؤى ثائرٍ من رؤى ثائرِ
تجمّع فيها انتظارُ القرونِ ... وصبوةُ إبداعها الباهرِ
قوافلُ من أمتي تلتقي ... أعاصيرَ في الموكبِ الهادرِ
لتجرفَ كلَّ سدودِ الغزاةِ ... وتجتزَّ ناصيةَ الجائرِ
قوافلُ من شمم عربيٍّ ... تأبت على المطمح الفاجِر
بلبنانَ ترفعُ راياتها ... ربيعاً على الجبل الناضرِ
لتغسله من غبارِ الهوان ... وتنقذهُ من أذى الصاغرِ
وفي تِلِمْسان جراحٌ تسيل ... لتغرقَ مركبةَ الجازرِ
قوافلُ من كلِّ فجٍ تعبُّ ... لتُعْلِنَ عن يومها الظافرِ
أفاقت ببغدادَ أفراحُها ... مع الفجرِ.. في موسمٍ زاهرِ

توهج فيه شبابُ الرفاقِ ... ليفصحَ عن روعةِ الحاضرِ
عن الغدِ يصنعه الثائرونَ ... صناعةَ ذي حنكةٍ ماهرِ
هو الشعب ما هو بالحائرِ ... ولا هُوَ بالواهنِ الخائرِ
ألا تسمعون جماهيره ... تزمجرُ كالقدر القادرِ
فتهوي المعاقلُ مذعورةً ... أمامَ تمرِّدها الباهرِ
ويخرجُ من ظُلُماتِ السجونِ ... مغاويرُ من معدنٍ ثائرِ
فيا أختي.. هذه المكرمات ... حياةٌ تشعشعُ في خاطري
بها كلُّ ما هو في الرافدين ... من الخصب، من فيضه الزاخرِ
تطلُّ على الأمس مخجولة ... من الأَمس... من وجهه الصاغِر
وتصرخُ في طغمةِ المجرمينَ ... تدل بتاريخها.. الفاجِر
إلامَ تظلُّ سجونُ العراقِ ... تصكُّ على النفرِ الصابِر
وفيم تجوعُ جماهيره ... ليشبعَ كلُّ فمٍ... فاغرِ
وتبقى العروش وتيجانها ... تطلُّ على عالمٍ دائرِ

الكويت تموز ١٩٥٨

# أمس في بغداد

ذكرى ليلة ١٣-١٤ من تموز

عندما أغفى الصغار

أمس في بغدادَ... وانهالَ من الليل جدار

فوق أنقاض المدينة

فَهْيَ أحلامٌ وخوفٌ وانتصار

وارتعاشاتٍ حزينة

تتلَظّى

في الدهاليزِ وفي الأكواخِ أناتٍ حرارا

كان في كل زقاقِ

في العراقِ

ألفُ قلبٍ

ألفُ حبٍّ

يتَشَظّى

يوقدُ الليلَ انتظارا

عَلَّه يبُصِرُ حلما

***

عندما أنصبَّ على السجن الظلام

فرفاقي

في "المطامير انتظار لا ينام

يتحدى

حَارس المقبرة... في ليل العراق

يملأ الظلمةَ حقدا

يوقظُ في كل زقاق

فالجماهيرُ التي تحيا لتشفى

كلَّ يومٍ وتضام

ليس تدري أين تلقى

نجمَها الطالعَ من "وهران" يَجتاز الصحارى

يتألَّق

في الميادينِ انتظارا

للمغاويرِ.. لأبناء الضحايا لقلوبٍ تتحرق

***

إنهم ناموا لتبقى

بانتظار

في الدهاليزِ عيون تتلقى

روعةَ الفجرِ بذلٍّ وانكسار

***

عندما مرَّ مغاويرُ الرجالِ

ينشرونَ الدفءَ في بغداد.. بغداد الحزينةْ

فاستفاقت في الظلالُ

روعةُ الميلادِ في كلِّ زقاقٍ في المدينةْ

وأغاني النضال

هبّ إنسانُ الرَّصيف

باحثاً عن بعضِ دفءٍ.. عن رغيفْ

***

عندما انهال الضياء

فوق أنقاضِ المدينة

وتعالى في الميادين النداء

فالجماهير التي أرهقها ليل الضغينةْ

والتي تبحث عن نجم انتصار

خرجت تحضن في فرحتها ضوء النهار

***

يا رفاقي

أيّ إعصارٍ عنيف

يتنزى في ميادينِ العراق

يوقظُ الثورةَ في كلِّ زقاق

أيّ جبّار مخيف

يملأ الأرض اخضرارا

***

عندما مرّ السكارى

أمس فوقَ النهر.. قبل الفجِر... أشباحاً حيارى

ومضوا للقصر يلقون به جسم نهارِ

أسكروه.. ثم ألقوه إلى ظلمةِ ملهى

علّه يشبعُ من لحمِ الجواري

فهو بالخمرةِ أشهى

لم يروا في النهر وجها
من ضحايا يوم "بورتسموث" .. ما زال ينادي
كلَّ شيءٍ في بلادي
لم يروا رأس "صلاح الدين" الرأس المعلق"

***

هو شعبي..
عندما ينهالُ شلال إباء
فوقَ أرضِ الكبرياء
عندما يبعثُ في القلبِ المدمَّى
كلَّ شوقٍ للفِداء
كلَّ حبٍّ
عندما يطلعُ نجماً
في الصحارى
لجماهير الحيارى
للصغارِ
للأولى اشتاقوا إلى دفءِ انتصارِ

الكويت آب ١٩٥٨

---

١٤ . صلاح الدين الصبّاغ هو أحد قادة حركة ١٩٤١ في العراق علّقه عبد الإله على باب وزارة الدفاع سبعة أيام في المكان الذي عُلّق به عبد الإله.

# أغنيةٌ للصامِدينْ

فريدة إنسانة عربية من الجزائر.. لا تتجاوز الثامنة.. قتل الغزاة أباها فالتحقت بالثوار.. في الجبال لتنشد أغنية الحرية.. والعروبة... والكفاح: (تسجيلات الأستاذ الهامي حسين – صوت العرب)

الليلُ.. يُثْقِلُهُ الأنين

وأنا وأنتِ حكايتان

تتوهَّجان

في كل صدرٍ من صدورِ الثائرين

***

وابوكِ... أغنية حبيبة

حلمت بها أيامنا العفناتِ..أيام الهوان

فعزيفُها... في كلِّ قلبٍ أو مكان

في الغابةِ العذراءَ ... في أنشودةِ الراعي الخضيبة

في السهل... في طلقاتِ... ثِوار العروبة

في كلِّ قلبٍ مثل قلبي ضمّ أشتات المصيبة

***

وتجمَّع التاريخُ... وانتفضت... عمالقةُ الحياة

فالليلُ مختنقٌ الشكاة

ولصوصُهُ "يتدافعون" ويبحثون

عن معقلٍ... يسع الجناة

عن معقلٍ ... لا تستطيرُ إليه.. ريحُ العنفوان

وتطيحُ فيه .. مقلتان

تتواقدان

وتمزِّقان.. رؤى "الأثيم".. رؤى "اللئيم" رؤى الجبان

وأراكِ... تنتفضين في كفِّ الحنين

وتسائلينَ الليل.. عن شبحٍ ينادي في الظلام

شبحٍ...حبيبٍ.. لا ينام

غَسلَتْهُ آلهةُ البطولة... بالضِّياء

بدموعنا المتوهِّجاتِ.. على ثرى الوطنِ الحزين

بدمائِنا.. بدمِ الرِّفاقِ الأبرياء

بدمِ المحبةِّ.. والإخاء

بدم الإباة..

يختالُ.. في قمم "العرائسِ"... في المزارعِ.. في البيوت

في عينِ جنديٍّ.. يموت

في قريةٍ.. حضنت بطولَتها.. وعانقت السكوت

في كلِّ وجهٍ .. من وجوه الثائرين

وترينهُ.. يدعوكِ.. يدعو الأصدقاء الطيبين

من قبرِ والدكِ الذي دفنوهُ.. في عين الزمان

في هدأةِ الأفقِ الرحيبةْ

وأمامه جثثٌ "وأشلاءٌ كئيبة"

وفلولُ جمهَرة القُساة

ترنو إليك.. إلى التفاتتك الحبيبة.. بازدراء

وأنا "وأنت" مصمِّمان

نذرو.. مشاعَلنا على الدربِ المروّع.. بافتتان

ونحثُّ خطوتَنا.. المهيبة

***

أرأيت..إنِّي من رُبى (يافا) الوضاء

من ظلمةِ القبرِ الرهيبة

من بيتنا الملقى على أنقاضِ أشواقي الظماء

ولقد حملتُ إليكَ أغنيتي وأشيائي العجيبة

أشياءَ أحملها.. ويحملها رفاقي الآخرون

في رحلةِ العمرِ العصيبة

***

وتحطَّمت.. سُفنُ الغزاة

سفنُ العلوجِ.. المجرمين

في بحرنا.. واغتالت الفزع.. المياه

للمُدْلجينَ

وتثاءبت (يافا) الخضيبة

في ظلمةِ الليلِ الطَّعين

في قيدِها والليل يثقلها بأشباحٍ.. رهيبة

أشباحِ سفاحٍ لعين

لترى ارتعاشَ النّور في (وهران) أغنيةَ السنين

لتثورَ.. في وجهِ القراصنة.. العتاة

وتحطم السفن الغريبة

سفن الغزاة.. الفاتحين

***

وأفقت وأنهالَ الضياءُ على الجراح

على الحطامِ

ورأيتني ورأيتُ والدك الحبيب

رأيت جمع الوالدين

(والأصدقاء الطيبين)

في الغابةِ العذراءِ.. في قمم يكللها الإباء

في كلِّ شيءٍ تنظرين

يرنون في شغف وطيبة

للصامدين

الكويت

تشرين الأول ١٩٥٧

# الفِرار

أتعرفينَ كيف يحيا شاعرٌ يموت
حين يحسُّ في الشرايينِ يد الرَّدى
تمتدُّ كلَّ لحظتين باحتراسٍ يا ندى
لتخنق الخلودَ فيه ثم تلقي بالرمام
إلى الرمالِ وهي تعبرُ المدى
فتغمرُ الرجالَ والظلالَ والبيوت
وتطلقُ الرياحَ في السهول والجبال
تحطمُ الشّجر
وتنثرُ الغصونَ والزهر
لوحشة السكوت
فليس للحياةِ من أثر

***

عزيزتي
هذي هي الرمال
تهبُّ.. تستطيرُ في الجنوبِ والشمال

أحسُ هسهساتها تصرخ بابتهال

كأنها تفرُّ مثلما أفِرَّ يا ندى

بحثاً عن المطر

عن البيوتِ والظلالِ والشجر

تنعمُ بالدفءِ وبالحبَّ وبالقمر

عزيزتي

ما زلتُ في سفر

أحدّثُ الجفافَ والسرابَ والرمال

وأحملُ الضَجر

على يديّ كالقتيل في متاهةِ السَفَرْ

ولم يطلّ سامرٌ

من خيمةٍ

من واحةٍ

يقول: يا مسافرُ

هذي طريقكُ التي تريدُ يا مسافر

أسائلُ

وليس من صدى

أناضلُ

وليس من طريق

كأنني خُلقتُ كي أظلّ في سَفَر

***

"سيزيفُ" .. يا حقيقةَ الخيال

يا من يعيش "للحَجَر"

لزلة القَدَرْ

لستُ أريدُ أن أكون دونما وطر

لستُ أريدُ أن أعيشَ في "متاهةِ الخيال"

أحدِّثُ السَّرابَ والجفافَ والرمال

وأحملُ الضجَر

على يديّ كالقتيلِ في مجاهلِ السَفَر

"سيزيف" إنني كفرت بالمُحال

ألقيتُ بالحَجَر

على القضاءِ وابنه القَدَر

"سيزيف" إنني أسير دونما كلال

أبحث عن حبَّ وعن خبزٍ وعن ظلالظ

عن واحةٍ وارفةٍ

وعن رجال

تجمعوا للسير دونما كلال

أبحث عن ندى

***

ندى

أحس أنني بحاجةٍ إليك يا ندى

كحاجة الرمالِ للمَطرْ

وحاجة الترابِ للشَجَرْ

أحسُّ أن كلَّ لحظةٍ يخنقها الكَدَر

تعودُ لي إذا رجعتُ من مفازة القَدر

***

ندى

أنا هنا

على الخليجِ منذ عام

على الخليجِ حيثُ يورقُ المحارُ

وحيثُ تبحثُ الرِّمالُ دائماً عن اخضرار

وأنتِ في سفينةٍ هائمةٍ بلا قرار

تُحَدِّقينَ في المدى

بمقلتيكِ يا حبيبتي أغنية انتظار

فربما يلوحُ في نهايةٍ منار

أو تنقل الرياح من تحرقي صدى

إليك فيه كل لهفة القفارُ

لقطرة المَطَر

وكل صبوة الأبيّ حين يحجب الفرار

معالمَ الوجودِ عنه وارتعاشة الظَفَر

***

عزيزتي

ما زلتُ في الطريقْ

ما زلتُ أرصدُ النجومَ في طوافها السحيق

لعلَّ هاتفاً يقول يا رفيق

يا عابرَ الطريقِ... يا رفيق

ومقلتاي تغرقان في أسى عميق

كأنني الغوّاصُ عادَ دونما محار

من رحلةِ العام الذي قضاهُ بانتظار

***

عزيزتي

أحسُّ بالدوار

أحسُّ أن مقلتيّ لم يظلَّ فيهما

سوى بريقِ نظرةٍ وبعض أدمعٍ حرار

تنثرها الرياحُ كي يشربها الغبارْ

***

عزيزتي

قد لا أرى النهار

لأنني لن أستطيعَ أن أراه

ولن أراكِ... لن أضمّ فيكِ روعة انتصار

لأن بيننا البَحار

***

عزيزتي

أحبُّ أن نموت

تحدياً لما يريده القَدَر

أُحبُّ أن نختار لحظة الظَفَر

فلن يظلَّ بيننا على المدى جدار

تلحقنا ظلالهُ.. تسحقنا رؤاه

ما أتفه الحياةَ حين يصبحُ الفرار

وسيلةَ الإنسان للحياة

الكويت ١٩٥٨

# تَحيَّةُ الوَداع

إثر حديث عن صدور أمر بإبعادي من الكويت شباط سنة ١٩٥٩

تحيةُ الوداع يا رفاق
تحيةُ الوداع
أقولها لكم...
من قبلِ أن تضمني حرارةُ العناق
من قبل أن تحملني سفينةُ الفراق
لأنني أخاف يا رفاق
أن تدفعَ العواصفَ الشراع
من قبلِ أن أهتفَ يا رفاقي الوداع
يا إخوتي
أخافُ هذا البحر أن يهبج
فتعصفُ الرياحُ بالمناراتِ على الخليج
وتنثرُ الحطامَ في الشواطِئ الظماء
لتتركَ الذينَ أبحروا بلا ضياء

ترابهم –من الضباب– والسماء

وليس غير أن يموتوا دونما بكاء

يا إخوتي

يا أيها العطاشُ والجياع

في البحرِ... في حقولِ النِّفطِ.. في زرائبِ القَصب

وفي مضارب العَرَب

تحية الوداع

لكم.. لهذه المدينة

لكلِّ عينٍ هاهنا حزينة

وكلِّ وجهٍ قُدَّ من صلابةِ التَعَب

وللمشردين في مجاهلِ الضغَينة

تحية الوداع

ولتُبحرِ السفينة...

فإنني أحس أن موعدَ اللقاء

غداً يكون في الرِّباطِ أو "بيروتَ" أو "عَدَن

أو أيّ منزلٍ من الوَطَن

تحية الوداع يا رفاق

في البحرِ.. في حقول النفطِ... في مضاربِ العَرَب
ستنجلي عن دربِنا سحابةُ الفراق
وسوف نلتقي على ترابِ رقعةٍ من الوَطَن
"تطوانَ" أو "بيروتَ" أو "عَدَن"
ليرجع العناق
ما ضاع من شبابنا بلا ثمن
في رحلةِ الضياع
يا أيها العطاشُ المتعبون والجياع
تحيةُ الوداعْ

الكويت/ شباط ١٩٥٩

# يا رِفاقي

"كُتبت بعد محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم"

## (١)

يا رفاقي...

لم تزلْ في الأعظمية..

في الرَّمادي...

في دروبِ الكرخِ... في الأرض الأبية

من بلادي

بعضِ رايات عوالٍ

تتموّجَ...

وسرايا...

تتقدَّم...

لم تزلْ... آلافُ آلآفُ الرجالِ

في ميادين النضالِ

## (٢)

أيّ حب

كالينابيعِ السخية

يتدفقْ

أيّ حقدٍ عاصفٍ لا يترفَّق

ضجّ ما بين الضلوع العربية

أيّ حبٍّ

يجعلُ الموتَ لذيذاً والعذابا

بعضُ ما تختار... ما تهوى القوافلُ

أيُّ حبٍّ

ظلّ أحلاماً عذابا

مُلئت كينونةَ الجيل المناضل

أيّ حبٍّ

صبَّ في أعماقِ أعماقِ المغاوير البواسل

حقد شعبِ...

## (٣)

ربما كنتُ جبانا

ربما شِئتُ من الدهر الأمانا

ربما غنيتُ آلامي بألحانٍ شجية

وتمنيتُ لإخواني الأمانيَّ الحسانا

ربما شاهدتُ نِيرَ البربرية

قبل هذا اليوم في أعناق شعبي

فتجاهلتُ نداءَ البندقية

ربّما فارقتُ صَحْبي

قبل هذا اليوم... لكني تقبلت المصابا

لم أصعّد غير أناتٍ خفية..

ربما كنتُ جبانا

ربما شئتُ من الدهرِ الأمان

ربما خفتُ العذابا

قبل هذا اليوم.. فاخترتُ عزائي

ربما خفتُ العذابا

قبل هذا اليوم.. فاخترتُ عزائي

ربما خنتُ وفائي...

ما عزائي...

في غد إن تعلُ في بغدادَ أعوادُ المشانق

لكمُ. يا أصدقائي..

لإياد أو سمير

أو لطارق

ما بكائي..

إن أتى الميدان فرسانُ المصير

سابقاً في إثرِ سابق

وانبرى من بين ذاك الحشدِ خالد

شامخَ الجبهةِ صامد

يتحدى غولَ بغداد الكبير...

(٤)

ليتني كنتُ أبياً

كإياد

أو قوياً

مثل يُسرى

ليتني كنتُ كخالد

شامخ الجبهةِ صامد

ليتني كنتُ أجاهد

مثل الآفِ المغاوير.. أُجاهد

في دروبِ الكرخ... أو في الأعظمية

في الرمادي

ليتني كنت طريحاً في السجون

أو طريداً

ليتني كنت ضحية

لبلادي

ليتني كنتُ كوهاب شهيدا

# القُرى... والجِرْذان

"الحقَ أقول لك أنك في هذهِ الليلةِ قبلَ أن يصيحَ ديك تنكرني ثلاث مرات"

أنا أرتاعُ إن شاهدت إنسانا

يقولُ قَضى

يقول مضى

يقولُ الثائرُ العربيُّ ذاك الفارسُ المغوار

هوى: فتنفّس الجرذانُ رعباً في "قرايانا"

أنا أرتاعُ إن نادتْ ضحايانا

من الموصلِ أو كركوك أو بغداد...

منِ أحشاءِ هذي الأرضِ أو من ظلمة الدور

وتمتم باسمك الأطفال من دوامةِ الكربِ

أبونا أنتَ... أدركنا فنحنُ هنا بغير أبِ

تصوّح نخلنا وانسابَ ماءُ النَّهرِ في الأهوار

ونحنُ هنا نسمَّر في المدى الأَنظار

لعلكَ في سحابِ الرملِ تأتي أو مع النورِ

ببعضِ الخبزِ والرُّطَبِ

وبالأَمطارْ...

أبونا أنت قد عِشناك حلماً في حنايانا

يوْرق ليلنا وينيم بالهمساتِ بلوانا

فهلّا جئتَ يا أبتاهُ تحيي من بقايانا

قرىً... وتعيدُ للآثار

نضارةَ بابلَ المحمومة الثكلى وترعاها

وترعانا

حليبٌ أنت لم نرضعهُ... أحضان حرمناها

رفيقي إنني أرتاعُ إن شاهدتُ إنسانا

يقولُ قضى

يقولُ مضى

يقولُ الثائرُ العربيْ.. ذاك الفارس المغوار

تمزق دون سورِ البغي خذلانا

لأني عندما قاتلتُ كنتُ أردِّدُ الأخبار...

في المقهى وفي الطرقاتِ... كنت أقول للسُّمار

فتىً عربي

أتى من غيبةِ الموتى ومن غيبوبةِ الأقدارْ

يقودُ كتائبَ الثوار

ليجمعَ من بقايانا

طلائعَ تدفعُ الأحياءَ والأموات طوفانا

رفيقي... أيها المخذولُ... إن نادت ضحايانا

من الموصلِ أو كركوك أو بغداد

شعرتُ بأنني علقتُ إخواني على الأعواد

لأني عندما شاهدتُ عبد الله

يقودُ "عصائبَ الأشرار" غضبانا

صمتُّ: ولم أقل يا أيها السُّمار

فتىً عربي

وحيداً يدخلُ الساحاتِ في ذي قار

على فرسٍ تكادُ تخرّ من جوعٍ ومن تعبِ

يطوفُ على البيوت مع الضُّحى... يستنفر الأحرار

ولكنَّ العيونَ تظلُّ ترمقه وتدعو الله...

أن ينقضَّ كالإعصار

ليرمي جيش هولاكو بفيضٍ من حميم النار...

حُسينٌ يذرعُ الميدان لا يبصر فرسانا
تطل من المدى فتردُّ عنهُ سحابة العطب
حُسينٌ وحدهُ يختالُ بين "عصائبِ الأشرار"
رفيقي إنني القاتلُ ما شاهدت إنسانا
ولم ألمح بعينيه دماً يصرخُ بي : خانا
أنا القاتل ما زالت عيون الصِّبْية الموتى
تُطلُّ عليّ في نومي رؤى راعشة شَتى
ثكالى تجمع الأشلاءَ أحيانا
تطوف الشارعَ المهجورَ، علَّ الفارس المغوارْ
يخرجُ من خطوطِ النارْ
ليرجعَ للبيوتِ الغائبينَ ويجريَ الأنهار
فتسقي كلَّ من ماتوا عطاشا في قرايانا
أنا القاتلُ... ما أدفع للتاريخ غفرانا
أأبكي إخوتي... أأبثُّ محزونين أحزانا؟
حُسينٌ مات والكوفةُ كالبصرةِ تدعو الله
أن ينهال بركانا
وأن يسحقَ عبد الله

حُسينٌ مات والأذان في بغداد...

لا يبرح آذانا

بأيةِ نظرةٍ.. وبأي طرفٍ جد مضطربِ

أحاول أن أراكَ اليَوم مرفوعاً على الأعواد

جراحُك تنزفُ الأحزانَ ألوانا

وعدتُكَ أمس حين سقطتَ أن ألقاكَ في بغداد

على فرسٍ من اللَّهَبِ

تفجر أرضها المحرومة المعطاء بالغضبِ

ونحرقُ كلَّ ما أبقت سموم الصيفِ من قصبِ

ولكني أتيتكَ قبل أيامٍ من الميعاد

ببعض جماجم الأطفالِ والأيدي

وبالأثداء

# تموز
# الذي مرَّ بالأمس

"إلى الرفيق أنس.. الذي جرَّتهُ العصابات في شوارعِ البصرة العربية"

لقد جرّوه بالأمسِ

لقد جرّوه

على مرأى من الشمسِ

وما ذكروا

بأن عيون محرومين تنتظرُ

فقد تأتي

وفي كفيهِ بعضُ الخبزِ والحلوى

وفي عينيهِ

حنان عامر يبعثُ في أعماقهم سلوى

لقد جرّوه

وقالوا في سبيلِ الخبزِ والحبِّ

قتلناهُ

سحقناهُ مع العارِ

وكانت شمسُ آذار

تطوفُ بيوتَ إخوتنا التي ظلت بلا نارِ..

خلال سنين... لم تحملْ سنا ضوء حواشيها

لتحرقَ كلَّ من فيها

لتسمعهم صراخَ الموت.. تدعوهم لرؤياه

يهبُّ على القرى فكأن أكداساً من السحبِ

تفيضُ على ذرى "أرجيش" لا تنفك تأتيها

وتنهمرُ

إلى أن تجعلَ الوديان تياراً بتيارِ

تنامُ على هدير الصخرِ محموماً من التعبِ

لتمنح نهرنا "الظمآن" ما ضمت مجاريها

لترفدُه بإعصار

آتانا من ذري "أرجيش" كالطوفانِ ينحدرُ

ليتركَ كلّ ما شادتهُ أجيالٌ بأيديها

حطاماً... بعضُ آثارِ

فلا نخلٌ.. ولا ثمرُ

وضمَّتْ وحشةُ الصمتِ

مدينتَنا.. وألقت فوق كلِّ "زرائبِ القصبِ"

وكلِّ "مضاربِ العربِ"

ستاراً من رؤى الموت

يسير بتمتماتِ الخوفِ من بيتٍ إلى بيتِ

أخي أماه هل تأتي...!

أحسُّ بأنهم جروهُ

أحُسُّ بأنهم ضحّوهُ

لربِّ ما عرفناهُ

وأنّا قد تركناهُ

تدوسُ الأرجلُ العفناتُ في تيهٍ بقاياهُ..

كأنَّ خيول "هولاكو" على الأبواب، والتتر

وحوشٌ يستثير الجوعُ شهوتَها فيُزجيها

لتأكل كلَّ ما أبقت عهودُ الجوع والنصبِ

وتنثرُ في مياهِ النهر كل خزائن الكتِب

وتتركنا على الأطلالِ نبكيها

أيأتي أرْضَنا التترُ

وتموزٌ على الأبوابِ ينتظرُ

سلالُ الخبزِ في كفيهِ والأزهار والثمرُ

ونحن نعد للأطفال.. للمرضى عطاياه

نمنيهم بما انتظروا

بلقياهُ

فبالأمس

رأيناهُ

يمرُّ على النخيل ومن جوارِ "عرائش العنبِ"

مجرّدَتيْن كفّاهُ

ودامعتيْن عيناهُ

يجرُّ خُطاهُ في رَبْواتِنا.. في زيٍّ مغتربِ

ويهمسُ للصغارِ غداً سآتيكم بأزهاري

غدا تنهِل في بغداد مثل نيازك الشهبِ

و "دجلة" حينما تنهال أكداسٌ من السحبِ

على "أرجيش" ترفده بما جادت أعاليها

كتائبُ من بني العرب

تلاقت في ربى "وهران" من "صنعاء" من "حلب"

لتبني مسجداً هدمتهُ طُغمة فاتحٍ ضار وترجع للخزائنَ ما أضاعته من الكتبِ

أنا أسمعُ صوت الموتِ في الدربِ

" قتلناهُ "

سحقناه من العارِ

يطوفُ الحيّ من دارٍ إلى دارِ

قتلناهُ

لينعم بعده الباقون بالخبزِ وبالحبِّ

وأسمع صوتَ صارخة...

أخي جروه أُماهُ

وتموز على الأبواب، أثقال عطاياهُ

ينقط في البراعم كل ما حملته كفاهُ

من الأطياب يعطيها

مواسِم ليس يعرفها عراقُ الجوعِ والرعب

ولا حملت لمثل ثمارها أيام مرضاهُ

لقد كنا نُريد لقاء زائرنا... وإياهُ

ولكنا فقدناهُ...

فقدناهُ...!

أحُسُّ بأن تموزَ الذي قد مر بالأمسِ

بلا دفءٍ... بلا ضوءٍ... بلا شمسِ

مجردتين كفاهُ

ودامعتين عيناهُ

يجر خطاهُ في ربْواتِنا، في زِيٍّ مغترِبِ..

كأنا ما سألناهُ

عن الشوفان والرطب

سيحملُ في غدٍ لبيوتنا أشهى هداياهُ..

الكويت: آب ١٩٥٩

أتمتم باسمك المحبوبِ خزيانا

وأستجدي

جراحاتك غفرانا..

رأيتك أمس منحدراً من السحبِ

على فرسٍ من اللهبِ

سمعتك هاتفاً من ظلمةِ الأجداث إياها:

قد احترقت حصان "أخيل" وانتثرت شظاياها

فيا طروادةً ظلت بلا أسوار

تَسُدُّ دروبَها المتوجسات عظامُ قتلاها

أيمحوا الصامدون العار!

أتحيي بابلُ المحمومةُ الثكلى بقاياها؟

الكويت: آذار ١٩٦٣

# شَجرةُ الأَسرار

إلى سميرة..زوجتي

## (١)

أمسِ وددتُ لو قَدّمتُ لك

أغلى الذي حويتُهُ

أحلى الذي جنيتُهُ

بحثتُ في مخابئي عما جنيتُ من مجاهل الرَّحيل

خلالَ رحلتي

فم أجد ما يستحقُّ الذكر

عزيزتي

زمانُنا بخيلْ

## (٢)

غيري يُمَنّي من يحب بالنجوم

غيري يمُنَيّ مَن يُحب باللؤلؤ والمرجان

غيري يريد أن يكون تاجرا

يأكل بالملاعق الذهب

أو شاعراً يرقصُ للسلطانْ

أمّا أنا

فليس عندي غَير بعض الشعر

حصادُ رحلتي وغربتي

عزيزتي

هذا الذي لديَّ... هل تُراه يَستحقُّ الذكر

(٣)

غيري يسابقُ الرياحَ في الكفاح

من أجل ما ريدُه

لكنّ ما أُريد

شجرة الأسرار

من أجلها هجرتُ دارنا

وسرتُ أوصل الصباحَ بالمساءِ والمساءَ بالصباح

وأرقبُ النجومَ.. أو أضلّ في مسارحِ الرياح

لعلني أبلغ "نبع السر"

لعلني أزيح عنه الستر

(٤)

وعندما كنتُ صغيراً حرتُ في النجوم
وفي الغيومِ والفضاءِ والمَطَر
وفي الربيعِ والخريفِ والعراءِ والثمر
وأرَّقَتْ فؤاديَ الصغيرَ وطأةُ الهموم
فقلتُ يا نجوم يا غيومُ يا فضاءُ يا مَطَر
أريدُ أن أعرفَ من أكون
أريد أن أعرفَ ما الحياة والردى
لكنّ صرختي تبدَّدت سُدى
وعندما أفقت
وجدتُ في يديّ بعض الشعر
حبيبتي
من وقتها بدأت رحلتي

(٥)

وقال والدي
أحسَنت يا بُني
الشعر زينةُ الرجالِ فاقرأ عنترة

واقصد أبا الطيب في ديوانه

وانسج على أوزانه

وعلقت والدتي بنبرة مؤثرة

الشعر...

" يموت كل شاعر جوعانُ "

وصمتت

ومنذ ذاك الحينُ

قررتُ أن أعيشَ جائعاً

وأن أموتَ جائعا

(٦)

وعندما توفيت والدتي

وأودعوها الرمس

صَمَتُّ... حرتُ ما أقول

وغلبتني نشوة الذهول

لكنني حين صَحَوت

وجدتُ في يديّ بعض الشعر

## (٧)

الشعر

أغلى الذي حويتهُ

أحلى الذي جنيتهُ

حصاد رحلتي وغربتي

أقطفُ منه باقةً أرفعها

أرفعها إليك

هدية المُقلّ– والمُقلُّ لا يلامُ – إن لم يأتِ بالكثير

الكويت ١٩٦٤

# المجموعة الثانية

## هدية صغيرة

# هدية صغيرة

غيري يمني من يحب بالنجوم

غيري يمني من يحب باللؤلؤ والمرجان

.....

أما أنا

فليس عندي غير بعض الشعر

حصاد رحلتي وغربتي

هذا الذي لدي..

هل تراه يستحقُّ الذكر ؟

ناجي علوش

# هدّيةُ صَغَيرة

إلى أختي مي

عزيزتي

أوّاهُ كم أود أن أراك، أن تضَّمني

عيناكِ، أن أعود

على جبيني تعب السفر

وفي يديَّ بعض ما جنيت من

مجاهل الوجود

أوّاه لو تكون لي هنيهة

من الأمان والظفر

أحملها إليك.. لو تكون لي

هنيهة أملكها، أجعل من لهيبها

ما تطلب الحبيبة السمحاء من حبيبها

عزيزتي

ماذا أقول يا عزيزتي

هنيهتي الصديقة المعطاء ما تزال

قصائد الرحيل والفراق والأمان

والنضال

أحسّها تأخذ ما خبّأته

تمنحه لعابر السبيل.. للرمال

لساقطٍ على الطريق كان دائم السفر

يجول–مثلما أجول– باحثا عن النخيل

في الرمال، والمحار في البحار،

والظلال

في الحدائق القصية اليانعة الثّمر

يجول–مثلما أجول– باحثا عن

الخطر

أواه كم أودُّ أن أراك، أن تضمَّني

عيناك، أن أعود

وفي يديَّ بعض ما جنيت من مجاهل الوجود

هدية صغيرة لقلبك الودود

لكنني أخاف يا عزيزتي

ألا يكون لي الهنيهة الخلاقة..الكبيرة

التي أردتها..التي جمعت فيها كل روعة

الخلود

فمعذرة

لأنني على سفر

دربي البحار والقفار والمرافئ التي

تعيش في تمرّد على القدر

وأخوتي المصابرون كل زادهم

في رحلة البقاء–كل ما يحيلهم

أقوى من الجفاف والغبار والرياح

والهزال

شوق إلى الحياة والفتوح والظفر

عزيزتي

معذرة وألف معذرة

فربما تلفّني الرمال

وربما أكون من "ذبائح" البحر

لأننا في كل يوم نطلق الشراع

إلى المجاهلِ البعيدة التي..

لا تعرفُ الشمس ولا القمر

لنقطف المحار

من المهاوي الصاخبات والشعاب والحفر

نغوص..نضرب الشِّباك ثم نجمع

الشِّباك

وليس فيها غير شيءٍ من طحالب

القرار

والفراغ والضجر

وعندما يهاجم القرصان مركبا

من المراكب المهشّمات السائرات في

العواصف

المصممات أن نعود، أن نكابر الهلاك

نُهاجم

وليس في جفوننا سوى السَّهر

وليس في قلوبنا سوى الصمود

حتى تكلَّ أذرع الرجال، والمراكب
الممزقات تستكين في قرارة الدمار

عزيزتي
أوّاه كم نحبُّ.. كم نَحنُّ للقاء
وللصفاء والصغار والسمر
وكم نودُّ أن نعيشَ دونما سفر
لكنَّ في عروقنا
شيئاً من الحياةِ يكرهُ الخوَر
شيئا نحسّه أشدَّ قوة من القدر
هو الأمان عندما نخاف، والطَّعام...
عندما نجوع والسلام عندما نُداهمُ الخطر

عزيزتي
رحلتُنا طويلة وزادُنا قليل
ودربنا تعجُّ بالغبارِ والصراع
وكم يموتُ صاحبٌ منا بلا وداع

على مفازة الرَّحيل
وصاحبٌ وصاحب
حتى يظلَّ من جموعنا نفر
وعندما تخوننا حرارةُ الرجاء
وتغربُ النجومُ من مسالِك السماء
وتزحم المصائب
كواهلا مثقلة أرهقها العياء
يهبُّ في عروقنا الشيء الذي نحسّه
أقوى من الفرار والضجر

عزيزتي
أوّاه كم أودّ أن أراك أن تضمني
عيناك، أن أعود
وفي يديَّ بعض ما جنيت من مجاهل
الوجود
هدية صغيرة لقلبك الودود

الكويت– ٤/ ١٩٦٠

# سَدومُ اللَّعينة

(١)

رياح المساء التي تلعبُ
رياح المساء التي تصخبُ
فتبعث في العابرين
شعورا بإثم الأب الأول
هي العري والموت..ويح المدينة
أتأتي على عطش السنبل
لتمتصَّ شوق العيون الحزينة

***

رياح المساء التي تعبرُ
تزمجر في الدرب أو تصفرُ
لتبعث في العابرين
تخوفهم من مخاض غد يجهلونه
هي العري والموت..ويح المدينة
أتحيا بغير يقين

يقيها السراب، الرياح، الرماد، الضغينة..!

(٢)

فوالهفتا يا سدوم اللعينة
خطاياكِ لا تحصرُ
وربكِ الذي تعبدينه
مخيف عنيف فمن يغفر
وأنتِ الضعيفة هل تنكرينه
وهل تنحرين الخراف التي تطعمينه
لغيرِ الذي تنحرين
وهل تحرقين البخورَ لغير الذي تحرقين
أراكِ تقولين غير الذي تفعلين
وفي كل يوم إلى كل جلجلة تسحبينه
غريباً مدمّي يجرَّ الصليبَ الذي تصنعينه
أراك القوية إذْ تصلبينه
سدومُ اللعينة
أراك صنعت الصليب الذي تحملينه

(٣)

هنا نحن في "طرقات" المدينة

نحدق في الأفق علَّ السفينة

تجود بما جمعت من شطوط البحار من الصبغ والتبغ واللؤلؤ الكاذب

هنا نحن محضُ انتظار

نحدّق في الزمن الهارب

أراجيلنا كالبراكين لا تستريح

ولكنَّ أرجُلنا من حجر

فلو عصفت ألفُ ريح

ونادى المنادي بأن اليهود أتوْ بالمسيح

لكي يصلبوه، لكي يرفعوه على خشبات الضغينة

لعزَّ علينا فراق أراجيلنا والضجر

وقلنا: أمُستحقُّ العذاب لأجل البشر؟

ستأتي السفينة

بما جمعت من شطوط البحار

"مصابيح" الشارع "الخائب"

ستأتي بما في ربى الهند من "قرفة" أو بهار

وما في (نيويورك) من لؤلؤٍ كاذب

لأن البطون التي أتخمتها عظام الصغار

تريد مزيداً، لأنَّ النساء
يردنَ الطلاء
ليسترن عرى "القلوب الحزينةْ"
سَتأتي..
سَتأتي..
سَتأتي السفينة
بصبغ وتبغ وأشياءِ زينة
وخبز لأجسادِنا المستكينة..

(٤)

طويل عسير طريق المدينة
سراب، رياح، رماد، ضغينة
وأجسادُ قتلى..
وأكواخُ طين
تصرُّ الصراصير فيها
ويعمي الذباب عيون بنيها
وترهقها لعنة الوالدين

١٩٦٠/١١

# دَفْقةُ المَطر

أوّاه..

أيرتوي النباتُ والترابُ والحجر

ونحن ها هنا

نُسائِلُ الرياحَ عن وعودِها..

نُسائلُ السماءَ عن مطر..!

***

يا مغرقَ الجبالِ والسهولِ بالسيول

يا مطر

يا مانحَ الشجر

هدية الرّواء والحياة والثمر

نفوسنا تجمعت على نبوعها الوحول

وانتشرَ "العليق" في رحابها

فليس فيها غير "غرسة" يهصرها الذبول

و "غرسة" يلفها "العليق" عندما

يظلّل النَّباتَ والترابَ والحجر

نفوسنا مريضة لا تعرف الفصول

***

" عليقة " تمتدُّ في نفوسنا

تسْطو على اخضرارها

تطاول الزيتون في انتشارِها..

ونحنُ صامتون واجمون نرقبُ الخطر

نُسائلُ الرياحَ عن وعودِها..

نسائلُ السَّماءَ عن مطر..

أوّاهُ.. يا غريب.. يا حبيب..

يا مطر

يا باعث الحياة في النبات والتراب والحجر

تمر بي هنيهة أشعرُ فيها أنَّني،

أودُّ أن أموتَ، أن أكونَ، أن أحسَّ

بالبقاء

أن أعيشَ لحظة من العطاء

نزهة من الخطر

أودُّ أن تعرفني الحقول في اخضرارها

وأن تراني العيون في انتصارها

تمر بي هنيهة من الوجوم والحذر
أحُسُّ فيها أنَّ في عروقي الظماء،
رعدة من الجفاف والضجر
وأنّني أعيشُ، لا أعيشُ، لست غير
نجمة تسير في مدارها
تجهل ما تراه من أسرارِها
أواّهُ..
أحُسُّ أنني خلقت هكذا.. بلا وطر

***

نفسي التي تراكمت وحولها
واحتشد "العليق" في شعابها
يأكلُ من ترابها
يرحمها ما خلَّف الجفاف من شرابها
أودُّ لو تفجرت،
لو غرقت جبالها، سهولها
لو منحتني قوةً.. وكلمة أقولها
أحُسُّ فيها روعة الصفاء والظفر

والدفء والمطر

***

أواّهُ..يا "عليقة" تمتد في رِحابِنا
شرابها ما خلَّف الجفاف من شرابنا
ماذا يفيد لو تأسَّفنا على شبابنا
ونحن واجمون، عاجزون كل ما
نعيش من حياتنا "صور"
من يحرق "العليق" من
سيمنح الزيتون فرصة البقاء
النار في نفوسنا خابية
ونحن قانطون من معونة السماء

***

تمرُّ بي هنيهة أشعرُ فيها أنني
أودُّ أن أموتَ–أن أكون– أن أحُسَّ
بالبقاء
أن أعيشَ لحظة من العطاء
أن أجاوز الوجوم والحذر
أود أن أحسَّ في عروقي الظماء،
دفقة المطر،

١٩٦١/٢

# الغريب

(١)

أمس شعرتُ بالدوار

شعرتُ أنني غريب

وأنني أعيشُ في متاهة انتظار

أمس رأيتُ بئر زيت.. صورة على جدار

زيتونها وتينها وأرضها البوار

والعائدينَ في المساءِ من كرومها

بكلِّ ما يجمعُ الترابُ من همومِها

والعائداتِ في طلوعِ الشمسِ بالجرار

من "عينها" يحكين عن نضوبها...

عن المواسمِ التي ستطرقُ الأبواب دونما ثمار

لتقذف المعذبين في دروبها

إلى مجاهلِ القفار

كي يرجعوا بالخبزِ والثيابِ للصِّغار

## (٢)

أنا هنا

أحُسُّ أنني غريب

وأن غربتي مخيفة وقاسية

فكل ما أبصره غريب

حتى القميص والحذاء.. والرؤى التي..

تمر بي في وضح النهار

## (٣)

من ينقذ الغريب...

من يرده إلى دياره

تشعبت به الدروب

دون أن يبين درب داره

واستنفذته الرحلة العشواء..

لم يترك سوى انتظاره

يا أملاً يلج في قراره

يلحفُ في استنفاره

زوده بالمنى وبالإصرار في سفاره

لعله يبصر درب الدار قبل لحظة أنهياره

(٤)

أنا غريب

منذ نزلت هذه المدينة

وطفت في الشوارع الرحاب والأزقة المهينة

أبحثُ عن حب عن رفء وعن سكينة

فأغرفُ السراب واللهيب

سبع سنين قد مضت

وقصتي الحزينة

فصولها تدور في مدارها

وتجمع المطامح الكبار والصغار في إطارها

وتسرق المنى لتجعل الحياة مثل ميتة الغريب

أوّاه كم أحِنُّ للفرار من إسارها

(٥)

أمس رأيت بئر زيت.. صورةً على جدار

عيونُها لا تمرحُ الطيور في رحابِها

ترابُها غيرُ الذي أعرفُ من ترابِها

غيطانها عيدان

وديانها قيعان

والنسوةُ "المبرجات" الحالمات بالنضار

يَدْفِنَّ ما ولدنَ في شعابِها

لأنهن لم يجدن الخبزَ والثِّمار

(٦)

زيتونتي الخضراءَ في الجبل

تذوي لأن راشداً راعيها الأمين

ملَّ فباعَ البغلَ والمِحْرات

وأتلف القمباز والسروالَ واشترى

"قندرةً" فاخرةً وبنطلوناً فاخراً

وزيتَ شعرٍ عاطرا

وغادرَ البيتَ إلى المقهى ليقهرَ الملَل

زيتونتي الخضراءَ ذاوية

وراشد ما زال في المقهى يداعبُ الأمل

بثروةٍ تأتيه من مائدةِ القِمار

لكي يشيد في المدينةِ المجاورة
حديقةً ودار
لكي يعيشَ عيشةَ "الكبار"

(٧)

أنا غريب
وراشد غريب
غُربتنا وموتنا
ورعبنا من الغدِ القريب
وإن يكن هناك
أو كنتُ ها هنا
لأننا نغامر
لأننا نقامر
لأننا نعيشُ في متاهةِ انتظار
لأننا نبحثُ في مائدةِ القِمار
عن روعةِ انتصار

## (٨)

أمس رأيتُ بئرَ زيت شُعلةً من النوار

وموعداً من العطاءِ والثَّمر

أمس رأيتُ الماءَ يفلقُ الحَجر

والبرقُ يوقظُ المنومين في مغاورِ الخدر

أمس رأيتُ يابسَ الشجر

يُزهرُ بالبراعمِ الصغار

أمس سمعتُ العائدات بالجرار

يحكين عن مواسم لم يعرف الكبار

مثيلها من قبل.. والرجال "سارحين" بالبذار

وراشداً يعُود للزيتونةِ الخضراءَ في الجبل

عيناهُ تزخران بالأمل

أمس شهدتُ روعةَ انتصار

الكويت ٣/٦/١٩٦٤

# اليَنابيع

نِمتُ.. صَحوتُ.. أيُّ عالمٍ كريه
أعيشُ فيه مذ سقطت ها هنا
لا شيءَ في يديَّ، حتى الحبَّ والمُنى
قد أصبحا من يقظاتِ التيه
أَبني وأَبني والرمالُ زاحفة
عاصِفةٌ تثيرُ عاصفة
فكلُّ ما أبنيهِ يختفي
وتختفي الأطلال
لعنتِ يا عواصفَ الرمال
ماذا فعلتِ بالبساتين التي زرعتُها
ماذا فعلتِ بالينابيع التي فجرتها
أهكذا أَحَلْتِها إلى خَيال
لعنتِ يا عواصفَ الرِّمال

بيني وبين هائجِ الرمال قصةٌ تطولْ

عرفتُها منذُ عرفَتُ كيف تقفرُ الحقول

وكيف تصبِحُ الينابيعُ جفافاً قاتلاً

وكيف تُصبحُ البساتينُ عراءً شاملاً

عرفتُها منذُ عرفتُ حاجتي إلى البقاء

وأنني مُطالبٌ بأن أحوِّل العراء

إلى بساتين.. إلى ينابيع.. إلى ظلال

تعيشُ رغم أنفِ هائجِ الرمال

سوفُ أظل ههنا

أبني وأبني؟ أزرعُ المَزارعَ الفساحِ في الرمال.

أقحم الأعماق كي أفجَر الينبوع

وأطعمُ الرمال منه كي تقر في السهولِ والتلال

ويُصبحُ العماء

مأوىً لكلِّ عابرٍ مفجوع

رمالُنا عصيةٌ ترفضُ أن تقر

رمالنا تجعلنا ننسى البساتين وننشد الكلأ

رمالُنا تجرُّنا إلى مسيرة الظمأ

ونحنُ واجمونَ.. لا نملكُ ما نقول

سوى أغاني شاعرٍ ملول

ذَوتْ مزارعُ الجنوبِ والرمالِ ما تزال

تزحفُ للشمالْ

هذي البساتينُ تزولُ والينابيعُ تغور

هذي الطيورُ تعبرُ المسافاتِ إلى الظلال

فمن يردُّ كيدَ الرّمل عنِ مزارعِ الشمال

ومن يصدُّ عن قرانا نزوةَ الريحِ الحرور؟

سوف أظل ها هنا

أزرع في أرضِ الرمال الزاحفة

أحصَدُ ما يُبقيه حِقْدُ العاصفة

أبحث عن ينبوع

أُقيمُ في العماء جَنة

وأزرع العراء

رَغَم نشازِ الأرض والسماء

حتى أردّ عادياتِ الجوع

غداً.. سآمر الرمالَ أن تقرّ

والرياحَ أن تلين،

والعواصفَ الكبارَ أن تصيرَ وداعة

غدا.. سآمر الينابيع بأن

تشقَّ بطنَ الأرض، أن تفتِّتَ الصخور،

أن تسيلَ في الوديان

لكي تبلَّ ريقَ طائرٍ يعيشُ ها هنا عطشان

غداً... غداً

سوف تزول من سواد مُقلتي صرخاتُ الفاجعة

١٩٦٤/٧

# إزارُ التِّين

يغصُّ العالمُ الوحشيُّ منذ البدءِ بالأفواه
والأفواهُ منذُ البدءِ تستجدي..
الترابَ الجدب...
تستجدي إله الجدب

فمنذُ البدء كانت "عدن" للأخيار
وكنا نحنُ أشرارا
نعيشُ على لحومِ صِغارِنا ورفاتِ موتانا
ونخشى أن نُسائِلَ ربَّنا عما اقترفناهُ
فنهتفُ من شغافِ قلوبنا
يا أيها الجبّار
اصْفحْ عن خطايانا
جياعٌ نحنُ منذُ البدءِ لا نقوى
على الإبصار
عراةٌ في مهبِّ الريحِ.. أَشكالٌ من الطين

نطوفُ على ينابيعِ المَنى نبكي ونستجدي
فلا نجني سوى البرد
خرجنا أمس من "عدن" بخزيٍ لا يجافينا
بحزنٍ صارخٍ فينا
بخوفٍ من "عذابِ النّار".. دين من عذابِ النار
خرجنا دونما ربٌّ نناجيهِ ولا دين
سوى العري الذي نخشى
سوى الخوف الذي نرضى
سوى الجوع الذي نحنُ قَبلْناهُ
سوى الستر الذي نحنُ صنعناهُ
سدىً .. من ورقِ التين
ألا فاغفرِ لنا صلوات آلآف من الأفواه
ما زالت على أمل بوعد المِّن والسلوى..
تسير وراء موسى في طريقِ الوعد..
ترجو أن ترى الله
فلا تبصرُ غير النار
وتنتظر المسيحَ ليشفيَ المرضى
ويطعُم من رغيف الخبر آلافا

ولكن المسيحَ يمرُ لا المرضى يعافونَ

ولا الأفواه..

أتبقى "عدن" للأخيار

ونبقى نحن أشرارا

نجرُّ على طريقِ الشوكِ إثماً ما عرفناهُ

أنخزى دون أن نعرف ما نحن ارتكبناهُ

أنرجو منذ بِدء البدءِ غفرانا

فلا تُمحى خَطايانا...؟

كفرنا نَحن بالوعدِ

لأنا لم نجد في الدربِ لا منّاً ولا سلوى

ولا أطعمنا الفادي

ولا خلصنا المولى

أكلنا نحن خبز الرّب..

لم نشبعْ

شربنا نحن خمرَ الربّ

لم نرو

وحافظنا على العهدِ

لعل العَهد يُعطينا

قليلاً من كثيرٍ نحن قدمناه

فلم نحصد سوى المأساة

أزار التين قد جف

ألا اقذف ورقَ التين

إلى الإعصار

وقِفْ في النار.. قِفْ في الجنّةِ الأولى

بعريِ اللحظة الأولى

يغصُّ العالمُ الوحشيّ بالأفواه

والأفواهُ منذ البدءِ تخشى الله

تخشى النّار

تخشى الجدْب...

فمنذُ البدءِ كان الله

وكان الجدْبَ

وكنا نحن أشرارا

الكويت ١٠/ ١٩٦٤

# طَريقُ المدينة

بعد زلزال أغادير

طويلٌ، عسيرٌ، طريقُ المدينة
سرابٌ، صراعُ عيونٍ حزينة
تفتشُ عن ظلِّها في الضياء
وتبحثُ في الرملِ عن واحةٍ، عن سكينة
طويلٌ عسيرٌ طريقُ المدينة
سرابٌ، سماءٌ ضغينة
وخيلٌ تحمحمُ عبرَ الدروب
محملةٌ برمادِ الضغينة
وأشرِعةٌ مزَّقتها الرياح
وقدمها البحرُ بعد الغروب
لغرقى يعيشونَ حتى الصّباح
طويلٌ عَسير طريق المدينة
سماءٌ ضنينةْ

وأجسادُ موتى وضوضاءُ زينة

سرابٌ

رياح

رمادٌ

ضغينة

فيا ربِّ.. يا واهبَ المدلجين

عمودَ الضياء

ويا معطي التائهين

مواسمَ مَنٍّ وسلوى

ويا مانحَ الصبر للمتعبين

وهاديهم في شعابِ الطريق الطويلة

تباركت.. يا هازِم الأكثرين

لتنصرَ هذي القلوب الذليلة

وتجعل أبناءك الصالحين

أشد وأقوى

تباركت: إنّا هنا في شعابِ الطريقِ الطويلة

نجرُّ صليبَ العذابِ الثقيل

ونضربُ في الأرضِ دون دليل

تباركت: نحن هنا في المتاه

جياعٌ عراة

نلاحُق أوهامَنا دون جدوى

ونبني مدينةْ

لتهدم أخرى وأخرى

وحين تحسُّ رمادَ الضغينة

ثقيلاً يهبُّ على كلِّ مأوى

ويحصدُ حتى نسيم الحياة

نقيمُ الصلاة

وننحَرُ كلَّ الخرافِ السمينة

لعلَّك ترضى.. تباركُ هذي النفوس الطعينة

عسيرٌ طويلٌ طريقُ المدينة

سرابٌ، رياحُ رمادٌ، ضغينة

وآدمُ فيه

طريداً يهوم دون انتظار

على ظهره صخرةُ الأبدية

وفوقَ الجبينِ

تباريحُ عارٍ

تلاحقهُ تستفزُّ جنونه

وتهمزُه إن أرادَ القرار

فيا ربِّ... يا واهبَ المدلجين

عمود الضياء

ويا مُعْطيَ التائهين

مواسمَ مَنٍّ وسلوى

هنا نحنُ.. لا رغبةً، لا رجاء

نقدمُ أطفالنا الجائعين

"حرائقَ" حبٍّ وتقوى

ونحيا حياةَ الكهوفِ الشقية

ونكسرُ عند حلولِ المساء

لنعطيَ طفلاتنا بذرةَ الآدمية

فتنجب جيل "الذبائحِ" والأشقياء

وقد تنجبُ الوارثين

ثقيلٌ عنيفٌ رمادُ الضغينةْ

يسلَّ بقايا النفوسِ الحزينة

ثقيلٌ عنيفٌ رمادُ الضغينة

فيا أنت، يا مُهلِكُ الساقطين

ويا رامياً باللهيب المدينة

تباركتَ: يا من يفيضُ على الأرضِ طوفانه

ليغسلها من ركامِ الرذيلة

ويعطي لنوح السفينةْ

ليجمع من كلِّ لونٍ، ومن كلِّ طينة

حياةً لكونٍ جديدٍ يشكلُ ألوأنه

تباركتَ، ماذا ستفعل هذي الأكفّ النحيلة؟

طويلٍ عسيرٌ طريقُ المدينة

دخانٌ، غبارٌ، عيونُ حزينة

وأجسادُ قتلى، صراخٌ طويل

وجوهُ يعذبها المستحيل

فيا أنت يا مهلك "الساقطين"

ويا رامياً باللهيب المدينة

تباركتَ: هبْ أننا قوم لوط العصاة

وهب كلَّ نسوتنا: مريم المجدلية

تشعشعُ بالإثمِ أجسادُهنَّ البدينة

فما ذنبُ أطفالنا الجائعين

ليضرسهم حصرم الوالدين

طويلٌ عسيرٌ طريق المدينة

سرابٌ، صراعُ عيونٍ حزينة

وأجساد قتلى وخيلٌ ظماء

تحنحنُ عبرَ الدروبِ الخلاء

فتوقظُ كلَّ النفوسِ الشقيةْ

لتبدأ حالاً زِحامَ البقاء

فيفنى .. ويحيا ..

وتُبنى مدينة

لتُهدم أخرى وأخرى

وتغربُ شمسُ النهار

ونحنُ نهوم عبر الفلاة

لنجمع أحجار دار

وننثرَ بعض البِذار

وننحرَ كل الخرافِ السمينة

لربٍّ جهلنا يقينه

فيا ربَّ أنا نخاف الدمار

ونخشى رماد الضغينة

تباركت إنا سنقتل " شمشون " والراقصين

نجاة لأطفالنا الجائعين

تباركتَ إنا سنهدمُ هذي المدينة

الكويت

# على شواطئ المدينةِ الخراب

هنا ....

هنا...

على شواطئِ المدينةِ الخراب

ما أكثرَ.. النحاسَ والحديدَ والصَّدفَ

ما أكثر المقاتلينَ دونما هدف

***

هنا...

هنا...

ننامُ كلَ ليلةٍ

نَغُطُّ في منامنا

نَغرقُ في أحلامنا

وفي قلوبِنا يئنُّ ألفُ حاقدٍ طَريد

يريد

يَجهلُ ما يُريد

يبحثُ في الشواطئِ الفِساحِ عن جديد

لكنما البحار

تأكلُ ما ترميهِ من قمامةِ النهار

فتمرض

وعندما يأخُذها الدُّوار

تقيءُ...

... تقذفُ النحاسَ والحديدَ والصَّدف

فتركضُ

ونركضُ

نُسرعُ في زِحامنا

مسائلينَ الشاطئَ الهائجِ عن أحلامنا

وفي صدورنا بحار

تقيءُ كلَّ ساعةٍ

تجود بالنحاس والحديدِ والصَّدف

فنركضُ

ونركضُ

وينتهي النهارِ

ونحنُ ساخرونَ من قصورِنا

ونحنُ نسألُ الحظوظ

نستجيرُ بالصَّدف

كي تحملَ "الحطام" في الضحى

إلى قبورِنا

***

وفي البحار

محارةٌ.. مجرّةٌ من المحار

بعيدةٌ عن أعين الشواطئ

زاخرةٌ بأنفَس اللآلىء

نحيا على انتظار

فربما

تقذفُ – فيما تقذف المحار

محارةً من "أنْفَسِ" المحار

***

نحنُ الذين نجمعُ النُّحاسَ والحديدَ والصَّدف

نحنُ الذين نقتلُ الصغارُ دونما هدف

نريدُ...

نجهلُ ما نريد

نبحثُ في الشواطئِ الفساحِ عن جديد

لكنما البحار

تَضُّن بالمحار

وتقذفُ الصَّدف

للنائمينَ في الشواطئِ الفساحِ، والمقاتلينَ دونما هدف

أهكذا..

أهكذا..

يسود المقاتلون واللصوصُ في المدينة الخراب

الجوعُ.. والخرابُ... والصّدف

أهكذا

شاءوا بأن يموت أهلها..

يعيشُ أهلها...

ويوأدُ الصغار...

من أجل دارةٍ جميلةٍ "وحفنةٍ" من التُّحف

أهكذا....

نولدُ بالعذابِ...

كي يئدؤنا العذاب

أحس بالدوار..

وأبصر المقاتلين يشربون من دم الصغار ..

يضحكون للدمار ..

أحُسُّ... بالقرَ... ف

أسف...

ماذا يفيدنا الأسف

نحن رضينا أن نعودَ بالصَّدف

ونترك المحار

لأننا نخافُ أن نجوسَ في مجاهل القرار

أهكذا..

نظل نركض

ونركضُ...

ونمسحُ الحياةَ من جفوننا

لكي نظلَّ آكلين شاربين من شجوننا

أنمنح الحياةَ والحياة تقبض

أوّاهُ...

بحارُنا مريضة...

والموتُ في صدورنا...

يدفعُنا...

يشدَّنا إلى قبورنا

أوّاهُ...

بحارُنا...

مَريضة

... ستجهض

ستجهض...

هنا...

هنا...

شيءٌ يضمُّ الناسَ أجمعين

الحاكمَ الجّبارُ والسَّجين

وكلَّ عاكفٍ على ثِرائِه

وكلَّ عاكفٍ على شقائِهِ

والشيخَ والطفلةَ والجنينَ

الآداب

كانون ثاني ١٩٦٢

# كَلِمات.. ومحبّة

يا رفاقي...

ما الذي أفعلهُ

ما الذي نفعلهُ نحن جميعاً..

للرفاقِ الجائعين...

ولأطفالِ الرفاقِ الجائعين..

كَلمات

ومحبّة...

آه.. لو كانَ لهذي الكلمات...

بعضُ ما نبغي من السحرِ العجيب

آه لو كانت بيوتاً آمنات

تمنحُ الراحة للقلبِ الغريب

آه لو كانت طعاماً

وسلاماً

للرفاقِ الجائعين

لشريدٍ أو طريدٍ أو سجين..

***

يا رفاقي..

ما الذي أفعلهُ...

إنني أعطي الذي أحملهُ...

غيرَ أني كلما ازددتُ عطاءً

كلما ازددت شقاء..ليت قلبي بحرُ دفءٍ واخضرارِ

فأفيضُ الفرحَ الخلاق في هذي الصحاري

وأردّ الخوفَ والرعبَّ سروراً وصفاء

ليت لي يا إخوتي ضوء النهار

ليت لي القوة والعزم فأبقى ..

في الميادين .. البطولات نداء

***

ليت لي الصبرَ فأشقى..

فوقَ ما تحملُ أعصابي ويستعصي ثباتي...

ليت لي غير حياتي

يا رفاقي...

ما الذي أفعله

ما الذي نفعلهُ نحن جميعا

عندما ينتفضُ الأطفالُ جوعا..

في حضون الأمهات...

عندما يسقطُ إنسان على الدربِ صريعا..

***

يا رفاقي..

آه.. لو أملكُ غيرَ الكلمات

والمحَبة

# الفَجرُ الجَميل

أيها الصارخُ في أعماقِنا

لا تحاسبْنا على الصمتِ الطويل

نحنُ أغلقنا على أشواقنا

وانتظرنا مطلع الفجرِ الجميل

أولا تلمحُ في أحداقِنا

بعضَ ما نخفي من السرِّ الجليل

***

يا هديرَ الشوقِ.. يا نبعاً عجيبا..

ليس يفنى أو يغيض

كلما اشتدّ به الجدبُ يفيض

نحنُ أعطيناك من أعماقِنا

كلَّ ما نحملُ مِن زادِ الرّحيل

وانتظرنا مطلع الفجرِ الجميل..

فلقيناك على أحداقنا...

أيها الصارخُ.. يا سّراً عجيبا

قد حملناه على دربِ العويل

فوجدنا فيه مخلوقاً غريبا

يوصلُ الأبعاد... يدني المستحيل

قد عرفناهُ حبيبا

يهب القوةَ للقلبِ العليل

فلماذا يتجّنى

يتحدّى.. كلّ ما أبقاه منا

كلما تاه عن الدربِ الدليل

ووقفنا

في المتاهات عيوناً وقلونا

نتمنّى

مطلعَ الفجرِ الجميل؟

أيها النبعُ الذي يدفقُ من أعماقنا

في ليالي الخوفِ والرعبِ بطولاتٍ وحبا

نحن أغلقنا على أشواقنا

خوف أن تُسرقَ في الليلِ وتُسبْى

وارتضْينا وحشَة الصمتِ الطويل

فلقد نخلعُ عن أعناقِنا

عارَها الموروث من جيلٍ لجيل

***

أيها الصارخُ

في أعماقنا

لا تحاسْبنا على الصمتِ الطويل

أولا تَلمحُ في أحداقنا

بعض ما نُخْفي من السِّر الجليل

إننا نبحثُ عن زادِ الرحيل

فلقد نبلغُ في الفجِر الجميل

بعضَ ما نُخفيه من أشواقنا

# أشواقٌ كِبار

دَعْ جناحي يتمزّق
دَعْ هديرَ الريحِ يلقيني إلى أرضٍ خراب

إن في صدريَ أشواقاً كبارا
لانطلاق واغتراب
يتفجّرن حرارا
ما الذي أبغيه من هذا التراب
ما الذي أرجوهُ من "وكرٍ قديم"
كان في يومٍ
ملاذاً لنسور طامحة
عرفتها روعةُ الأفق...
وأمواجُ الرياحِ الجامحة
ما الذي أبغيه..
لا شيء
هنا الُكره... هنا الموت...

هنا الحلْمُ العقيم

وبقايا ذكرياتِ البارحة

***

دَع جناحيَ يعرفُ الريح...

وَدَعْهُ يتمزق

فأنا مذ كنتُ لم أطِلقْ جناحا

لم أعانق في الميادينِ الرياحا

قابعٌ في " قمتي الجرداء "

أرنو.. أتحرّق

أُبصر الضْوء إذا ما الضْوء...

في الأرضِ تدفّق

غير أني لا أرى في الضَّوْءِ

دفئاً وانشراحا

أتراني..

كل شيء...

في..

في عيني...

في جسمي سقيم

أتراني أترك القمة؟

أمضي

أتحدى خشيتي، همي، جناحي المستكينا

أجعل الوهمَ يقينا؟

***

أتراني

أتحدى الريحَ...

أغزو الأفْق...

أنساقُ مع الإصرار...

من أرضٍ لأرض..؟

ما الذي يجلعني أبقى على القمةِ وحدي؟

أتحرق

وأمامي عالمٌ رحب..

وأكوان عجيبة

إنه قلبي...

يتمزّق..

لأعتراب...

لينابيعَ عذارى

تَتَدفّق...

في المتاهات الغريبة

أتراني...

أترك القمةَ "والوكر القديم"

أتحدى ألفَ شيطانٍ رجيم

لصخورِ الجبل

حَرمتني من بقايا أملي..؟

***

دَع جناحيَ يتمزَّق

دَعْ هديرَ الريحِ يُلقيني إلى أرضٍ خراب

أنا لن أبقى على هذا التراب

# سَيّدةُ البُستان

إلى أمي التي فارقْتُها منذ سبع سنواتٍ على أمل لقاء في ظلال الجوزة الخضراء،

لكن الخبر جاءني في ليلة الثاني من شباط ١٩٦٣ بأن الفراق أصبح أبدياً...

الجوزةُ الخضراء
تهزُّها الرياحُ والمطر
ينثرُ ما أبقى لهيبُ الصيفِ من أوراقِها
وأنتِ ترقدينَ في الترابِ والصقيع
يجمّد الدموع في آماقها

***

جوزتُنا الخضراء يا سيدةَ البسْتان
يا من قضيت العمرَ تحرسين
براعمَ الزهَر
يا من قضيت العمرَ تنظرين
مواسمَ الثمر
ماذا دهاكِ اليومَ... فيم تتركين؟

الزهرَ والثمر

للموت والرياحِ والمطر...!

***

الريحُ هذا اليوم عاتية

لكنما جوزتنا تقاوم

ونحن في الأسرّة الممهدات نائمون... هائمون

لا نحسُّ بالعواصف..

لا نرى

فنحن في متاهةِ السعلاة .. من سنين

الرملُ في الطريقِ جاثم

والبحرُ في الطريقِ جاثم

وليس في عروقنا دمٌ.. يشدُّنا إلى المسير

أو يشدُّنا إلى الثرى

فنحنُ نرهب العواصفَ الكبار...

نجهلُ العواصفَ الكبار

والرياحَ والمطر...

والحبَّ والحنانَ والحياة والظَّفر

الريحُ هذا اليوم قاسية

فمن يقي السنابل الصغار من زوابع الخَطَر

***

عرفتُ من قصائدِ الرُّكبان أمس أن الموت جاء دارنا

وأنه حطّ الرّحالَ، آتياً بكلِّ ما لديهِ من شجن

وقال للصغار... يا صغار.. يا مظلَّلين بالحنان

وناعمينَ بالمواسم الكبار.. هل عرفتم الأحزان؟

أريدكم أن تعرفوها...

أن تغمسوا الجفونَ بالدموع

أن تعمروا النفوسَ بالحزن..

أُريد أن أحرمَكم من نعمةِ الأمان

الموتُ أمس زارنا

واختار من بستاننا

سيدةَ البستان

فمن يردُّ العاصفة

عن الشَجر

عرفتُ منذ أن بلغتُ الرشد معنى أن نكون

وأن تشدنا المنون في الدجى إلى قبورنا

وما حرصتُ مرةً على الحياةِ أو خشيت أن ....

يخطفني الردى

فكلُّ ما يعزُّ عندنا يهون...

على الردى

فللردى إرادةٌ تحسمُ في أمورنا

ونحن قانعونَ.. خانعونَ.. راغمون

لكنما كرهتُ أن يوارى وجهك

المهيب... أن تأكله الديدان

لأنني أرى به مهابة الزيتون في بلادنا

وقوة الزيتون...

وروعة المياهِ عندما تسيلها العيون

على ثرى وهادنا

وكل ما يشرِّف الحياةَ والانسان

***

البئرُ باقية

والتربةُ المِعطاءَ باقية

وكلُّ بذرةٍ بذرتها

وكلُّ غرسةٍ غرستها

لكن وجهَك المهيبَ غاب، والرياحُ

هذا اليوم عاتية...

فإن أتى آذار.. من سيبذُر البِذار

... من سيزرعُ الغراس ...

من سيحضنُ الغراس...

كفّاكِ عادتا إلى التراب والأكفّ باقية

لكنها بلا مراس

الفلاحةُ

ذاتُ الجسم الصلب

والقلبِ الجبار

كانت تسعى..... تبني... تجني

لكن لم تبحث في يومٍ عن شيءٍ من أشياء الدنيا

إلا الستر

***

الفلاحةُ

عانت بالأمس الموت

فالقلبُ الجبار

ظلّ يناضلُ

ظل يقاتلُ

حتى انهار

سَيدةُ البُستان

لا تتركينا نحضنُ الصَّقيع...

فالترابُ يحضنُ الربيع

والبراعم

تنشقُّ عن أوراقها..

تقاومُ الصقيعَ والرياحَ والمطر

١٩٦٣/٢/٥

# السِّراج

الليلُ حطَّ في رحابنا

وكومُ العتمة خلف بابنا

ونحن في الظلمةِ راكدون

***

الريحُ والبروقُ تقحم "النوافذ – الزجاج"

تهبَّ تغمرُ المكان بالمطر

ونحن راقصو القلوبِ نسأل القدر

إن ضجت السراج و "النوافذ" –الزجاج"

لكنما العواصفُ الكبار

تمعن في الهياج

***

لتتحطمْ هذه "النوافذ– الزجاج".

وليُطفأ السراج

لكي نهبّ خارجين من نصابنا

فقد نموت أو نعيش في زوابع الرياحِ والمطر

# البَيْت

تقولُ لي:

– أريدُ أن يكون لي

بيتٌ من الحجر

أعيش فيه: أحتمي من الرياح، والمطرْ

– وما يفيدُ بيتك الحجر

إن قامت الزلازل

وداهمت زوابع الخطر

كثيرةٌ هي البيوتُ والمنازل

إن قَبِلتْ نفُوسنا الرياحَ والمطر

# المُتَفَرِّج

كنتُ في الساحةِ وحدي أتفرج
أتقدّم
وَورائي رفاقي
يَنظرون
لحظة أسقطُ فيها
كي يسيروا
غير أني حينُ ألقيت بطرفي لليمين
لَمَحت عيني صديقا
يتمطّى فوقَ تلّة
صاحبي كان فتيّا
أحْلَقَ اللحية مجبولاً بلطفٍ وأناقة
وحريصاً أن يغني
فلقد علَّمهُ والدهُ منذ البداية
أن ما من سببٍ يدعو لأن نشقى
ونفنى
فلنقفْ من فوقِ تلة
نَتفرج
فلقد نعرف ما معنى الحكاية

# الرَّحيل

غداً أغادرُ الصحراءَ قاحلة
غداً أخلف الرمالَ للسراب
والهَجير
لا نخلةً تُظلُّ قافلة
تعبرها ظهيرة ولا غدير

***

نحنُ بذرنا أحسن البذار
نحنُ زرعنا أعرق الشجر
نحنُ قضيْنا الصيفَ بانتظار
لكنّ صيفنا اللئيم لم يدعْ لنا
سوى الرمالِ وانتشارها
مدى البصر

***

لَكَمْ وددتُ لو تركتُ ها هنا
شجيرة من الصبارِ

أو جدولاً يفيض أو

ينبوعَ ماء لا يغيض أو

مظلةً تظلّلُ القوافلا

***

لكم وددتُ لو تركتُ ها هنا

منارةً تؤرق المجاهلا

***

ماذا أقول في غدٍ لسائلي عن

رحلتي؟

أقول عدت

عدتُ بجلدي يا أخي

وأحمد الله على سلامةِ

الذهابِ والإياب..

***

ماذا أقولُ للذين يسألونني؟

أقول " قلتُ للقوافل المحيرة "

هذي هي الطريق

هذي هي الطريق

فلم تجبْني بل مضت مُستنكرة

***

أحَسُّ أنني عدتُ من السفر

وما عرفتُ سرَّ هذه الزوابع

الكبار

لعلهُ الخوفُ الذي يذهب

بالإصرار

لعلهُ الجهلُ الذي يقودُ

للضجَر

لعله البحثُ عن النجاة

في الخطر

***

لقد رجعتُ يا سهول يا جبال

يا "منابعَ الرياحِ والمطر"

بعدَ سنينَ، فاملئي عروقي الظماء من تدفق الأنهار

وحمِّليني بالربيعِ والثمر

لأنني سوف أعودُ للسراب
واليباب والهجير
كي أُنبتَ الأشجارَ فيها،
أو أفيضَ من رمالها غدير

١٩٦٤/٩/٦

# الْغول

الغولُ ميت

إياكَ أن تقولَ: لا

الغولُ ما يزال سيداً مسودا

له الملوك حشم

والأمراء خدم

وفي يديه سرُّ صنعةِ التيجان

لقد قضى..

أرادهُ يافعٌ في العشرِ من سنيه،

لم يبد عارضاه أو يخط شارباه

ولا تحيطُ ساعديهِ عضلاتُ مارد،

ولا لديه "حكمةُ" الكُهّان

إياك أن تقولَ لي خرافة

فليسَ هذا الزمنُ الكاذبُ آخر الزمان

الغولُ ميت

إني أراهُ جسداً محطما

وجثةً مكومة

بأمَّ عيني أرى سحنته المورمة

بأمَّ عينيَّ أرى الضِّباع حولَه محومة

***

أتثقونَ بالذي أقوله

هيا إذن.. تجمعوا

تجمعوا

وهيّئوا الفئوسَ والسواعدا

لكي نشقَّ في الصخورِ حُفرة

نُلقيهِ فيها بكرة

ونرجمُ الصخورُ فوقهَ جلامِدا

فقد سمعتُ أنه يموتُ بعض زمن

ثم يهب من رداه

هيا إذا تجمعوا

ولا تخلوا في البيوت راقدا

فالصخرُ من صوان

الغولُ جثةٌ هامدة

والساهرونَ يأكلون حُصرما

ويَشربون علْقما

ومن لم يهبَّ منهم معاندا

تفتكُ به الثعالب

وفي الجحورِ تقبعُ الأرانب

***

سمعتُ ما سمعت؟

هي الرياحُ أم ترى نفير صور

يهدرُ من مشارفِ الجبالِ في الوديان

بلى نفيرُ صور

بلى نفيرُ صور

يا أيها المعلَّقون في زوايا الدور

يا أيها المكوَّمون في الجحور

هذي هي الإشارة

هذي هي الإشارة

فأطلقوا الشرارة

وليتفجَّر جبل الصخور

# العاصِفةُ المُداهمة

## أوف

غنيت موسمَ الحصاد كل العام

فتحتُ في جردِ الربى أكمام

لكنني حين طلبتُ الخبزَ والأدام

وجدتُ أن ما حصدتُه سراب

## دبكة

صوت:

سدى.... سدى

سدى.... سدى

سحابةُ الصيفِ التي تعبُر عن ربوعنا

سحابةُ الصيفِ التي تحجبُ وجهَ الشمس

يا أيها الجياعُ المتعبون والظماء

لا تنحروا القرابينَ ولا تؤملوا

فهذه الغشاوةُ التي تجمعت

في كَبِدِ السماء

سوداء.. غير أنها في الغد

في الغد سوفَ ترحل

وسوف لن تنزَّ قطرةً من المطر..

سدى

سحابةُ الصيفِ التي تعبرُ عن ربوعِنا

**الصدى: سدى**

س.....د.....ى

**صوت ٢:**

يا أيها الجياعُ المتعبون والظماء

لا تيأسوا

وهلّلوا وكبّروا: ما أكرم السماء

**صوت ٢:**

نحنُ- الفلاحين -

نحن حرثنا الأرض

نحن زرعناها

نحن سقيناها في أيام الجدْب

لكنا لم نحصدْ غير القِلّة..

## أوف

يا موسماً أصَّلتهُ من صغري

يا موسماً أملته لكبري

لم تأتني والعمرُ لم ينتظر

خليتني وحدي مع العذاب

## سامر

### صوت ١:

يـــا زائـــــــراً حـيـنـا نـــاديـــك نـــاديـنـــا

فـمـنـذ أن جـئـتـنـا اخـــضّـــرت روابـيـنـا

### صوت ٢:

هـــذي بـــيـــوت الـعـلا هـــذي بـــيـــوت الجـــود

رمـــاحـــهـــا لـلـعِـدا وبـســاطـهـا ممـــدود

## دبكة

### صوت١:

سدى

هذي السحابةُ التي تمر عن ربوعنا

سدى.... سدى

### صوت ٢:

يا راشد

يا خالد

يا حمدان المنصور

يا أهل القريةِ أجمع

الغول في الطريق قادم

الغولُ في الأبوابِ جاثم

وأنتم تسائلون الريحَ عن

سحابةِ معطاء،

تجودُ بالمطر...

**صوت ٣:**

هبوا..... هبوا

هبوا يا أهل القريةِ أجمع

فالغولُ على الأبواب

**صوت ٤:**

في جبلِ الصخور

هذا الذي ترونه

نهرٌ عظيمٌ يَهدر

تقدّموا وحطِّموا الصخور

واعبُروا

إليه، فهو من دهور

يَبحثُ عن سبيلهِ إليكم

تقدموا ...

تقدموا ...

**سامر**

"جيناك يا باب الخليل جيناك يا باب العمود

جيناك والدما تسيل جيناك نذبح اليهود"

# الطّائرُ الغَريب

الطائرُ الغريبُ حطّ مُثْقَلَ الجناح

ببابكم ألقت به شواردُ الرياح

من بعدِ أن أوغَلَ في السفر

الطائر الغريب مثخن الجراح

ببابكم حطّ..

لعلَّ سورَكم يقي

نَثارَ ريشةِ الأشعث من كواسر الرياح

هلّا فتحتم بابكم للطارقِ الغريب...؟!

***

قد ودّعتنيَ النجومُ نجمةً فنجمة

وغادرتني نجمةُ الصباح

مُلقى على الرصيف

أطرق بابكم وأستجيرُ دونما مجيب

حتى الصدى كان يضيع في المفازة التي

تقومُ بيننا

ليصبحَ النحيب

آخر ما يملكهُ المشرّد الغريب

ألا افتحوا

ألا افتحوا

فما الذي يخيفكم في طائرٍ ممزقِ الجناح؟

***

ضللتُ سِربي في مشارفِ المدينة

فجئتُكم...

مؤملاً أن أجِدَ الليلةَ في رحابِكم

نوما هنيئاً ومقاماً طيبا

ألا افتحوا

ألا افتحوا

فقد تجمَّعتْ عليَّ الكاسراتُ من كلابكم

***

لا تفتحوا

أو فافتحوا

فالطائرُ الغريبُ حَطَّ في رحابِكم وطار

الطائرُ الغريبُ عادَ مثقلاً ومتعباً

إلى كرومِ التين والزيتون...

حيث يعيش إخوةٌ له على انتظار

# بِغَيرِ دار

(إلى صديقي محمد الذي لم يعرف له بيتاً منذ خرجَ مطروداً من بيتهِ يافا)

رأيتهُ

العلمُ الخفاقُ في يديه

والرفاقُ حَوله مندفعون قدما

ورأسهُ تناطحُ النجوم

كان الجنودُ في مفارقِ الدروبِ يكمنون

والبنادقُ "المُعمَّرات" في انتظارِ الضغطةِ الأخيرة

لكن فَمَهُ المزبد كانُ يطلقُ الصيحاتَ صيحةً فصيحة

فترعد الجمهرة الكبيرة

ويبدأ الهجوم

***

رأيتهُ

العلمُ الخفاقُ في يديه

والرصاصُ زخةً فزخةً منهمرٌ عليه،

والرفاقُ واحداً فواحدا

يَهوونَ حولهَ مضرجين بالدماء

وهو يسيرُ قدما

ورأسهُ يناطحُ السماء

***

وعندما تمزقت رايته

وشتتَ المندفعون قدما

وأطبق الظّلام

راح يجولُ باحثاً عن ملجأ ينام فيه ليلة

أو ليلتين ريثما تحتشدُ الجموعُ للصِّدام

***

محمد ذاك الذي أخطأهُ الرصاصُ صدفةً

ما زال في يديه علمٌ مخضَّب

وما يزال رأسهُ يناطحُ النجوم

أراه كلَّ ليلةٍ يومضُ في أزقةِ المدينة الحابسةِ الأنفاس

ومقلتاه تُرقبانِ كلَّ عطفةٍ وكلَّ منحنى

فربما تدهمهُ دوريةٌ مُغيرة

وعندما تذبلُ مقلتاهُ في أرجوحة النعاس

يروحُ حالماً بغرفةٍ هادئةٍ صغيرة

وزوجةٍ قنوعةٍ وصبيةٍ صغار

يرضون بالخبزِ وبالحصيرة

أوّاهُ... كم يودُّ لو يعيشُ مثل كلِّ الناس

***

لكنهُ والعلمُ الخفّاق في يديه

وجسمهُ مشتعلُ الجراح

يقسم أن يتابعَ المسيرة

حتى ولو تمزقت رايتهُ، وشتت المندفعون قدما،

وركِنَ المزعزعون للفِرار

حتى ولو خلَّاه إخوة الكفاح دونما سلاح

ودونما ذخيرة

***

محمدٌ ذاك الذي باتَ بغير دار

بعد أن طردهُ اليهودُ من دياره

يرفضُ أن يقر تحت خيمة الهزيمة

يرفضُ أن يأكل من مأدبةِ الجريمة

لأنه يريدُ أن يعيشَ أو يموتَ لانتصاره

١٩٦٦/١٠/١

# الغُرفةُ الكَئيبة

هنا يظل الشاعرُ الكئيب
منطوياً في الغرفةِ الكئيبة
ينتظر القصيدة- العجيبة
ويسأل الموتى على الصليب
أن يسمعوا نحيبه
أن يرفعوا صليبه

***

هنا يظلُّ الشاعرُ الغريبُ
فارسَ ميدانٍ بلا فرسان
جاراً بلا جيران
ليس له في حيّه قريب
إلا الفتى القابعُ في الدّكان
ومالك البيتِ الذي لا يغيب

***

فلتندلع ألسنُة النيران

في الغرفةِ الكئيبة
ويبحثُ الشاعرُ في الأزقةِ الظماء...
والمزارعِ الجديبة
عن كنزهِ الضائعِ من زمان

١٩٦٦/١٠/٣٠

# عند بابِ الزاهرة

بابُ العمود موصدٌ وعند بابِ الزهراءِ
خَطَّ الرفاقُ بضعَ كلماتٍ بالدماء:
يا أيها المشردون والجياع والظماء
اليوم غابت السماء
وفي غدٍ يأتيكم المطر...

***

قل للذين غرسوا الغراس في الشتاء
وأكلوا المُزَّار والعُلِّيق في انتظار موسم الثمر
موسمُ هذا العام وافرُ العطاء
فانتظروا المواسم الأخرى..

***

ومنذُ أن كنتُ صغيراً كان قلبيَ الصغير
يخفقُ لليومِ الذي أصيرُ فيه ثائراً مقاتلا
أحمل بندقيتي وأصحب الثوار:
واليوم...

ودعتُ من عمري الثلاثين وما أزال
أحمل كل ليلةٍ "بارودةَ" الخيال
وأصعد الجبال...
لكنني آكلُ عندما أفيقُ الشوكَ والمُرَّار

***

رَوَّعتني..
يا أيها الدُم الذي يسيلُ في دروبِ القدسِ والخليل
رَوَّعتني
حرمتني من حلمَي الجميل
ألقيتني أمام خصميَ عارياً وعاطلا
يا أيها الدُّم الذي أراهُ من يديَّ سائلا

***

تفجرت نابلس وانتفضت جنين
ولعْلعَ الرصاصُ في شوارعِ الخليل...
فأين بندقيتي...؟
أريد بندقية
أريد بندقية

١٩٦٦/١١/٢٧

# النّرجسُ البريّ

النرجسُ البريُّ في جبور
يُطلُّ من مشارفِ الصخور
منتظراً غاراتكم
والطيرُ قد آوت إلى الأعشاش
آمنةً من بعدِ أن هاجرتمو
وراحَ راشد مردداً موالَه المشهور
طال النوى وحبنا "ما جاش"

***

ذكّرني وجهُك يا رفيقة
بالنّرجس البريَّ في جبور
وبالنواطير على "القصور"
يحيون ليلَ الغربةِ المهجور
بالقصائِد الرقيقة...

***

تحية إليك يا نرجسةَ الصخور
فوجهُكِ المُشْرقُ بالنذور
ذكّرني بوجه أمي المعذب الصبور

١٩٦٦/٧/٢٤

---

* جبور: اسم مكان في بلدة الشاعر بيرزيت

* يدعى العرزال في بيرزيت "قصرا" وكثيرا ما يكون النواطير غرباء

# الزَّنْبقة

الشاعُر الذي طوَّفَ في دياركم
وساحَ في الحدائِقِ الفيحاء... والمزارعِ الغناء
الشاعرُ الذي جَنى ثمارَ حبكم من مقلِ الصغار
و "مالح" المزارعين في كومونة "الرمال والأحجار"
الشاعرُ الذي يغيبُ في القريبِ عن أنظارهم
يريدُ من بلادِكم زنبقةً حمراءَ
يزرعها في النبعةِ الخضراء من فؤاده
يحمُلها إلى ربى بلاده
يضمُّها إلى الزنابقِ التي تفتحت في موسمِ العطاء

***

الشاعرُ الذي طوّفَ في دياركم
يريدُ من بِلادكم زنبقةً حمراء

١٩٦٦/٧/٣١

* كومونة في الصين الشعبية

# القُمبازُ العَتيق

أوف...
ذكّرني قمبازُكَ "العتيق"
والسِّحنةُ المطفية
بليلةٍ كنا معا فيها
نجني عناقيد دواليها
ونطلقُ الأحلام تحت الشجر
لعلنا نجني ودادَ القمر

***

يا راشد الماشي على دربه
ضيعتني يا راشدي في الطريق
خليتني أمشي على دربي
يدي على قلبي
وفي يدي الأخرى سراجٌ ضئيل
أخشى عليهِ من نسيمٍ عليل

***

يا الراشد الماضي على دربه

يأكل من قلبه
يشرب من ينبوعهِ الدافق
أذكرُ رفيقاً ضاعَ في العاصفة
ينبوعه جفَّ ولم يبق ريق
في حلقه العابق
بالموتِ والرملِ وشوك الطريق
قمبازكَ البالي
أنكر "بنطالي"
ووجهك الشاحب أوحى لي
أني خلال السفر
أضعت وجهي في شعاب الطريق

***

معذرة يا رفيق
فليس عندي غير وجهي الذي
حملتُه في يومِ ترحالي
حدق بي.. فقد يكون الغياب
أنساكَ ما ألفتهُ في الشباب

شباط ١٩٦٧

# الشَّمسُ والأشجار

إلى لين يوان

الشمسُ في بلادِكم تسطعُ والأشجارُ
تزخرُ بالثمر
فالدفءُ للجميع
والشمسُ في بِلادنا تسطعُ والأشجارُ
تزخرُ بالثمر
لكننا نموت في الصقيع
ونأكلُ الحجَر

***

بلادَنا
متى تكون الشمسُ والأشجار للجميع؟!

١٩٦٦/٧/٢

# الكَوْكَبُ الصّغير

إلى إبني أوراس

أوراس يا كوكبيَ الصغير
دَلَلْتَني على الطريقِ في الظلام
علّمتني المحبة
لولاكَ ما كنتُ عرفتُ غربة
ولا تشوقتُ إلى السلام
أوراس يا مؤرقي

١٩٦٦/٦/٢٨

# الرّاية

إلى وانغ جين شين

يا أصدقاءنا المقاتلين

يا معانقي البنادق

في الليلِ والنهار

يا خالقي المزارع الغناءَ والمصانعَ الشمَّاء،

في الخرائبِ البوارِ

يا الحاملونَ الرايةَ الحمراء بافتخار

صغارُكم أهدوا لنا زنابقا

شكراً لهم

شكراً لكم

فنحن ندري أن حبَّكم لنا بلا قرار

لكننا نودُّ لو قدمتموا لنا بنادقا

# النوافذ التي تفتحها القنابل

## المجموعة الثالثة

# الإهداء

## إلى أم ابراهيم

وإلى الصغيرين إبراهيم وسلوى...

الذين لم أستطع أن أقدم لهم شيئاً غير

المتاعب خلال السنوات الماضية

١٩٧٠/٨/٥

ناجي

# مـقَـدّمـة

أذكر جيّداً أول مرة حاولت فيها أن أكتبَ الشعر.

كان ذلك سنة ١٩٤٧-١٩٤٦ على ما يبدو، لأنني كنت وقتها في الصف الرابع الابتدائي، وكان الموضوع الذي جعلته موضوع قصيدتي الأولى هو الكون وقضية خلقه، وبالطبع ليس لدي الآن نص القصيدة ولا أذكر شيئا منها.

وأذكرُ أنني مزقتها لشعوري حينذاك، بأنها ليست شعراً.

وفي العام التالي كتبت قصيدتين في نهاية السنة المدرسية. أظن أن ذلك كان في أيار وكانت القصيدتان "وطنيتين". ولا عجب فذاك العام عام الهجمة الصهيونية ومقاومتها، ولكنهما كانتا منظومتين على طريقة "الشروقيات"، أي أن للصدر قافية وللعجز أخرى. وقد أعطيت القصيدتين لابن عمّ لي كان يكبرني سناً، ويجيد نظم الشعر، إضافة إلى أنه يفهم العروض جيداً. قرأ ابن عمي القصيدتين وصححهما وأعادهما لي، مثنياً ومشجعاً.

وفي السنة التالية، كان أستاذ عَجوز يدرسنا العربية اسمه جميل الفاخوري، وهو شاعر من لبنان، قد طلب منا في نهاية الفصل الأول وقبل أن نذهب في العطلة، أن نكتب له خمسة عشر موضوع إنشاء خلال العطلة. وكان من مواضيع الإنشاء موضوع عنوانه: مسقط رأسي، هو أول المواضيع. ومع أنني كنت مبرزاً في موضوع اللغة العربية، فقد أردت أن أطرح شاعريتي على أستاذي، لأتأكد منه إن كنت شاعراً أو لا. ولهذا فقد عمدت إلى كتابة موضوعين من المواضيع الخمسة

عشر شعراً. وكان الموضوع الأول أحدهما. ولما كنت غير واثق من نفسي، وكنت أخشى أن يقرأ الأستاذ الموضوع في الصف وأمام التلاميذ، فينالني شيء من نقده، وضعت دفتري تحت الدفاتر جميعاً.

ولا أدري الآن كيف عرف زميلي ومنافسي في الصف أنني كتبت شعراً، فغافل الأستاذ ووضع الدفتر فوق الدفاتر جميعاً. ورأيت ما فعل فأخذ الدم يصعد إلى رأسي ،وبدأت أشعر أنني أواجه امتحانا قاسياً. ومرت اللحظات ثقالاً، وكانت ركبتاي تصطكان، وكنت مضطرباً.

اندار الأستاذ بعد أن قرأ قليلاً في دفتر زميل آخر وأخذ الدفتر وبدأ يقرأ دون أن يعرف الاسم:

هي "بئرزيت" جنة الأوطان..

ولما أحس بالموسيقى الشعرية أعاد، ومضى قدماً

العيش فيها متعة وأماني

وأعاد قراءة الشطر، ثم مضى قدماً وقرأ الشطر الثاني...

كنت أشد ما يكون الإنسان اضطراباً. وكنت أنتظر كلمات تخرج من فم الأستاذ.

وأخذ الأستاذ يهز رأسه، وينظر إليَّ... وأنا أنتظر الحكم. وفجأة سمعته يقول: عافاك ستكون شاعراً. ومن يومها ركبني شيطان الشعر.

بدأت أقرأ... وكان أبي يحفظ الكثير من الشعر، الشعبي والفصيح، وكان كثيراً ما يروي لي، سمعت منه شعر المعرّي والمتنبيّ وعنترة العبسي وغيرهم. وكان أبي يحتفظ ببعض الدواوين، أذكر منها ديوان عنترة العبسيّ وديوان الشاعر المهجري نعمة الحاج، وهو شاعر مجدد، ومجموعة من المناظرات الشعرية الشعبية اشترك فيها

عم والدي في المهجر. كما أن الوالد كان يحتفظ بمختارات شعرية قليلة اختارها هو، وكتبها بخط يده.

وفي هذا الوقت اهتديت إلى مكتبةٍ قريبٍ لنا ونسيب، تضم كثيراً من الكتب الأدبية والدواوين ومجلدات مجلة الرسالة، فأخذت أستعير منها، وأقرأ، وأذكر أنني قرأت شعر علي محمود طه والغربال لميخائيل نعيمه، والديوان للمازني والعقاد، ودواوين خليل مطران وشوقي وحافظ. ولكنني لم أكن أقرأ فحسب، بل أخذت أكتب الشعر حتى باتت كتابة الشعر رياضة يومية.

وحين انتهى العام الدراسي السابع كانت درجتي قد أصبحت الخامسة بعد أن كانت الثانية.

وجاء الصيف فقررت أن أَؤلف " ديوانا " . وكان أن جمعت قصائدي وخططتها بالريشة على دفتر، ولا أدري لماذا استخدمت الحبر الأحمر، ووزعت القصائد حسب مواضيعها، فكان باب للمدح وباب للوطنيات وباب للرثاء وباب للهجاء وباب للغزل.. إلخ، والمجموعة ما زالت حتى الآن موجودة في الأرض المحتلة.

ولم أكتف بهذا بل قررت صيف ذلك العام أن أَؤلف كتاباً في "الصرف والنحو" وآخر في البلاغة. وقد أنجزت الكتابين طبعاً، لأن مهمتي كانت أن ألخص عدداً من كتب النحو والصرف والبلاغة.

وحين ابتدأت السنة الأولى الثانوية كنت مصاباً بمرض اسمه اللغة العربية والشعر. أصبحت مولعاً بقراءة المعاجم وكتب اللغة، وأصبحت مدمناً على كتابة الشعر، حتى أنني كنت أحرص على كتابة الشعر في حصص الهندسة والكيمياء والفيزياء والرياضيات. وكانت النتيجة بالطبع أنني أخذت أتخلف من حيث المرتبة في الصف.

وظللت أسير على نفس المنوال خلال السنة الثانية الثانوية حتى كدت أرسب في صفي. وأذكر مرة أنني كنت أتحدث إلى صديق أكبر مني سناً، كان معنا في المدرسة، وكان سيتخرج في ذلك العام فقلت له: لماذا أدرس رياضيات وكيمياء و... و.... إنني أريد أن أكون شاعراً. ولا أدري كيف أيّدني فيما ذهبت إليه.

وما كادت السنة الثالثة الثانوية تنقضي (١٩٥٢-١٩٥١) حتى كنت قد قرأت من معاجم اللغة: مختار الصحاح، والمصباح المنير، وفقه اللغة للثعالبي، ونجعة الرائد لليازجي وكتباً لغوية أخرى أذكر منها كتاباً للدمنهوري.

وكنت قد جمَّعت أكداساً من الشعر المنظوم، الذي نظمته على مقاعد الدراسة.

وكنت في هذه الأثناء أحاول نشر إنتاجي، أرسلت للصحف المحلية. وكانت في البدء تكتفي بذكر اسمي، ونشر بيت أو أكثر في بريد القراء. وكانت أول قصيدة نشرتها على ما أعتقد قصيدة اشتركت بها في مسابقة نظمتها مدرستنا، ونلت عليها الجائزة الثانية في الإلقاء. كان ذلك في نهاية السنة الثانوية الثانية (١٩٥١-١٩٥٠) وقد نشرت القصيدة في مجلة المدرسة.

ثم أخذت الجرائد المحلية وهي فلسطين والجهاد والدفاع تنشر لي بعض القصائد. وعند نهاية السنة الدراسية الثالثة الثانوية بدأت أهتم بالقراءات السياسية والفكرية، ومن هنا بدأ اهتمامي بالقراءات اللغوية يتضاءل، وإن كان اهتمامي بالشعر قد ازداد. وكانت اهتماماتي الشعرية موضوع انتباه الكثيرين، وبينما كان الوالد يشجعني ويستمع لي باهتمام أحيانا، حتى أنني ذات مرة أَسمعتهُ قصيدة كتبتها لتكون موضوع إنشاء، فأفاق في الصباح وهو يقترح عليَّ إضافة بيتين نظمهما تكملة لها، كانت الوالدة تقول لي: "الشعر ما بطعم

خبز" ... وكان كثير من أقاربي يؤكدون للوالدة هذه الحقيقة، فتؤكد أن "كل شاعر يموت جوعان".

وأذكر أنني مرة ذهبت لزيارة أحد أقاربنا المسنين، وكانت أحدى الجرائد قد نشرت لي يومها قصيدة أو دراسة نقدية، وحين دخلت كان يقرأ ما كتبت، وبعد لحظات من جلوسي بادرني بالقول: "عرَّب عراب ما بتطعم خبز".

ولقد صادفت في المدرسة ما صادفته في البيت، فقد كتبت مرةً موضوعاً نقدياً، وسلمته لأستاذ اللغة العربية، فعرف أستاذ الهندسة والرياضيات، وكان أرمنياً متفرنجاً، بالأمر، وحين دخل الصف طلب مني أن أقف، وسألني عن اسمي. ولما تأكد أنني الشخص المطلوب بعينه قال لي بلهجة رزينة واثقة: "كن إنسانا واقعياً". Be a Realistic man" وما كانت كل هذه المحاولات لتفتَّ في عضدي، كنت أستدين لأشتري كتباً، وكنت أدّخرُ المصروف القليل الذي أحصل عليه لأرسل قصيدة في البريد. لقد كنت أريد أن أكون شاعراً وشاعراً لا غير.

وفي صيف سنة ١٩٥٥ نشرت لي مجلة الآداب أول قصيدة وكانت عن الجزائر "بعنوان" "هولاكو الجديد". وبما أن قراءاتي كانت منصبةً على التراث، وعلى كتب اللغة، تأثرت كثيراً بالشعر العامودي، وحاولت أن أنظم ملحمة طويلة لأثبت بأن القافية لا تحول دون كتابة الشعر الملحمي. وقد أنجزت من الملحمةِ ستمايه بيت، ثم انصرفت عنها. وكانت القصيدة همزية ومن البحر الخفيف. ولكن قراءتي لمجلة الآداب منذ صدورها، أخذت يؤثر فيّ، فبدأت أكتب قصائد من الشعر الحديث، وكنت متأثراً بالشاعر بدر شاكر السياب خاصة. ومن بين القصائد المحفوظة لدي، هنالك قصائد ممّا يمكن أن يسمى الشعر الحديث، يعود تاريخها إلى سنة ١٩٥٤، ومن هذه القصائد قصيدة بعنوان

"أماه" نشرتها جريدة "الحواث" التي كانت تصدر في عمان، وسأقدم هنا مقطعاً من القصيدة:

أماه أين أبي

وقطّب حاجبيه وصاح صيحة مُتعبِ

ومتى يعود!

ومتى أراه يضمني

فيقرُّ ثائر أضلعي

أمّاه أين أبي

وما للبشر في عينيك جدٌّ معذبِ

أماه أين مضى ترى

ومتى يعود؟

أماه لا... لا تنكري

فالنار تضحك في دمي

والشوق يلهب خاطري

فأصيح صيحة ثائر

أماه أين مضى أبي

وعلى الرغم من التوجه الجديد في شعري، فقد ظل طابعه العام تقليدياً. وهنالك بين أوراقي قصائد، تعود إلى هذه الفترة منها قصيدة عنوانها "الوثبة

الكبرى.. في ذكرى المعراج والنبي الخالد " أورد منها هذه الأبيات:

هـو الـنـور إلا أنـهـا الـوثـبـة الـكـبرى ... تهادت بها الصحراء فانطلقت فجرا
وراحـــت تـنـادي والـظـلام مـخـيـم ... حطاماً على رمل الخطيئة قد قرّا
أيـدري الـذي أسـرى بـأن جموعنا ... قد انتفضت ذعراً وقد هتفت ثأرا
وأنّـــا وقـفـنـا فـي وجـــوه عداتنا ... عـمـالـقـة غـلـبـاً وألـويـة حـمـرا
ولـم نـرضَ مـن غـيـر الـعـروبـة رايـة ... ومـن غير ما أوحت لثورتنا سفرا
لـئـن كـانـت الأولـــى جـــلالاً وعـزة ... فما أعظم الأولى وما أعظم الأخرى

وخلال عام -١٩٥٤ كانت تربطني بالشاعر الكويتي علي السبتي مراسلة، فأخذ يطلب مني قصائد وينشرها في الكويت والبحرين. ومن هذه القصائد التي نشرت في البحرين فصيدة بعنوان " قرابين " أقدم منها الأبيات التالية:

فـديـتـك مـا الـشـعـر والأغـنـيـات ... إذا لـــم تـكـن ثـــورة تـلـفـحُ
ومـــا هـــذه الـتـمـتـمـات الـتـي ... عـن الحـقـد والـثـأر لا تفصح
فـديـتـك مـــاذا يـخـاف الـشـبـاب ... صـعـالـيـك فـي أرضـنـا سُـلـحَّـوا
أتـخـشـى الـعـتـاة أتـخـشـى الـقـسـاة ... ســـواعـــد مـفـتـولـة تـكـدحُ
أيخشى بنو الشعب تلك السياط ... وتـلـك الـسـجـون الـتـي تفتح

وتلك المنافيَ بين الرمال ... وتلك القيود التي تطرح
عيون مخضبة بالطموح ... شرار الحياة بها يقدح
فقل للكبار وأذنابهم ... ومن في البلاد لهم ينجح
هو الشعب وليجرم المجرمون ... فثورته البكر لا تكبح

انتقلت بعد أن عَلّمتُ ستة أشهر في الفحيص بالأردن إلى الكويت. كان انتقالي إلى الكويت مرحلة جديدة في حياتي. انغمست هنا في العمل السياسي والنقاش السياسي والقراءات السياسية انغماساً تاماً، ومع أنني سافرت إلى الكويت في نيسان سنة ١٩٥٦، إلا أن التحول في شعري لم يحدث إلا سنة ١٩٥٧. ولقد ظلت قصائد سنة ١٩٥٦ يغلب عليها الطابع التقليدي. ومن هذه القصائد قصيدة ألقيتها في احتفال أقيم بمناسبة تأميم قناة السويس وهي مؤرخة في ١٦/٨/١٩٥٦، عنوان هذه القصيدة "بطولاتنا والغد الأكبر: جاء فيها:

بطولاتنا والغدُ الأكبرُ ... نداءٌ تردده الأعصرُ
وأنشودة الفجر فجر الكفاح ... ضياء على دربنا ينشرُ
وهذي الجماهير في أرضنا ... قوافل للملتقى تقطرُ
يؤججها الثأر ثأر الأباة ... ويدفعها وعيها النَّيرُ
فقل للحثالات والغاصبين ... هو الشعب من مكرمكم أكبرُ
هو الشعب وليفهم المجرمون ... بأنا بإيماننا أقدرُ
وإنَّ شريعتهم للزوال ... وأن شريعتنا تظفرُ

ولكنني منذ سنة ١٩٥٧ أخذت أتجه اتجاهاً آخر. صحيح أن التحول في شعري كان تحولاً في الشكل، في تعدد التفعيلات، ولكنه كان تحولاً على أية حال قاد خلال السنوات التالية ١٩٥٨، ١٩٥٩، ١٩٦٠ إلى تحول حقيقي، يبرز واضحاً في مجموعتي "هدية صغيرة".

إن هذه المرحلة ١٩٦٠-١٩٥٧ مرحلة انتقالية تبرز فيها كل ملامح مرحلة الانتقال.

تركت سنة ١٩٦٠ حزب البعث العربي الاشتراكي مستقيلاً، بعد عام الإشكالات والمشاكل، وخلال عام ١٩٦٠-١٩٥٩ عكفت على دراسة الفكر العربي المعاصر منذ منتصف القرن الماضي، وكانت نتيجة هذه الدراسة كتابي (الثوريُّ العربيُّ المعاصر) الذي صدر سنة ١٩٦٠ عن دار الطليعة.

وخفَّت مع زيادة اهتمامي بالدراسات حماستي لكتابة الشعر، مع أنني ظللت أقرأ الشعر بانتظام، وأحرص على متابعة المجموعات التي تصدر، والقصائد التي تنشر حتى سنتين خلتا.

ومنذ سنة ١٩٦٠ وحتى الآن وأنا أكتب الشعر لماماً، وعندما أحس بحاجة ماسة لا أستطيع التعبير عنها بغير الشعر، ولا أستطيع الهروب منها. وكانت حصيلة ما كتبت في السنوات "١٩٦٦-١٩٦٠" القصائد التي نشرتها في مجموعتي "هدية صغيرة" بالإضافة إلى عدد محدود من القصائد التي لم أنشرها في المجموعة.

وخلال سنة ١٩٦٤ وسنة ١٩٦٥ تبلورت لديّ فكرة أن أنصرف عن الشعر، وكانت تحدوني إلى ذلك مجموعة دوافع يمكن تلخيصها فيما يلي:

**أولاً:** أنني لا أملك موهبةً غير عادية تخولني تطوير تجربتي الشعرية والارتفاع بها إلى المستوى الذي أنشده.

إذن فما أملكه موهبة عادية تسعفها معرفة بالشعر، وإحاطة بمشاكله وأساليبه وخبرة تراكمت خلال سنوات. وهذا في نظري لا يكفي لمتابعة ممارسة الشعر، ولتكريس العمر له.

**ثانياً:** إن انغماسي في العمل السياسي يزيد تجربتي غنى، ولكنه في الوقت ذاته يدخل الكثير من العوامل القاتلة للشاعرية فيها.

**ثالثا:** إن اهتمامي بالدراسات وعكوفي عليها يحد من قدرتي على متابعة ثقافتي الشعرية والنقدية، ويجعلني أكتفي بالقليل أو العابر، وهذا ما لا أرضاه لنفسي، إذا كنت أريد أن أطرح نفسي شاعراً.

**رابعاً:** إن الاتجاه الذي بدأ يظهر في شعري منذ سنة ١٩٦٠، وهو اتجاه الغربة والإطلاق، الناتج عن جو العزلة والغربة الذي عشته في الكويت، والمتأثر بتجربة الشعر الحديث عامة، اتجاه أرفضه ولا أرضاه. ولكني في الوقت ذاته لا أملك المقدرة على بلورة اتجاه آخر بسيط واضح ، منبثق من التجربة الجماهيرية، معبر عن أدقّ أحاسيسها. لماذا؟ لأنني لا أملك الموهبة القادرة، والإطلاق والغموض ما عدا شعراء معدودين نذكر منهم خالد أبو خالد وأحمد دحبور ومحمد القيسي، إضافة إلى عدد من شعراء الأرض المحتلة. وإذا كانت موجة التمزق والغموض قد انتصرت في السنوات (١٩٦٥-١٩٥٥) في بلادنا انتصاراً ساحقاً خارج الأرض المحتلة، نتيجة ظروف وعوامل متعددة أهمها هزيمة

الحركة الوطنية وهزيمة الواقعية الاشتراكية في الشعر وانتصار تيار ايليوت وبيكيت والمدرسة الغربية الحديثة أدبياً، فأن تصاعد الثورة يجب أن يعني انتصارَ تيارَ الشعر الثوري.

وتضم هذه المجموعة القصائد التي كتبتها في السنوات (١٩٧٠-١٩٦٧) وهي قصائد قليلة وصغيرة وبسيطة.

وهي مهما كانت فنياً، محاولة في ميدان الكتابة الشعرية تتوجه أساساً إلى الجماهير وتعبر عن مشاكلها وقضاياها....

ناجي علوش

أيار ١٩٧٠

# عَبد الرحمن

"إلى عبد الرحمن.. الشاب الجزائريّ الذي عرفته قبل حرب حزيران بأيام"

يا عبدَ الرحمن..

يا عبدْ الرحمنْ..

اصمتْ لا تزرعْ في قلبي خنجر

فكلامُكَ عن حرب التحريرْ

أشجاني

أخزاني

**

يا عبدَ الرحمن

أنتم ناضلتم

أنتم قاتلتم

أنتم قدّمتم مليونَ ضحية

أما نحنُ فما زلنا نحكي عن أيامِ الأحزان

وعن الأيامِ اللائي لم تأت بَعد

**

يا عبدَ الرحمن

ذكرِّني بالأيامِ اللائي لم تأتِ بعد

أهدرْ

أهدرْ

الجزائر – ٢٣/٥/١٩٦٧

* تعني بالعامية الجزائرية تكلم.

# بابُ المحبَّة

آهِ يا "بئر زيت" التي حمّلتني الصليبْ
ورَمتني على طُرُقات الأسى واللهيب
آه يا بئرزيت التي لا تغيب
عن خيالي...
فكيف وقد قامَ ما بيننا السورُ
وانسدّ باب المحبّة
وغدوْنا بعيدينَ عنكِ.. بعيدينَ
لا نسمةٌ من رُباك تهبُّ ولا
طارقٌ يطرقُ الباب دوني.
وملءُ يديهِ حكاياتُ شوقٍ وحبٍّ وغربة

**

من لقلبي وقد قامَ ما بيننا السورُ
وانسدَّ باب المحبة
وغدا قبرُ أمي الذي لم أزيِّنْ ثراهُ بزهرَة
ضائعاً خلفَ سورِ الظلامِ الرهيب

من لقلبي وقد باتت الذكريات

كلُّ زادِ اغترابي

وغدا كلُّ حلمي بأن تملأ العينَ نظرة

من صخور الرُّبى

أو حصى الأودية

أو عروقِ الدوالي التي أَخلدت فوق حضنِ الترابِ...

من لقلبي وقد

بات حُلْمي بأن تملأ العين نظرة

**

أين بيتي الذي ضمّني نحوَ عشرينَ عاماً

أين بستاننا

أين عرزالُنا والنجومُ التي شاغلتني ليالي

أين زيتونُنا والدّوالي

أين أهلي...

أبي

أخوتي

أين عمّي وخالي

قام ما بيننا السوُّ وانسدَّ بابُ المحبة

**

بئر زيت التي أنا بعضُ ثراها

بعضُ ماءِ الينابيعِ فيها

بعضُ زيتونها.. بعضُ بؤسِ بنيها

بئر زيت التي فتَّحت مقلتي في سماها

من يقولُ بأني أبداً لن أراها....!

**

آه يا بئرَ زيت التي لا تغيب

عن خيالِ المُحبّ المُفارق

قسماً بالترابِ الحبيبْ

قسماً بالذكرياتِ التي سوفَ تبقى خوافق

سوف نأتيكِ عبرَ الدما واللهيب

سوف تأتيكِ راياتُنا والبنادق

١٩٦٧/٦/١١

# المجدُ للمُقَاتِلين

رفاقُنا على طريقِ الدمِ والرصاصِ رفعوا البيارِقْ
رفاقُنا تقدَّموا
ولعلعَ الرصاصَ في ربوعِنا
وانفجرَ الدمُ....
فحيثما توجهت عيوننا توهّجت حرائق.
تضيءُ دربَ العائدينَ من جموعِنا.

**

المجدُ للمقاتلين
المجدُ للمقاتلين
المجدُ للذين كان حبُهم لشعبِهم
وأرضِهم
أقوى من السجونِ والرصاصِ والمشانِق

**

رفاقنُنا تقدّموا
ونحنُ في بيوتنا

نصمت أو نهمهم

ونكتبُ الأشعار

للضائعينَ في الدروبِ والمهوّمين في سحائِبِ الدوار

**

لكنما رفاقنا تقدموا

تعمّدوا بالنار

لكي يَعلّموا الذين حلموا بالنصرِ..

أنَّ النصرَ ليس بالفِرار

**

المجدُ للمقاتلين...

المجدُ للذين علّموا جموعَنا بأنَّ خيرَ لغةٍ تصلحُ للحوار

ليست غيرَ لُغةِ البنادق.

براغ ١٩٦٨/١/٧

# تِشلا

تِشلا

اسمٌ من الأسماء في الجزيرة

وقصةٌ عاديةٌ صغيرة

لكنها..

أغنى من الخيال

فها هنا على ثرى جزيرةِ الأبطال

يصبحُ ما نظنّهُ من العجائِب المثيرة

حكايةً عاديةً وقصةً صغيرة

**

تِشلا

أَعذبُ من نسائِم الظهيرة

أغنى من السحابةِ المطيرة

أسخى من السحابةِ المطيرة

هزيلة القوامِ غيرَ أنها

تحملُ في قوامِها

عزيمةٌ تُحرك الجبالْ

**

تِشلا

جميلةٌ تزيَّنت برايةِ العمّال

رقيقةٌ تهيأت للكَدحِ والقتال..

تفيضُ عيناها بكلِّ الدفءِ والخضرةِ في الجزيرةْ

**

تِشلا

اسم من الأسماءِ في الجزيرة

وقصةٌ عاديةٌ...

لكنها كبيرة

هافانا ١٥/١/١٩٦٨

# وَهجُ البَنادق

"إلى المقاتل الكوبي مُمثّلاً بكاسترو"

وجهُكَ مَرسومٌ على الوجوه
طيفُكَ محفورٌ على الدروبِ والجدران
وأنت فوقَ هذه الجزيرة
ملحمةُ الزمانِ والمكان
وقصةُ البطولةِ الكبيرة

**

رأيتُ وجهَكَ المضيء بالإصرار
يستنبتُ الأشجار والأزهارَ في القفار
ويطلع الزنابق
رأيتهُ يفيضُ بالخصرة في الحدائق
ويمنحُ البراعمَ الصغار
لدفء والأمان...

**

أَرِيَتنْيَ

يا مرعبَ الفئران والغيلان

كيف تطلُّ أجمل الزنابق

من وَهَجِ البنادق

أَرِيَتْني كيفَ تطلُّ أروع الحدائق

من لهبِ الحرائق.

هافانا ١٦/١/١٩٦٨

# هَديةُ العيد

لأننا نعيشُ من سنين

في مدنِ الأسلاكِ والأسوار والردى

لأننا نعيشُ من سنين

حياتَنا وموتَنا سُدى

بحثتُ يومَ العيدِ عن هدية

لكلِّ مَن أُحبهُم

فلم أجِد

يا كلَّ من أحبهُم

هديتي لكم

العزمِ والحمية

والبُدل الكاكية

هديتي

لكلٍّ واحد

"سلحلكٌ " أُثقِلَ باللظى...

وبندقية

بيروت ١٩٦٨/١٢/٢٥

---

* أجناد الذخيرة.

# لن تُخرِجونَا

كتبت حين صدر قرار إخراجي من لبنان سنة ١٩٦٩

-١-

لن تُخرجونا من هنا

فها هنا لنا جذور

تغلغلتْ في الرملِ والترابِ والصخورِ

واشتبكتْ معَ جذورِ الأرزِ والبلّوط والصنوبر

لن تُخرِجونا من هنا

فها هنا

سوف يظلُّ جذرُنا على المدى أخضر

-٢-

هنا تلاقي صيدَها الذئاب

هنا تلاقي دفنَها الثعالب

وأنتَ معدودٌ من (الأجانب)

فارحل...!

**

معذرة يا أيها الأهلون والأحبابْ

أعرف ما تُكنُّ لي قلوبكم

أعرف ما تخبئ الصدور

لكنّ للسلطان

إرادةً سنيةً مغايرة

ونحن لسنا من حواشيه ولا من الغلمان

حتى ننال ذَهَبَ الدنيا وعقبي الآخرة..!

**

لكن تأكدوا بأنني سوفَ أظلُّ بينكم

أطرقُ في النهارِ كلَّ باب

وسوف أبقى حاضراً

أطارِدُ الثعالبْ

وأنصبُ الفِخاخَ للذئاب

بيروت ٢٥/١/١٩٦٩

# النوافذُ التي تفتحُها القَنابل

(إثر زيارة لمدينة السويس ولموقع
الجنودِ العرب على قناةِ السويس)

أيتها المداخلُ التي تفتحها القنابل
في غرفِ الأطفال
أيتها النوافذ الفنيةُ الأحجام والأشكال
إن تَكُنِ المنازل
قد أغلقت أبوابها "الرسمية"
فأنتِ أبوابٌ بلا أقفال
سالكةٌ دوماً إلى الحرية

السويس ٢٣/٢/١٩٦٩

# الطواويس والمطر

أمس قصدتُ أحد المسارحِ الكبار في المدينة
أبحثُ عن زوّادةٍ لسفري الطويل
كان النسيمُ منعشاً
وكانت السماء
عاريةً شفافة نقية
وكانت الشوارعُ الفاقعةُ الأضواء
تفترُّ عن بشاشةِ شقية

**

وبعدَ أن وَصلت
أُضيئت الأضواء
ورُفعَ الستارُ عن "ممثلين" يلغطون

**

وعندما انتفختِ الصدورُ
واستدارتِ الذيول
وانتشرت أجنحةٌ وحملقت عيون

تحركت زوبعةٌ رعناء

فغابت الأضواء

وأنهمرَ المطر؟؟

**

وبعدَ لحظتين

أبصرتُ في زوايا المسرح المذهول

هياكلاً عظيمة جرداء

وكُتُلاً من سَقَط الريش بلا سيماء

**

المجدُ للزوبعة الرَّعناء

القاهرة ٢٤/٢/١٩٦٩

# الجذور الظمآنة

بيروتُ مسافةُ ساعة
ورصيدُ الغربةِ أيامٌ معدودة
لكنَّ اللحظاتِ المنشودة
تبدو لي أَبعدَ من دربِ التبانة

**

عطشانُ أنا
والعينُ بعيدة
مَن يسقيني
مَن يرويني
عطشانُ أنا
والعينُ بعيدة

**

أتمنى لو أني من (أصحابِ الخطوة)
لأجيء إليك الآن بأشواقي
وأحُطَّ على عينيك رفيقا

أتمنى يا عيني لو أني من أصحابِ الخطوة

يا عيني إني سأسير بأشواقي

وأظلُّ أسير

فإذا ما احتدّ العَطَشُ الوحشيُّ السطوة

فأثارَ كوامنَ أعماقي

مَنّيتُ جذوري الظمآنة

ببلوغ العينْ ...

بيروتُ مسافةُ ساعة

ورصيدُ الغربةِ رحلةُ شَمس

وأنا أستجمعُ عافيتي...

وأمني النفسْ.

عمان ٢٨/٢/١٩٦٩

# النَّبْع

أيها النبعُ الذي يدفقُ خصباً وثراءَ
أيها النبعُ الذي يدفقُ في أرضِ البساتين الظماء
والصحارى والسهوبِ القاحلة
نحنُ في رحلتنا عبر الخماسين وفي لفحِ السموم القاتلة
نتملى فيك أسرارَ البقاء

**

أيها النبعُ الذي يدفقُ حباً وعطاءَ
ويُغنّي للصخور
والشُّجيراتِ العقيماتِ وأمواتِ الجذور
نحن عطشى
نَشَّفَتْنا... شَقَّقَت أفواهَنا الريحُ الحرور
والمسيراتُ وأعراسُ الدماء الحافلة

**

أيها النبعُ الذي يدفقُ في أرض الطيورِ الجافلة

نحن نشتاقُ إلى الصفوِ...

إلى حفنةِ ماء

غيرَ أنا

كلُّ ما نبغيهِ في الرحلةِ من دفقِ النبوعِ السائلة

وقفة لهفى على السيل وأيماءة شوقٍ عاجلة

وعناق مع صفوِ النبعِ لحظة

أيها النبعُ الذي يدفقُ في الأرضِ العراء

نتمنّى لو لدينا

بعضُ ما عندكَ من صفوٍ وخصبٍ وسخاء

نتمنى لو لدينا

فوقَ ما نملكُ من حبٍّ وعشقٍ ووفاء

لرفاقِ القافلة

نتمنى لو لدينا

حفنات من دماء

فوقَ ما نملكُ..

يا أرضَ الطُّيورِ الجافلة

عمان ١٣/ ١٠/ ١٩٦٩

# النَّرجسَة

تقولُ ليَ النرجسةُ المِعطاء
أريدُ أن أهجرَ مزهريتي
وغرفتي المترفةِ الألوان والأضواء
أريدُ أن أعيشَ في العراء
لكي أُعانقَ الرياحَ والبروقَ والرعودَ والمطر

**

تقولُ لي النَّرجِسةُ الرقيقة
أريد أن يختارني المقاتل
-يا سيّدي- رفيقة
في رحلةِ الدماءِ والرصاصِ والقنابل
أريد أن أُزهرَ في الحريقة
تقولُ لي النرجسةُ البتول
أريد أن يزرعني المقاتل
في ساحةِ الخطر
أريد أن أَنعمَ بالذبول

بينَ يدي مقاتلٍ مضرّج
يرقُدُ في حقلٍ من الحقول

**

تقولُ لي النرجسةُ المِعطاء
سيّدةُ الحديقة
أُريدُ أن أغوصَ حتى الجذرِ في حرارةِ الدماء
أُريدُ أن أُزهرَ في الحريقة

# سيلُ الحياةِ جَارف

إن تنسفوا المنازل
على رؤوس الصبيةِ الصغار
أو تغمروا الأعشابَ والأشجارَ والأزهار
بالنارِ والنابالم والقنابل
إن تقلعوا الأشجار
وتجعلوا الحدائقَ الغناء أكواماً من
التراب والحجار
إن تعملوا في الليل والنهار
لتكتموا أنفاسنا
وتخنقوا حماسنا
فإننا سوفَ نظلُّ في جحيمِ الرُّعبِ والدمار
نُحيي بكلِّ ليلةٍ أعراسَنا
وننجنب البدائل

**

إن تحرقوا النرجسَ والعُلّيقَ والمُرّار

أو تقلعوا الكرمةَ والزيتون

وتدفنوا (المشاتل)

إن تقطعوا الأوراقَ والغُصون

فليسَ في إمكانكم أن تنزعوا الجذور

وليس في إمكانكم أن تحرقوا الرَّبَّةَ في

الترابِ والصخور

وليس في إمكانِكم أن تمنعوا العيون

من أن تسيلَ في الوديان والجداول

أن ترفد الأنهارْ

**

وما الذي يُفديكم أن تحشدوا الحجافل

وأن تضرّجوا المهودَ

أو تبعثروا القبور

ما دام أن كلَّ نظرةٍ من نظرات النسوةِ الثواكل

تطفحُ بالوعودِ والنذور

وما الذي يفيدُكم أن تهرُسوا السنابل

ما دامت البذور

تَسقطُ في ترابِنا
سيلُ الحياةِ جارفٌ
فكلما حرقتمو زُهَيْرَة
تَفتّحت أزهارْ
وكلما قتلتمو مقاتلاً
هبّ إلى الميدان ألفُ ثائرِ مقاتل

**

سيلُ الحياةِ جارفٌ
وكل ما بنيتمُ
لا بدّ أن ينهار
أمام زحفِ شعبنا المقاتلِ الجبّار

١٩٦٩/١١/٢

# رفيقةُ الفِداء

فاطمةُ الصبيةُ الكحيلةُ العينين

سيدةٌ لم تبلغِ العشرين

لكنها أمٌّ لطفلتين

وأرملة

**

وذات ليلةٍ أتى (يزيدُ) في المنام

وقال يا فاطمةَ الكحيلة العينين

بالأمس كنتِ لي وللصغيرتين

واليومَ أنت للوحشةِ والحنين

وعائلاتُ أُخوتي الذين سَقطوا

تزورني في وَحْدتَي

وهم بحاجةٍ إليك مثلما أنا بحاجة

إليكِ يا رفيقةَ الفداء

كوني لهم عزاءهم

لأنهم لك العزاء

كوني لهم رَجاءهم

لأنهم لك الرجاء

**

وحين أَصبحَ الصباحُ وارتقى

وانتشرَ الرجالُ والنساءُ في المسالكِ العديدة

تحركت صبيَّةٌ لم تبلغ العشرين في الزِّحام

بادئةً حياتها الجديدة

١٩٦٩/٧/١١

# السُترةُ الكاكيَّة

كان مُسجّى على الترابِ في جبل التاج يوم ١٩٧٠/٢/١١بعد أن أصيب برصاص

الغدر في صدره ولم يكن يعرفه أحد.

رأيتُه

كانت دماؤه تفيضُ من سترتهِ الخضراء

وكان وجهُهُ الداكن ما يزال رغمَ وحشةِ المساء

يفيضُ بالإصرارِ والنخوةِ والعزيمة

وكان صدرهُ العامرُ بالإباء

يسخرُ من رصاصةِ الهزيمة

**

رأيتُهُ

**

وقال عابرٌ

يا أيها الرجالُ هل عرفتموه؟

وسَهَمت من حولهِ الشفاه والوجوه

لكنّ أيديَ الرجال زحفت نحو جيوبه

تبحثُ عن بطاقةٍ منسية

تسألُ عن هوية

وبَعدَ لَحَظاتٍ كانت الأصابعُ الحميمة

تعود دونما هوية سوى الدماء

**

رأيتُه

ولم يكن لديه

شيءٌ يدلُّنا عليه

سوى " سُلُحْلُكٍ " ممزقٍ

وبضعِ رُمّانات

وسترةٍ كاكيّة

**

وقالَ عابرٌ

يا رحمةَ اللهِ عليه مات

يا أيها الرجالُ هل عرفتموه

من أي فئةٍ تراه..

---

* القنابل اليدوية

هل عرفتموه؟

**

عرفتُهُ

عرفتُ من سترتِهِ الخضراء

ومن دمائِهِ التي تفيضُ فوقَ التُرابِ في المساء

بأنه مقاتلٌ من شعبنا

لا تسألوا عن اسمه

فَهوَ محمدٌ أو عامرٌ أو صادقٌ..

أو أي واحد من الأسماءْ

لكنني أعرف أنه من أسرة الفداء

وأنّ كلَّ مُخلص من الكهولِ في بلادنا أبوه

وكلَّ من بكت عليه أمه أو أخته

وكلَّ منَ صادقَ بندقيةً أخوه

**

رأيتُه

وكان في دمائِه

وَمْضٌ يشدُّني إلى ترابنا

ولَهفةٌ دافقةٌ شجيةٌ

تشدُّ كفيَّ على مِقْبضِ بندقيتي...

**

رأيتُهُ...

وسوف يبقى رسمهُ في مقلتيَّ ماثلاً

حتى يغيّب الرصاص ومضة الحياة فيهما

حتى أَخِرَّ مثله مقاتلاً

١٩٧٠/٢/١٧

# في الطريق إلى العرقوب

هاجم العدو الصهيوني العرقوب في ١٥/ ٥/ ١٩٧٠، فسرت إلى ميدان المعركة

وقد خالجتني هذه المشاعر في الطريق فكتبتها شعرا.

## ١. قَصْدُنا يافا وإن طال الطريق

شجيراتُ الحور في دربي يوشحنَ الطريق
باخضرارٍ أبدي
وغلالات ظلالٍ وارفة
وأنا أهرب من ظلِ الجذوع الواقفة
نحو وَهج الشمسِ والشمس حريق
وبأحشائي حريق
ونداءات جراح راعفة

**

شجراتُ الحورِ من حولي وخلفي
أسلمت بيروتُ للغوِ وللهو المقاليدَ

ونامت خائفة
وأمامي جبلُ الشيخِ مُعرّى وطليق
يتلقى قسوةَ الشمسِ وموجاتِ الرياحِ العاصفة...

**

أي صوتٍ ذلك الصوتُ الرسوليّ العميق
ذلك الهادرُ من سَفحٍ لسفح
ذلك الآتي مع الريحِ، مع الضوءِ، ومن خلف الجبال
ذلك الصاروخ ملءَ الكونِ: يافا ما تزال
في انتظارِ الركبِ...
فَلتعبر طوابير الرجال..
أيُّ صوتٍ...
وأجابتني الجذوعُ الواقفة
حين هزتني مِراراً باسم فتح
ذلك الصوتُ الذي يهدر....
صوتُ العاصفةْ..

**

آه عَجِّل يا رفيقْ...
قَصْدُنا يافا وإن طال الطريقُ

---

* كانت لافتات باسم فتح معلقة على جذوع الأشجار في الطريق.

## ٢ – حكاياتُ حنينٍ واغتراب

عندما سدّ هدير الطائرة

فجوة الوادي

وغصنا في التراب

رَوَت الأرضُ حكاياتِ عذاب

ومحبَّة

وروينا

ما لدينا

من حكاياتِ حنينٍ واغتراب

وظَلَلْنا

بعدَ أن غابَ هديرُ الطائرة

نعصرُ الأرضَ بأيدٍ ظافرة..

ونغّني

**

آه ما أغلاكَ يا هذا التراب

آه ما أقساكَ يا هذا التراب...

بيروت ١٢–١٣/ ٥/ ١٩٧٠

# ذكرياتُ أيامِ عمّان السَوْدَاء

-١-

الليلُ زخاتٌ من الرصاصُ
وأنتَ في "كمينك الليلي" والمدينة
نائمةٌ، ساهرةٌ، فرحةٌ، حزينة
دوماؤُها شفاؤُها
والوجع الخلاص.

-٢-

وعندما تسربلت بيوتُنا بالظلمةِ الريفية
كان الرصاصُ نورنا
وكانت القنابل
مشاعل المرابع "المطفية"

-٣-

الليلُ في عمّان وَهجُ نار
والنهارُ وَهْجُ نار

والطَلقات زخةٌ فزخةٌ

والصبيةُ الصغار

ما برحوا في كلِّ ساحةٍ يرددونَ:

عاصفة

عاصفة

ويرفعون تحت وابلِ الرصاص حاجزاً

فحاجزاً وينشدون

عاصفة

الليلُ في عمانَ وَهْجُ نار

والنهارُ وَهْجُ نار

والصبيةُ الصغارُ يلعبون بالقنابل

-٤-

من قال إن هذهِ المدينة

تريدُ أن تقدِّم الضحايا

للصّنَم المحروق من أجيال

من قال إنَّ خيرةَ الشبابِ والصبايا

سوفَ يموتون على الأبواب

من قالَ يا سلوى بأن مُهجَ الأحباب

لا بدَّ أن تظلَّ كل عمرها حزينة

من قال يا سلوى بأن لعنةَ الغياب

سوف تحولُ بيننا

من قال يا صغيرتي

من قال؟

-٥-

العرسُ عرسُنا

وأنتِ يا عروسَنا

ريحانةُ الصبايا

فلتنحرِ الضحايا

ولتمهر الأصابع المخضباتُ كل باب

-٦-

كانت زوابعُ الرصاصِ والقنابل

تنهالُ في عيوننا

وكان بيننا مالكُنا الحزين

يسمعُ وشوشاتِ الثعلبِ المخاتل

**

يا سيدي

يا مالك الحزينْ

أما عرفتَ ذلك الذي "تجادل"؟

ألم تعلِّمكَ تجاربَ السنين

يا سيدي

يا مالكَ الحزين

**

كيف تريدُ أن نُغمض من جفوننا

والنارُ في عيوننا

يا سيدي

يا مالكَ الحزينْ

نحن عرفنا الثعلبَ المختال

نحن خبرنا الثعلبَ المختال

-٧-

عَمّان...

وحيثما أسيرُ في شوارعِ الإسفلت

والأسمنت والحجار

والغرف المسوّرات بالزجاجِ

والمحصنات بالستائر

وحيثما أسير بين "الخيم" القديمة

أحسُّ وجهك الجديد في شموخِ كلِّ عابر

أرى سقوطَ القشرةِ العقيمة

**

تبدَّلَ الزَّمانُ يا عمان

واحترقت مضاربُ الهزيمة

١٩٧٠/٧/٣

# القاهرة

-١-

قاهرةُ المعزّ عندما يدهمها الظلام
تفيضُ أنهاراً من البشر
على الشوارعِ المُبرّجات والحدائق

**

قاهرةُ المعزّ قبلَ أن تنام
تحسُّ أنها تغوصُ في الضياع أو تنوء بالضجر
فتطلق العقالَ في عاصفة الزحام

-٢-

قاهرةُ المعزّ
تسرحُ كل ليلةٍ في وَهَج الشوارع الدعيّة
تلعبُ كلَّ ليلةٍ في أرَج الحدائق
لكنها حين تعودُ من " لعبتها " اليومية
تغفو على أسِرَّة العجائب السحرية

ويسهرُ الأحبة المرابطون في الخنادق

-٣-

تلك التي تتيهُ بين صويحباتها
تلك التي تألقت في ثوبِها المؤنّق
ماذا تقول لو دَرَت
بأن من تحبهُ
تمزَّق

**

ماذا تقول لو دَرَتْ بأنه
ما زال شبهُ جثة في الخندق
وهي تجوبُ الواجهات طمعاً في حلّةٍ جديدة
أو عقد لؤلؤ مزيَّفٍ أو خاتم من فضة كذابة...!

**

تلك التي تتيه من بين صويحباتها
في الشارعِ الموات بين السِّحن الشريدة
ماذا تكون في غد

عابثة ترى تكون أم ترى "ندابة"

-٤-

قاهرةُ المعزّ ما تزالْ
تبحثُ في الضياعِ عن ضياعها
تريدُ أن تهرب في الزحام من أوجاعها
قاهرةُ المعزّ ما تزال
تَهربُ والأوجاع في نخاعها

القاهرة ٢٢/٧/١٩٧٠

# مَاذا أقول لك؟

(١)

ماذا أقول لكِ

هل أقول لك

بأنني في أحلكِ الليالي

بحثتُ عن صفاءِ عينيك وعن حرارةِ العطاء والمضاء فيهما

وأنني وددتُ لو تحملكِ الرياحُ من عزلتكِ القصية

لتقفي بجانبي

وأنني حين شعرت أنّ حُلميَ أبعدُ من منالي

هَوّمت كالأطفال في خيالي

**

ماذا أقول لكِ؟

هل أقول إنني

حين رمتنيَ الرياحُ في مجاهلِ البحارِ

ورحتُ أعبرُ المحيطاتِ إلى الجزيرة السحرية

أمّلتُ أن تكون مقلتاكِ في انتظاري

**

ماذا أقول لَكِ

هل أقول إنني

حينَ حططتُ الرَّكْبَ في بحبوحةِ المطارِ

بحثتُ في العيون عن عينيكِ

في الوجوهِ عن وجهكِ،

في الترحيب عن بسمتكِ الرضية

وحِينما اكتشفتُ أن مقلتيكِ غابتا

وأنني وحدي.. شعرتُ أنني أصيحُ في برية

**

ماذا أقول لكِ؟

هل أقول إنني وَصلت

وإنني ما زلتُ في انتظار

## (٢)

الشاعرُ القادمُ من جزيرة قصية

ترعفُ من جراحهِ حكايةُ الحنين والنضال

والإصرار والإقدام

يريدُ من صفاءِ مقلتيك لحظتي سلام

يريدُ أن يَغُبَّ من حرارةِ العطاء والمضاء فيهما

إرادة عاتية وقوة خفيةِ

تمنحهُ القدرة أن يظلَّ في الأمام

وأن يموت في الأمام

هافانا ٢٥-٢٦/٧/١٩٧٠

# لم ينته النّضال بعد

(إلى كاسترو بعد الخطاب الذي ألقاه يوم (٢٦/٧/١٩٧٠، بمناسبة ذكرى الانتفاضة)

لم ينتهِ النضال بَعد
لم تنتهِ المسيرة
وما تزالُ ألفُ جولةٍ تنتظر الأبطال
من أجل أن يُسْحَقَ رأسُ الغولِ في نيويورك
أو تُحول الأدغال
إلى حقولِ قصبٍ وعنبٍ وحنطةٍ وروضِ برتقال

**

لم ينتهِ النضال بعد
لم تنتهِ المسيرة
فما تزالُ ألفُ أمة فقيرة
ترزخُ تحت وطأة الأغلال
وما يزالُ الغولُ في نيويورك سيداً وملكاً
وما تزالُ في بلادِ الجوعِ والخيراتِ ألفُ طُغْمَةٍ أجيرة

**

ونحنُ ما نزال يا رفاقُ في بدايةِ المسيرة

نزرعُ في ترابِنا الألغام والمقاتلين والأشبال

مؤملين أن يجيءَ الغَدْ

كي نجعلَ القِفارَ والأهوارَ والأَدغال

حقولَ قصبٍ وعنبٍ وبرتقال

وحالمينَ بالمستقبلِ الذي يعم فيه السّعد

**

لم ينتهِ النضال بعد

لم تنتهِ المسيرة

وما تزالُ ألفُ جولةٍ كبيرة

تنتظرُ الأبطال...

ونحنُ ما نزال عازمينَ أن

نبيد الغولُ والتنينَ والطحالبِ الشريرة

وحازمينَ جازمين

وحافظينَ العهد...

**

لم ينته النضالُ بعد

لم ينته

لم ينته

لم ينته

وما تزالُ ألفُ جولةٍ تنتظرُ الأبطال

هافانا ١٩٧٠/٧/٢٨

# جَزيرةُ الأَحلام

طوّفتُ في جزيرةِ الأحلام
هوّمتُ في الشوارع
سألتُ عن عينيكِ كلَّ طالعْ
صرختُ بالأمواجِ والرياحِ والجبال
لكنما الأمواجُ والرياحُ والجبالُ صمتت
وليس من يجيب
فمن يقودُ الشاعرَ الغريب
إلى قرارِ مُقلتيك؟
من يَقودُه..!

**

فَرَّ النهارُ من يَديَّ وأنا أنتظرُ الإشارة
لكنني لم ألمح المحارة

**

وعندما عدتُ إلى المحيطِ في الظلام
تركت أحلامي على ثرى جزيرةِ الأحلام

هافانا ١/٨/١٩٧٠

# زرعنا في ثرى الوحَدات إخوتنا

زرعنا في ثرى "الوحدات" إخوتنا

زرعناهم

ولم نحفرُ لهم قبراً

ولم نُحضر لهم كفنا

وقلنا إنهم ماضونَ

كي يبنوا لهم وَطنا

**

زرعناهم

وقلنا لليتامى والأيامى والصبايا إنهم آتونْ

وإن وجوهَهم ستطلُّ يوم النَّصرِ في عكا وفي حيفا

وفي يافا

وبئر السبعِ واللّطرون

وفي أُفقٍ فسيحٍ من كرومِ التين والزيتون

**

زرعناها

وقلنا أنهم باقون

لأنا ما نسيناهم

**

زرعنا في ثرى الوحداتِ إخوتنا

وخلينا شواهدهم

بنادقهم

وأقسمنا ثلاثاً أن نظلَّ نضمَّ في شوقٍ

مقاصدهم

وأنْ نُعْلي بيارقَهم

**

زرعناهم

دمشق ٢٢/١١/١٩٧٠

# أقسمتُ يا عمّان

## (١)

أقسمت يا عمّان

أقسمت بالخضراءِ والصفراءِ من ندوبكِ

أقسمتُ أن أعيشَ سيّداً على دروبك

أقسمتُ يا عمّان

١٩٧٠/٩/٣٠

## (٢)

أقسمتُ يا عمّان

أقسمتُ يا مدينتي

يا أبسلَ المدائن

أقسمت بالماضين من أبنائك البواسل

أقسمت بالباقين

أقسمت بالوجوه الصامدات في الكمائن

وبالعيون الهادئات في زوبعة الرصاص والقنابل

## أقسمت بالمساكن

تهدمت على رؤوس صحبنا وأهلنا
أقسمت بالثواكلْ
يَنُحْنَ عند النصب
أقسمت يا عمان أن أقاتل

دمشق ٢٥/١١/١٩٧٠

* النصب: إشارة للنصب التذكاري الذي أقيم في الأشرافية إحياء لذكرى شهداء مجزرة أيلول، وقد أقيم فوق مقبرة جماعية.

# جُسـور الأشـواق

## المجموعة الرابعة

تضمُّ هذه المجموعة القصائد التي كتبت ١٩٧١ ١٩٧٧ – مرتّبة حسب تواريخها

ناجي علّوش

# هذا أنا في النّار

بالأمسِ كانَ المطرُ المِدْرار
يُغرقنا وكانت السحائب
تغسِلُ كلَّ دورنا بالنارْ
بالأمس كانَ المطرُ المدرار
يَدفُق في الحدائق
وكانت الصواعق
تخضبُ وجهَ أرضنا البوار
بالأمس حين كانت السحائب
تُغرقنا بالمَطَرِ المدرار
وحين كانتِ الجذورُ في الحدائق
تشرب حتى السُكر من نباعة الأسرار
كنت أنا مُعلَّقاً
" بين السما والطارق "
وكان بعضي الغائب
يسألني،

وفجأةً توهّجت في مقلتيَّ النار

وهزّني وجهُ أبي "مخلوفَ"

واليتيمات من البنادق

هذا أنا

أمام بعضيَ الغائب

هذا أنا في النار

# الغائبُ الآتي

وحينَ تشدّني الأسفار
إلى أجوائِها وتضمني السُحُبُ
ولا يبقى من الأعلامِ والأشياء
سوى الذكرى أو الأسماء
تكون معي
تعيشُ معي
وتبرقُ في ظلام التيهِ عيناها
فتسقطُ بيننا الحُجُبُ
وتغمرني غِلالاتٌ من الأمطار

***

وحينَ أسيرُ عبر شوارعِ الضوضاء؟
وأمشي وَسط أُخدودٍ من الأسفلتِ
واللألاء
يشقُّ نداؤها الصحراء
أنا سلوى

أريدكَ أن تعودَ اليوم يا بابا

أريدكَ أن تعودَ، تعالَ

لكن هاتِ إسوارة

وسلسالاً

تعالَ ، تعالَ يا بابا

أنا سلوى

متى تأتي؟

وهل تأتي؟

لقد مرّت بنا مذ غبتَ عنا ألفُ طيّارة...

وأُبصرُ وجْهَها المشدوهَ عند الباب

يرتقبُ

فتومُض في محيّاها

بروقُ الحبّ والتذكار

وتركُض حين اقتربُ

وبين الركض والصَرَخات ننجذبُ

وأذكر حين أغتربُ

رنينَ بُكائِها ونِدائِها المحزون عند الباب

وصرختها: "أروح معاك يا بابا"

أروح معاكَ خذني،

من يلاعبني؟

إذا ما غبت...

وأتركها وكفّاها

مُلوَّحتانِ والزَفَراتُ تخفقُ في ثناياها

وحينَ تشدّني الأخطارْ

وأسرح في ملاعبها

تشدّ فؤادها اللُعَبُ

فَتَنساني

فهل تدري بأنّي لستُ أنساها

وتدري أنني يوماً سأتركها

تكفكف دمعها السلسال عند البابْ

وتسأل كلّ من تلقاهُ

هل يأتي ؟

متى يأتي ؟

لماذا غاب ؟

وتصرخُ حينَ تسمع صوتَ طيّارة

أتى بابا

أتى بابا بأسواره

وترتقبُ

وحينَ تضيق بالأحلام تنتحبُ

ولا تدري بأن الغائب الآتي

سيمضي مرّة،

وتلفّه الحُجُبُ ...

# فارسُ الفُرسان

إلى أبي القاسم الرجل الصافي والمقاتل الشجاع...

إليه: بطلاً ومهزوماً

وجههُ الأسمرُ منقوعٌ بشمسٍ بَدَوية
وعلى سِحنَتِه سحرُ الصحارى العربية
وبعينيهِ مفازاتٌ وأشجارٌ وأنهارٌ ورمل ونخيلُ
وأعالٍ لم يُذللها دخيلُ ...
فارسٌ من وَهَج الصحراء طالع ...
فارسٌ في وَهَج النارِ يَصولُ
عفوَ بئرِ السبعِ إن ساءلتُ عنهُ
عفوَ بئر السبعِ إن ساءلتُ عن سرٍّ بعينيه يجولُ
عفوَ وجهٍ ناضجٍ بالكبر ساطع ..
أمسِ لمّا
حاصروه في المخيم
وأحاطوه بجدرانٍ من النارِ
وإعصارٍ من الموتِ وقالوا...
فارسُ الصحراء سلّم
كانَ يمشي في هشيمِ الدورِ محروقاً
ومذبوحاً ومصلوباً ولكن يَتَبسّم

لا تقولوا
أكلته النارُ في عجلونَ،
أو خلّته في الأحراش ريحاً ورماداً
لا تقولوا
فهوَ في النيرانِ يزدادُ إتّقاداً
وَهْوَ في النيرانِ يحكي
قصةَ النيرانِ والأمطارِ والأشجارِ
والموتِ
ويروي كلّ ما تُعطي الأصولُ
وهوَ في النار يصولُ

لا تقولوا فارسُ الفرسانِ سلّم..
لا تقولوا...
فأنا أدري... وأعلم
لا تقولوا
تخمدُ النيرانُ أحيانا ولكن من يقولُ ؟
إن نارَ الحب والكرهِ ستخبو وتزولُ...

# جُسُورُ الأشواق

عندما كانت شمس الأصيل ترسل أشعتها الذهبية على الجبال الخضراء في منطقة تيزي أوزو في الجزائر، كنت أسرح، وكانت تمر بذهني ذكرياتُ الثورة الجزائرية والتضحيات والاستقلال، وتلوح عبر ذلك ثورتنا وقريتي بئرزيت وأخوتي من المناضلين...

وكان وجه ابنتي سلوى معي في ذلك كله، فإلى سلوى التي ترافقني في الحل والترحال، وإلى عينيها هذه الكلمات التي أرجو ألا يعتبر أخوتي الشعراء أني متطاول بها على الشعر.

حين تأتي إليّ عيناكِ

في التيهِ

أغنِّي

وأعبر التيهَ وحدي

حاملاً لهفتي وحبي

وأمضي

عبر رملِ الجوى ونهر التمني

وأغنِّي

***

فجرُ عينَيكِ في المفازةِ ينهلّ غزيراً

ودفءُ عينيك يمتدّ ظليلاً

فيصبحُ البُعد بعدي

فأغنِّي لأنني صرتُ وحدي

وأغنِّي

لأن عينيكِ في قلبي

وعينيكِ ظلتا في انتظاري

وأغني

لأن عينيكِ بدارِ

وشوق عيني بدارِ

وأغني

لأن حبي دليلي

***

وأغني

لأن طائرَ أسفاري

يغذّ الخطى إليكِ

فتمتدّ جسورُ الأشواق

عبر المسافات

وأعدو

والدرب ينأى

ويمتدّ

وأعدو وواحتاكِ تلوحان

على الشطِّ

وأعدو

فلا أمسُّ الضفافا

فأغني مبشراً بوصولي

***

حين تأتي إليّ عيناك في التيهِ

تنادي من وحشةِ البحرِ يافا

وتناغي ببئر زيتَ الحساسينُ

وتشدو الطيورُ في العين

والزيتونُ يأتي،

وتسألُ الجدة العمياء في الدار

من يجيد القِطافا

***

وأغني
وجدتي تحرسُ البيتَ وجدّي
يسائل "القصر" عني
وأغني
لأنّ جوزتنا الخضراء
ظلت تنمو وتُعطي
وتحكي
قصتي في ظلالِها وشقاواتي
وتروي علاقتي بالحساسين
وعشقي لصخرةٍ في الجوارِ
وأغني
لأنّ عينيكِ داري

***

لا تقولي
هل نلتقي؟
أنا في الدربِ والرفاقُ يهبون
سراعاً

من كلِّ صوبٍ خفافاً

وكروُم الزيتون والتين والأعناب

تمتدّ نحونا في منافينا

وعيناكِ توهجان

وعينايَ تعبران

وسُهدي

يقلقُ الليلَّ والنجومَ الدراري

***

حين تأتي عيناكِ

تأتي البساتينُ إلى وحشتي

ويأتي الميامين

وأزهو بقوتي واقتداري

***

إن يكنْ بحرنا غضوباً، وكانت

ريحنا لم تزلْ هبوباً لعوبا

فأتتنا بالعادياتِ جزافاً

والليالي ما زلن يسرفن في

الحلم فتأتي الأيام مَحلاً عجافا

بحرُ عينيكِ زاخر

وروابي بئرَ زيت

متيمات إلى الوصل

وقلبي ينوءُ بالأوطار

وسآتي يوماً

يداي محاريثي

ووجدي شمسي وحُبي بذاري

***

لا تقولي

حبيبنا أخذته الريحُ منا

وتيمتهُ البراري

لا تقولي حبيبنا يتجافى

لا تقولي

حبيبنا غيرّته

في المفازاتِ جفوةُ الأسفار

لا تقولي

إنّ بيني وبينَ نبعكِ أسوارا

وبيني وبينَ وجهكِ قيدي

وبقلبي فيضٌ من الماءِ والعشبِ

وروحيَ تصدى

أسىً وجفافا

تتلاقى عند المساء الحساسين

وتأوي الطيورُ للأوكار

وأنا هائم

سمائي دثاري

كم تمنيتُ أن يكون قراري

ظلّ زيتونةٍ هناكَ

وعيناكِ وبعضُ النسائمِ الأبكار

وحديثٌ عن الصباح مع السرو

ونجوى مع الثرى والحجار

***

أين داري

وبئر زيت تنادي

زهرةُ العمرِ من قيودِ الإسار

وأنا أركب الرياح إليها

وأغني

فتلهُب الريح وجدي

وأغني

فلا تغيِّب عينيك السوافي

ولا أضلّ سبيلي

لا تقولي

قلبي ذوى..

إن قلبي

ظلّ السليمُ المعافى

لا تقولي..

اقعد هنا

آه يكفيكَ هياماً مع الربى وطوافا

فأنا أحملُ اللقاحَ إلى الزهر

وأجني

من الأزهار شهدي

وأنا عائدٌ إليك

إلى الدار بحبي وذكرياتي وسُهدي

فارقبي عودتي

على بابِ داري

لاتقولي:

اصمت هنا

سأغنِّي...

وأغني

مهما احترقتُ بناري

# بَيروتُ تولدُ في العاصِفة

"إلى ابني إبراهيم الذي يعيش ملحمة بيروت مع كل أبناء جيله"

" ١ "

وأصحو..

فبيروتُ تخلعُ ثوبَ المنام

وتهرعُ في الطُرُق الواسعة

وبيروتُ تكدحُ،

بيروتُ تسرحُ،

بيروتُ تُذبحُ،

بيروت تُذبح،

بيروت تلهثُ وسْطَ الزِّحام

وبيروتُ تأكلُ لحمَ بنيها

وتتركُ للعابرين العظام

وبيروتُ تلهو بها الفاجعة

" ٢ "

وبيروتُ تُبنى
وتُعلي البنايات صفاً فصفاً
وتُغلقُ أبوابها للرياح
وتأكل أشجارها الخانعة
وبيروتُ تمتدُّ عبر البِطاح
وبيروتُ تكبرُ في ظلها المُدُن التنكية
وتلتفُّ حول خواصرها حاضراتُ الخيام
وبيروتُ تأخذُ من كلِّ فنٍّ
وبيروتُ عامرةٌ بالتمني
ومثقلةٌ بمنى ساكنيها
وبيروت تأكلُ رُعباً
وتشربُ خوفاً
وبيروتُ ترقصُ حتى الصباح
وبيروتُ معنيةٌ "بالقضية"

" ٣ "

وبيروتُ حينَ يجنّ الظلام

تعودُ إلى نفسِها الضائعة
وتسألُ عن لحظاتِ السلام
فيكتظُّ مقهى
ويصخَب مَلهى
وتذوي مع الساهرينَ المدام
ويصرخُ في المُقَل الهاجعة
حنينٌ إلى راحةٍ لا تزول
وخوفٌ من اليومِ والغد،
والحارسُ البَلَديّ الذي يطلبُ
الرسمَ في كلّ عام، ومن شُرَطيٌ
يجوبُ الدروبَ، ليبحثَ عن
صيدهِ المرتجى،
ومن صاحب البيت
لا يتأخر عن حقهِ
ليلةً
ومن قَدَرٍ داهمٍ ليس يُخطئُ،
أو عثرةٍ من بَناتِ الزّمان

وبيروتُ آمنةٌ وادعة

وبيروتُ تعشقُ طعم الأمان

وبيروتُ صاحيةُ هاجعة

وبيروتُ تُعمي عيون بنيها

وتضحكُ في وجه مغتصبيها

وبيروتُ...

بيــروتُ ....

بـــــيروت ....

" ٤ "

وبيروتُ تغفو

فينبطُّ جرحٌ

ويلتمُّ جرحُ

وبيروتُ إن كدّرتها الجِراح

فبيروتُ تصفو

وبيروتُ أنهارها لا تجفُ

وبيروتُ حاضرةٌ وادعة

تُفوّر أحشاؤها بالأماني

وبيروتُ ثائرة خاضعة

" ٥ "

وبيروتُ ...

يُبهرها البحرُ، تخطفها الريحُ

يسرقُها الغابرون

فتخلدُ للراحة الخادعة

وبيروتُ يقصِدُها الجائعون

ليلهو بأنوارها الساطعة

وبيروتْ

ملاعبُ للأرجِل الضائعة

مسارحُ للأنفس الضائعة

وبيروتُ...

بيروتُ...

بـيروتُ ...

لو تعلمون

" ٦ "

وأصحو
واغفو
وبيروتُ تصحو وتغفو
وعكّا ...
تغالبُ أغلالها الآسرة
وتبصقُ ناراً على غاصبيها
وتسألنا عن رحيلِ الجليل
وعن وَجع اللّد والناصرة
وعن أمةٍ حرةٍ لا تضام
تخلفُ أبناءها في السلاسل

" ٧ "

وعكّا على البحر...
منذُ افترقنا
تطالعُ في أعينِ العابرين
رؤى أرّقتها
وتسألُ ريحَ الشمالِ وريحَ الجنوب
وكلّ الطيور التي لاتني عابرة

عن العائدين
وتذكرُ في حلمِها، نومَها،
ليلةً داهمتها
فلما استفاقت وطلّ الصباحِ
وراحت تنزُّ الجراح
وصاحت ألا من يُقاتل؟
تفرقَ في التيهْ شملُ القبائل
وعكا
على البحر
منذُ افترقنا
تضمُّ جراحاتها وتُقاتل

" ٨ "

وبيروتُ تغفو
وتغفو العواصم
وعكّا
تقُصُّ ليافا
حكاياتِ ثوارنا في الجليل
وأحلامَ أجيالنا الطالعة

فعكّا التي خلّفوها
مع الجرحِ والعار...
ظلّت تقاوم
وأصحو
وتغفو العواصِم
وعكّا التي خذلتها
تميمٌ وقيسٌ وبكرٌ ووائل
تغالبُ أغلالها وتقاتل
وعكّا سبية
وبيروتُ ترطنُ بالأجنبية
وتنتظرُ السُفَن الأجنبية
وتهتف للسِّحَنِ الأجنبية

" ٩ "

وأصحو وبيروتُ تصحو
وبيروتُ تخلعُ ثوم المنام
وتطلقُ أحلامها الهاجعة
فتسطعُ في الطُرقاتِ البنادق
وتعلو المتاريسُ ... رُكناً فركناً

وأصحو

وبيروتُ تمسحُ عن وجهها العربي

مساحيقها الزائفة...

فبيروتُ تحملُ أوجاعَ عكّا

وأوجاعَ يافا

وتحضنُ أحلامنا الراعفة

وبيروتُ تصحو

فتزهرُ في كلِّ دربٍ شقائق

وتعلو بيارق

وأصحو

فبيروت مزهّوةٌ بالبنادق

وبيروت.....

ترعفُ

بيروتُ

تهتفُ...

بيروت تزحفُ

بيروتَ تولدُ في العاصفة

# صامداً ... سأظلّ

" ١ "

حنانيكِ

أنتِ من البحر

من موجه المشرئبِّ إلى الرمل دوماً

ومن روحهِ الزاخرة

حنانيك..

يا موجةً ترتمي على الشطّ دوماً

وترتدُّ في اليمّ ولهانةً ثم ترجعُ

مشتاقةٌ لا تكلُّ،

حنانيكِ...

إني أنا الرمُل في الشطّ

والعمرُ بيني وبينكِ

والدهرُ يُحكمُ ما بيننا رغبةً باللقاء

ويمنعنا الوصل لو مرةً

فتظلُ...

" ٢ "

حنانيكِ

كم هزني الليلُ نحوكِ

فاخترتُ دربي

ولكنني كنتُ وحدي

وكنتِ بعيدة

وكم هاجني الحرُّ عند الظهيرة

فاشتقتُ لو حملتني الرياحُ إليكِ

وأُلقيتُ في حضنك المتدفق بالدفءِ

والحبِّ... لكنني كنتُ أنتظرُ الريحَ

محترقاً وهي ساخرةٌ بالنداء

وأبقى على الشطّ وحدي...

وأنتِ مع اليمّ ولهانةٌ

تلوحين ثم تجيئينِ، ثم تمدّين نحوي يديكِ

فأنشدُّ أشعر أنك أصبحت قربي...

وأهتفُ أهلاً ... وأنشدُّ

ثم ألوِّح محترقاً، ثم أُغمضُ جفنيّ...

ثم أفتح جفنيّ ... أنتظرُ اللحظةَ الباهرة...

وأصحو فأنتِ وراء الغيوم البعيدة

"٣"

حنانيكَ

يا أيها البحرُ..

إني أنا الرملُ

بيَ عطشُ الآخرينَ

ولكنني صامدٌ هاهنا...

أكابدُ حرقةَ قلبي

وأنتظرُ اللحظة الباهرة

وتأتينَ،

ثم تروحينَ،

ثم...تمرُّ النوارسُ قربي،

وتصرخُ ثم تغوصُ على الموجِ فرحانة

ثم تعبثُ هونا، وتمضي مع الموجِ والريح..

تمضي

وأبقى مع الرمل محترقاً في لظى الهاجرة

" ٤ "

حنانيكِ...

بيني وبينكِ

شوقٌ وتوقٌ ، وحلم لقاء

وبيني وبينكِ سدٌّ

من الصخرِ والقهرِ والحيرةِ القاهرة

وبيني وبينكِ

غولُ الفلاة الذي جاء ما بين

جنبيّ منذ ولدت

وعاشَ معي في عظامي

وبين ثيابي الجديدة...

" ٥ "

حنانيكِ

يا زهرة البحر

يا وفرةَ البحر

يا سورة البحر

يا سكرةَ البحر.

إني هنا

مع الرمل أشربُ من نارِ قلبي

تمرُ بي الريحُ غضبى

وأبقى...

وتعبرُ عني على عَجَلٍ

وأنا صارخٌ في البراري

فلا تسمعُ الريحُ صوتي

وتأتي النوارسُ سائلة

ثم تمضي بعيداً...بعيداً...

وأبقى مع الحرقةِ الجائرة

"٦"

حنانيكِ

يا زهرةَ البحر

إني هنا صامداً سأظلُ

ومحترقاً سأظلُ...

يدايَ إلى الريحِ ممدودتان

وقلبي إلى لحظة أرتجيها

وما بيننا سوف يبقى

الهوى والنوارسُ والرغبةُ القاهرة

وتوقٌ يهزُّ الجبال

ويقهرُ موجَ البحار.. ويعلو

وما بيننا كل سرِّ البقاء

وما بيننا خطوة عابرة

وما بيننا أبداً سيظل..

"٧"

ويوماً سيلتمع البرق...

تنفجرُ الريحُ...

يندفعُ اليمُّ...

من عطشي،

فأفيضُ على البحرِ

والمدن العاثرة

ويوماً ستجمعُنا غيمةٌ ماطرة

ويوماً...

"٨"

حنانيكِ..

يا زهرة البحر

يا غضبَ البحر

ما أبعدَ الناصرة

حنانيكِ

يا ريحُ... ما أقربَ الناصرة

إذا امتدّ من عطشي الجسر

وامتد من وجعي النهر

واجتمعت حولَ قلبي الجماهيرُ والمدن العاثرة

حنانيك

يا بحرُ

أسوارُ عكّا

تصادمُ أمواجكَ الهادرة
وعكّا سجينةُ أسوارها
وقلبي سجينُ المسافات
والنفي والعنكبوت
وقلبي يُسائل عن موجةٍ تحملُ اليمّ شرقاً
وتمضي إلى السور تقتحم السورَ،
تغمرُ دورَ المدينة
بالدفءِ والزهر والعافية
فتنهضُ كلُّ الخفايا التي اختزنتها
بأغوارها...
ويجتمعُ البحرُ والسهلُ والدور والزهرُ
والمُهج الصابرة
وقلبي هنا صامدٌ لا يموت
وتُفلت عكّا
ويُفلتُ قلبي
فأسرح في الزرقة الصافية
ويوماً.. ستكتمل الدائرة
ويوماً سيجمعنا الرملُ والفجرُ والبحرُ
والمدنُ الزاهرة

ويوماً..
سيمتدُّ جسرٌ من الوصلِ ما بين أسوارِ
قلبي وأسوار عكّا
فاهبطُ في دورها الغافية
وأبكي طويلاً وأسلُكُ دربي إلى
الناصرة
ويوماً..
ويوماً...

# أنا المنفيّ

" ١ "

ويا وطني
أنا المنفيُّ والمطرودُ عبر شوارعِ المدنِ
أنا الوهاجُ في الظلماء
وحاديَ العيس في الصحراء
أنا المنفيُّ والمطرودُ والمطعون
أنا المسكون
بفيضِ النار والأنواء
أتيتكَ مثقلاً بالهمِّ والحزنِ
أتيتكَ حاملاً روحي
أتيتكَ واهباً بدني
وماذا يملك الفقراء
غير الروحِ والبدنِ
فعفو رضاك يا وطني
وعفو الحب والأحبابِ
إني بالهوى مسكون

# لا نَجفو كما يَجفون

"٢"

ويا جرحيَ
أنا المنفيُّ والمطرودُ والمطعون
أنا المسكونُ بالأحباب
ولكني أناجيهم
فلا يحكون
أناديهم
فلا يشكون
وأحكيهم
فلا أسمعهم يحكون
عفواً سيد الأحباب
لا أسمعهم يحكون
عفواً أيها الأحباب
لا أسمعكم تحكون
عفواً سيد الأحبابِ

إنْ جاروا علينا في محبتهم وما صفحوا

لأنا سوف لا نقسو

كما يقسون

أمانك سيدي حاولت أن

أقسو

كما يقسون

فلم أفلحْ

فهل تسمح؟

بأن أصفح

وهل تبلغهم أن المحبَّ الحق لا

يجفو

كما يجفون...؟

# أقول لسيّدِ الأحباب

"٣"

أقول لسيدِ الأحبابِ والأوجاعِ لا تبرح
أمانك سيدي لم يبق في الأحباب مَن
يحنو
ولم يبق الذي يصفح
فمن يحنو عليَّ وقد قسا زمني
وضاقت أوسع الأحياء
في عينيّ، ضاقتْ أوسعُ الأحياءِ والمدن
أيعجبُ سيدي أني نذرتُ على الهوى قلبي
وأعطيتُ الهوى بدني
وحين بحثتُ في الفلواتِ عن سربي
خلا المسرحْ
أمانك سيدي هل ظلَّ في الأحبابِ
من يحنو على الأحباب أو يشتاق
أو يصفح
أمانك سيدي ما يطلب الأحبابُ
إن النُّوقَ في وادي الغضا تُذبح
وقلبي ظلَّ في وادي الغضا مرهون

# ويا وطني

" ٤ "

ويا وطني
أتيتكُ عامراً بالهمِّ والغصص الكبيرةِ
والأسى ومتاعبِ السهر
أتيتك بالذي خبأتُ في الأحشاء
من صغري
أتيتك فاجراً جرحي
وجرحي بالأسى ينضح
أتيتك باذلاً روحي
وروحي بالجوى تطفح
وجرحُك ناغرٌ والدمُ فوارٌ على عينيَّ ،
فوارٌ على كفيَّ، فوارٌ على الأرجاء
ودوني تدفقُ الأنواء
فتغمرُ كل أحياء المدائن والدساكر
والقرى وتفيضُ في الصحراء

ودوني يعبر الفرسان

فتجتمعُ القبائلُ مرة أخرى

وتهتف حانَ موعدنا وهان الموت هان

يا وطني

وترفعُ راية الظفر

وأحبابي الذين منحتهم عهدي، ووزعتُ

الجوارحَ بينهم، وصحبتهم في أحلك

الأيام، شتتَ شملهم في

أحلك الأيام، فانتشروا على

الآفاق وانتظروا قدومي

وانتظرت فما أتوا

وظللْتُ منتظراً أناديهم وهم

رغم النداء المرِّ لا يأتون،
لا يأتون

لا يأتــون

# أبحثُ عن وَهجي

"٥"

وعندَ الصبحِ
كان الثلجُ منشرحاً ووضّاء
يلفحُ سائر الطرقات
والشرفات والأشجار
وكنتُ أنا وراء زجاجِ نافذتي
أداعبُ قسوةَ الثلجِ
وأبحثُ في الركام الأبيضِ الوّهاج عن وهجي
وأصرخ إيهِ يا آذارُ: أغمرْ وحدتي
بزهوركَ البيضِ الشتائية
وأعط عجائزي الهرمات ما خبأت
من أسرار
لأُبصرَ في غيومكَ ومضةَ الروحِ الربيعية
ويا آذار
أدفن جرحَنا بالثلج

واغمرهُ مع الأغصان والأشجار

فنيسانُ الذي يأتي سيحمل

أروع النوار

ويا آذار

أدفن روحنا بالثلج

أزرع روحنا في المرج

ليبزغ سرّنا المدفون

# وداعاً أخي موسى

"٦"

وأذكر أننا في الثلجِ ودّعنا أخي موسى
ولم يبلغْ ثلاث سنين
وكان الثلجُ ليلتها قد استرخى على
الأبواب والطرق
وخلانا مع النيران
وماتَ أخي
لأنَّ الثلج سدّ منافذَ الأفقِ

وعند الظهر شيعناه
وواريناهُ في البستان
ليبقى في جوار البيتِ نبعَ أسىً ونبعَ حنين
وأذكر أنني لم أبكِ حين رجعتُ
دون أخي
ولا حدثتُ خِلّاني عن الأحزانِ

والحرَقِ...

فيا أحباب

أنا في الثلج

جاء الثلجُ

وانتظمت مواكبهُ على الأبواب

وأطلقَ حزني المخزون

ويا أحباب

جاء الثلج

وأذكر أننا في الثلجِ ودّعنا أخي موسى

وخليناهُ في "بيرزيت"،

وفي "بيرزيت" ما زال لنا الأخوال

والأعمام والأصحاب

وفي بيرزيت

رغم الثلج تسطعُ خُضرةُ الزيتون

# زيارةٌ في الثّلج إلى قبرِ أمي

"٧"

ويا يمه
شباطٌ مرّ هذا العام
والأعوام من قبله
ولم أحمل إلى عينيك
غارَ الشام أو بغدادَ أو تطوان
فعفو رضاك يا يمه
وعفوَ العهد إن كنا تأخرنا
وخليناك
عفو العهدَ
إنا ما نسيناكِ

**

ويا يمه
يميناً إننا ماضون

يميناً ما توقفنا

ولكنّا تخلفنا

لأن كتائبَ الفرسان

ضاعتْ في ضبابِ الرملِ

وانتشرتْ على الكثبان

والكثبانُ رملية

ولم تسمع نفيرَ المجدِ

لم تسمعهُ يا يمه

ولا هاجت على

صرخاتِ أحبابي

وخيل الروم صاهلة

على الأبواب

وداحسنا يغذي فتنة الغبرا

**

ويا يمة

يمين العهد يا يمه

يمين العهد والذمة

بأنا ما نسينا الوعد

ولا نحن نسيناكِ

وأنا لم نزل في الدّربِ

نزرعُ كلَّ تربتنا

بحَبِّ عيوننا يمه

ونترك في دروب الثلج والرمل

كواكبَ من أعزتنا

ففي الميدان

خلَّفْنا أبا مخلوف

وآلافاً من الأبناء والآباء والإخوانِ

والأصحاب والأجداد والفرسان

وقلنا يا رفاقَ الدربِ هذا دربنا...

معروف ...

وفي لبنانَ

زينّا الثرى والثلج

وخلينا على القمم الرفيعة

بيرقاً في الريحِ خفاقاً

وفي الوديان

شواهد من أحبتنا

على الطرقِ الترابية

ويا يمه

يمين الله بأنا نحشد الفرسان

وعهد الله يا يمه

على لقياك

شباطٌ مرّ هذا العام

والأعوام من قبله

وقبرك لم نقبله بباقات من

الحنّون

فعهدُ الله يا يمه

وعهدُ ابن إلى أهله

وعهدُ الله يا يمه

سيبقى الهم ما عشنا

بلوغ الدار والحقلة

ويبقى الحلم ما عشنا

وصولُ القدس والرملة

ويبقى الوجدُ ما عشنا

حديث الكرم "والخلة"

ويبقى الوعد ما عشنا

بألا نقبل الذلة

وعهد الله

عهد الحب

عهد العزم والإصرار...

أن يجتمع الفرسان ...

ويا يمه...

شباطٌ مَرَّ واستلقى على أبوابنا

آذار...

ونيسان هو الآتي

وفي نيسان، ...

يزهر عالم البرقوق والأجّاص

والرمان...

ويلثم قبرك الغافي بظل عرائش

الأعناب

ويا يمة

يمين الحب

سيأتي غارك "العربي"

فانتظري ...

لأن حشودَ أحبابي

تسد منافذ الأرجاء....

وتفتحُ في جبال الثلجِ أنفاقا

وآفاقا ..

وأحبابي

نشامى عهدهم عهد

ووهابون سباقون

وصديقون

منذورون

# العَوْدة

"٨"

وفي يومٍ

سآتيكم

سآتيكم

وأطرق باب تلك الدار

ألثم تلكم العتبة

وأسمع ذكريات طفولتي من كلِّ

زاويةٍ تناديني

تناجيني...

وأبكي

عفوكم لم أبك في يومٍ من الأيام

ولكني سأبكي عندما أجثو على العتبة

وسوف أصيح يا أهلي...

رجعتُ لكم

رجعتُ لكم

رجعتم لي...

وأركض في رحابِ الدار والبستان

بحثاً عن بقاياك...

وأبكي....

أطلق الأحزان والأوجاع والآلام

وأصرخ يا رفاقَ طفولتي....

عاد الفتى المفتون

فهيا نذرعُ الوديان

لنجمعَ باقةً من أجمل الحنون....

وأبكي...عفوكم

لم أبكِ في يوم

ولكن آه لو تدرون....

بوخارست

آذار ١٩٧٦

# الْجِسر

## (١)

ومنذُ أن فتّحتُ مقلتيَّ

كنتُ أسأل الأنهارَ

عن جسورها

وأسأل الوديانَ

عن جسورها

وأعشق العُبور

## (٢)

ومنذُ أن فَتحتُ مُقلتيَّ

كنتُ بالأوهام عامراً

وكنتُ بالأحلام زاخراً

وكنتُ قاصراً

وكنُ أمقت القصور

## (٣)

ومنذُ أن فتّحتُ مقلتيَّ
كانَ في غشاءِ مقلتيّ
عالمٌ منطلقٌ
وعالم مُنغلق
وكان في غشاء مقلَّتي سورْ

## (٤)

يا أيها الجسرُ الذي نبني
على الشريعة
يا أيها الجسرُ الذي نصنعه
فتهدمُ الوقيعة
نَرْفَعُه
فتهجم الحجافلُ
نضعهُ
فتهبطُ القنابل
يا أيها الجسرُ الذي يجمّع المياه والسنابل

ويُطلق الخلق من الطبيعة

(٥)

وما نزال نسألُ الأنهارَ
عن جسورها
ونسأل الأشجارَ
عن جذورِها
ونعشق الجسور
وما نزال نصنع المُنى الفجيعة
يا أيها الجسرُ الذي
يوصلُ بين الموتِ والولادة
يجمعُ بين النصرِ والشهادة....

(٦)

ومنذُ أن فتّحتُ مقتليّ
حوّطت والدتي عليَّ بالنذور
وعلّمتني أن أحاور الأنهارَ
من جسورها

وأن أكون رَجُلاً

في مُدُن الخديعة

وعندما خلّفتها ترفع باب بيتنا

جسر الوفاءِ ومضيتُ عَجِلا

كانت نبوع عمرها تجفُّ والمياهُ

تعبرُ الأنهار نحو البحرِ

والوديان نحو النهر

والأنهار في انطلاقها

تهدمُ ما تقيم من جسور

وهي تجرُّ العطش القادمَ

من قرارةِ العصور

تعصرُ من لُعاب الجوع أملا

تصير سهلاً مرةً

ومرةً تصير جَبلاً

لكنها تظل عند بابِ بيتنا

داليةً مُخضرَّة وتوتةً باسقة

وسنديانةً جذورها تضرب في الصخور

خلّفتها

وأمس عندما سألت عنها السحُب المهاجرةْ

وجدتها ترقد في القبور

(٧)

ومنذ أن كنت صغيراً

كنت أعشقُ العبور

وكانت الجسورُ حلمَ غربتي وجوعي

وسُلّمي لِمُدن السعادة

(٨)

يا أيها الجسرُ الذي يربطُ بين الموتِ والولادة

إني أتيتُ ناشرا قُلوعي

إني أتيتُ باحثاً عن سُفني

أني أتيتُ سائلاً عن وَطَني

في دفتر الشهادة

## (٩)

يا أيها الجسرُ

بَهمسات الوجد والمحبة

يا أيها الجسرُ الذي يَفْصِلني

عن ظُلُماتِ الكره والقطيعة

يا أيها الجسرُ الذي نبني على الشريعة...

أوّاه ما أقسى قفار الغربة...

أوّاه ما أقسى خيام الغُربة..

نيسان ١٩٧٦

# حين يَنقطعُ النَبعُ

إلى الشهيد (أبو خالد جورج)

## (١)

حين ينقطُ النبعُ بي أقحم الهاجرة
وأغني لنبع يظلُّ إلى أبد الابدين
وفيا
وأغني لنبعٍ سخيٍّ
يشحّ إذا غابَ عنه المَطَر
وأغني لنبعٍ يصوّح وَهو يُلبي
نداءَ الظماء
وأغني مع السُحب العابرة

## (٢)

حينَ ينقطعُ النبعُ بَي
أسأل الصخرَ عن نبعةٍ
لم تستطع أن تشقَّ الطريقَ

وعن زهرةٍ لم تُطلَّ
وعن تربةٍ لم تزل في
اشتياقٍ لكلِّ جذورِ الشَجَر

(٣)

حين ينقطعُ النبعُ بي
وتحيلُ الرياح السوافي
وطني مسكناً للبعوض
وغواطاتِه البكرَ أوراقَ توت
وكلّ المغاويرِ حاشيةً
للمماليكِ.....
أختلي بدموعي
وأطلقُ من قاع روحي بلابل
أختلي بجراحي
أرتمي خَجَلا وأصيح
بكلّ القلوبِ المحبة والسِّحَن الحائرة
أختلي بسلاحي

وأطلق من قاع روحي
البراكينَ والحِمَم الثائرة
أختلي بِنُواحي
وأطلقُ من قاعِ روحي
بلابل

(٤)

حين ينقطعُ النبعُ بي
يُزهرُ الحُزن في قاع روحي
ويطلقُ في قفرِ روحي جداول
فأغني لحزن مقيمٍ
وحزنٍ تجوْهَرَ بالموتِ
والدَمِ والحُب
شعشعَ بالنظَرَات الثواكل
وأغني لحزن يهبُّ فيزرع في
قاع روحي سنابل
وأغني لأن الجراخ التي

فَجّرتها المكائد تدفقُ بالقيحِ
والوجعِ المستفيض
وتمسحُ عن سطحِ روحي الخَدر

(٥)

حين ينقطعُ بي
وتضيع السواقي
في ثرى وطني
أمتطي سفحَ صنيّنَ
أستقطر الصخرَ ماءً
وأشربُ من ثلج آبَ "المرير"
وأتركُ في كل مُرتَفعٍ من دمائي
شقائق

(٦)

آه يا وطني
أنت متسعٌ للمحيطات والبيد
متسعٌ للدماءِ

ومتسع للمشانق

وأنا دونما وَطَنٍ

دونما سَكَنٍ

والممالك لا يقبلون رحيلي

ولا يقبلون بقائي

وأنا راحلٌ قائمٌ

طالباً وَطَني

مطلقاً شجني

شاهراً في وجوه المماليك

حُبّي

ولكنهم يَقْتُلونَ

يُحبّون أن يشربوا من

دمائي

وأنا راحلٌ قائم

أرتجي وطناً

أرتجي سكناً

أمتطي ثلجَ صنين طَوْراً

وَطوْراً أجوبُ الحرائق

(٧)

آه يا وطني

إنني باحثٌ عنكَ في صخر صنينَ

في ثلجِ صنين

تحضرنيَ وتغيبُ

ويحضرني وجهك العَربيُّ

المدمى من النار في

المدن البابلية

والضيع العاثرة

(٨)

آه يا وطني

أنت وزعتني في شعابِك

أنت ألقيتني في جبابك

أنت أطعمتني كلَّ ملحِ البحار

وخليتني راسفا في السلاسل

## (٩)

آه يا وطني

آه....

أنت تقتلني

أنت تنكرني في الخبايا

وتنكرني في المحافل

أنت علمتني أن أحب

وعملتني أن أقاتل

## (١٠)

آه يا وطني

إن صوت انسحاقِكَ أيقظني

واستثار العزيمةَ في وَهَني

ودعاني إلى الحبّ حين اختفى

الأحباء وانتشروا في الفلاة

وحطَّ على الأفق طيرُ الكدر

آه يا وطني

أنت قاتلتني

ثم ناديتني وأنا سابحٌ

بدمائي ألا أيهذا المدمى

تحرك

ألا أيها المستضامُ الذي أنكهته

المكائد... قاتل

## (١١)

آه يا وطني

ثلجُ صنين مرّ

ومرٌّ شرابُ الدماء الذي جرّعوني

آب ١٩٧٦

# الدَمَعاتُ التي خبَّأَتْها العيون

## (١)

وأنا هائمٌ في البراري
حضنتني الخيامُ الفقيراتُ والشَجَراتُ
التي لم تَصلها العيون
فأكلتُ الهواءَ الذي حَرَقته الظهيرة
وشربتُ الصحارى

## (٢)

وأنا فارسٌ
وَضَعتني على "رَضَف" الفقر أمي
فعرفتُ الجياعَ صَغيراً
ونادمتُ جوعَهم وغرفتُ المرارةُ من كأس همي
لم أكن مَلِكا أو أميرا
إنما كنتُ من طينةِ الفُقراءِ
ومن نُطفةِ الوَجَعِ الأدَميِّ

ومن لَهفةِ الأشقياءِ

(٣)

وأنا فارس
فَرَسي لا تكلّ
كلما ضقتُ ذرعاً مَضت قُدُماً
لم يُثرها عثاري
وحُسامي الذي صَنعته الأكفُّ الصغيرة
صارم لا يُفلُّ

(٤)

وأنا هائمٌ
حائرٌ
ثائرٌ
علمتني الشجون
أن أرى الخَفقاتِ الكسيرةَ واللّهَفات الكسيرة
أن أرى في العيون الدَمعاتِ التي خبأتها
العيون

(٥)

وأنا جائعٌ
علمتني المجاعةُ أن الرمالَ التي حَرقتها الظهيرةُ
تخفي بساتينَ ظل وفاكهةٍ وينابيعَ تروي
غليل العطاشِ الذين مشوا أمداً في رمال
الجزيرة
وأنا جائع
علمتني المجاعةُ أن الرغيفَ صغيرٌ ولكنه
مَلِكُ ظالمٌ
وحقيرٌ ولكنه يزرع الرعب في حَدَقات العيون
علّمتني الوقائعُ أن المجاعة لا تنتهي
دون أن يسقطَ الخوفَ من حَدقات العيون

(٦)

وأنا شاعر
علمتني التجاربُ أن أقطف الشعرَ من وَجَع
الجائعين، ومن فَزع الهاربين، ومن

لهفة الحالمين بسهرةِ حبٍّ على وَجَنات الزنابق

وأنا شاعر

علمتني القصائدُ أن أجني الشعرَ من زَهَرات الحقولِ

ومن ومضات الصَّواعق

وأنا شاعر

علمتني الحرائق

أنَّ في النار شعراً، وفي الموت شعراً،

وفي الحربِ شعراً، وفي الحبِّ شعراً

وأن العواصفَ كامنةٌ في السكون

(٧)

وأنا ثائر

علمتني العصيّ الغليظة والقَبضات المريضةُ

والعتماتُ التي نشرتها المشانق

أنني لستُ وحدي، وأن الذين أظلتْهمُ

سنواتُ المجاعةِ والقهر صاروا حشوداً غفيرة...

علمتني بأن أبصر العزم في الخائفين،

وأن ألمسَ الوَهْج في المطفئين،

وأن أشهد الجمر مشتعلاً في رماد

الليالي المطيرة

(٨)

وأنا عاشقٌ

علمتني المنافي بأن أعشقَ الزهرَ وهو بعيدٌ

وأن أعشقَ الحقلَ وهو غريبٌ،

وأن أعشق الغائبين،

لأن المحبة أكبر من ظلماتِ المنافي

ومن عتماتِ السجون..

وأنا عاشق،

علمتني المحبةُ أن المحبةَ

تزهرُ في النفي، تُثمر في النفي،

تشربُ في النفي روح القنابل

وأنا عاشق

علمتني المنافي بأن الشجون

تجعل الحب قاتل

وأنا عاشق

علمتني جراح الأحبة

أني أخون الأحبة إن لم أقاتل

وأنا عاشق

وطني راحلٌ

وأنا راحلٌ

أبتغيه ودوني العواصفُ

تلعبُ بالرملِ والريحِ تنقلُ أرض الصحارى...

وأنا حازم

يهبط الرمل بي

ثم يغمرني،

ثم تنقشعُ الأرضُ عن أفقٍ واسعٍ

ورؤىً وطيورٍ جوافل

وأنا عاشق

علمتني النوازلُ

أن الهوى يصلُ الغائبين،

ويجمع ما فرقته الرياح العوازل

## (٩)

وأنا ضائعٌ

ضيعتني الرياحُ العوابرُ عن خطواتِ القوافل

فطلبتُ النجومَ دليلاً وسرتُ على الدَرب مقتنعاً

أنني سوف أبلغ داري

وأنا ضائع

علمتني النجومُ الدراري

أن درب المحبينَ لا تمّحي في الرمال، ولا

تمّحي في البحارِ

وأنا ضائع

بَدّدت حيرتي صَرَخات الثواكل..

وأنا

عاشق

حائر

ثائر

علمتني الشقاوة أن أجنيَ الحُبَّ من

حَدَقاتِ العيونِ الكسيرة....

# الطّارقُ المَنذور

" ١ "

وصلنا عند سورِكِ
كانت الأشواقُ طافرةٌ
وكان الحزنُ دفّاقا
وقلنا:
هاهُنا نَقِفُ
فهل نَقِفُ ؟
أسائلُ وجهك المرويّ من
رملِ القفارِ، ومن شمس البحارِ،
ومن لهيبِ الشوق والشَجَنِ
أسائلُ وجهك الجبليّ
هل نَقِفُ؟

(٢)

وَتَبسِمُ مقلتاكِ

هنيهةً

ويضيئُ وجهك، ثم

لاتتوهجُ الكَلِماتُ

فنصمتُ لحظةٌ

ونسير مُقتربينِ

مُبتعدين

والأحزان لا تبرحْ

## (٣)

وقفنا عند سورِكِ

كانت الأشواقُ طافرة

وكان الحزنُ دفاقاً

فما سنقولُ للأشواقِ والأحزان؟

وكيفَ يُهدهَد الشَغَفُ؟

ومن ذا يمنعُ الأشواقَ والأحزان أن تَطْفَح

فتسقط بيننا السُجُفُ

## (٤)

وما بيني وبينك
خطوة أو خطوتانِ
وتسقط الأسوار
ويدفقُ نبعنا السريُّ
سلسالاً فنغترف
فهل نَطْمَح
وهل نَقِفُ؟
وهل يبقى غريبُ الدار منتظراً على الأسوار؟
أُسائلُ قلبك الوهّاجَ والوجه الذي أدمته ريح
البحر، أسقته الرمالُ نصاعةَ النيران
هل أقفُ؟
وهل أبقى على الأسوار؟

## (٥)

وما بيني وبينك
أنتِ يا "بيرزيت"
جرحٌ لا يهدهدهُ الرحيلُ

ولا تنسيه لي دوّامة الأسفار

وما بيني وبينك

سوفَ يبقى في دمي

ويظلُّ في الأعماق ديوانا من الأسرار

وإن حَمَلتني الأخطار

إلى التيهِ الذي يُعمي

أو البحر الذي يُصمي

وخلاني على دربِ الجوى أهلي

ولم يتذكر الخلان....

وما بيني وبينك

دائماً وطني

فهل أنساكِ "يا بيرزيت"

وهل أقِفُ؟

معاذَ الجرح إن الجرحَ لا يسمح...

(٦)

وما بيني وبينك

أنت يا مُدنُي...

التي تمتدُّ من حَلبٍ إلى تطوان

ومن يافا إلى عَدَنِ

أواصرُ لا تخون وخافقٌ سيظلُّ بالأشواق خفاقا

وأشواق تؤرقني

وما بيني وبينك

خطوةٌ أو خطوتانِ

وتسقط الأسوار

فهل أيامنا تَسْمَح؟

أتيتكِ طارقاً

فوجدتُ في أبوابكِ التجار والغلمان

فرحتُ أجول مقهوراً ومكسوراً

وأبحثُ عن مفاتيحِ الهوى في النار والأحزان

وراودت الحرائق عن وجوه أحبتي وعيون إخوتي الذينَ

تركتهمُ جرحى، وعن أمي التي ماتت ولم ترني،

فلم أجدِ السبيلَ

إلى عيون الأهل والخلان

فهل أنساكِ يا بيرزيت

وهل أنساك يا مُدَني

التي تمتد من يافا إلى تطوان

ومن عكا إلى ناقورة الشَحَنِ

(٧)

فماذا يمنع الأبوابَ أن تفتح

وماذا يمنع الأحبابَ أن يصلوا....!

ومن ذا يصنع الأسوارَ والأبوابَ والجدران

ويجعلنا على الأبوابِ منذورينَ

للأشواقِ منذورين

للحسراتِ منذورين

نستجدي الوصول

ونعبرُ الوديانَ والقممَ المخيفةَ والشِّعابَ

فتُخلف السُبُلُ..

ومن ذا يمنعُ الأبوابَ أن تفتح

ليدخلَ فارس الأحزان....!

## (٨)

أما زالت طريقُ القدسِ سالكةً

على الأغرابِ،

مغلقةً على الأحبابِ

والأحبابُ منذورون للحَسَراتِ

والرَصَد الذي يمتدُّ بين الماءِ والصحراءِ

منشوراً على الأرجاءِ

والأرجاءُ من وطني

تعجُّ، تلجُّ بالفقراءِ

والفقراء يختنقونَ

والرَصَد الذي يمتدُّ بين الأرض والجوزاءِ

لا يبقى ولا يَبرح

أما زالت طريقُ القدس يا تطوانُ

مغلقةً على صنعاءَ،

والشهباءِ

والزوراءِ

موصدةً على الطُرُق الفسيحةِ في ربى وطني

أما زالت دروبك أنت يا مُدني

التي تمتدُّ من حَلَبٍ إلى تطوان

ومن يافا إلى عَدَنِ

محرمةً على الأحبابِ

والأحبابُ عند السورِ منذورونَ

والأبواب موصدة،

وحرّاس المداخل يرطنون،

وأنت يا وطني....

## (٩)

وقفنا عند سورِك،

كانت الأبوابُ موصدةً

وكان الشوقُ دفاقا

وصحنا أيها الأبوابُ والأسوارُ والقضبان

هو الطوفان

وصحنا:

أيها الأصحابُ والأحبابُ والخلان

هو الطوفانُ

فلتَفضحْ

تباريحُ الهوى الأسرار

هو الطوفانُ

فلتطفحْ

عيون الوجدِ والأحزان

هو الطوفانْ

فلتَسْرَحْ

عصافيرُ الهوى العربيِّ في وَطني

(١٠)

وقفنا عند سورِك

كلُ ليلتنا

ولم نَبرح

وقدّمنا ثلاثَ نذور

وما زلنا على الباب المُسنَّد نحشد الأنظار

فهل نَطْمَح؟

بأن تتساقط الأحجار

وأن يتحاضن الأحباب فوق السور

سيبقى الطارقُ المنذور

على بابِ الهوى العربيّ

منتظراً

ومشتاقاً

وتواقاً ومشتعلاً بآمالِ الأسى المقهور

إلى أن تسقطَ الأحجار

وتبقى للقصائدِ ذكرياتُ السور

# عَلى الشّاطئ

(١)

يَقفُ البحرُ وَهْناً
على الشط
يهدأُ
يهدأُ
يَطلقُ أحلامهُ الوافراتِ
حقولاً من القمحِ والنخلِ
ينساحُ بحرَ سنابل
وتحلّ السكينة.....

(٢)

ثمَّ يمتدُّ في الأفقِ
طولاً وعرضاً
ويمتدُّ... يصفو
فتغرقُ عينايَ

في النَسَمات التي توقظُ

اللهفاتِ الدفينة

ثم يضطرب البحرُ....

(٣)

تندفعُ الخيلُ في الأفقِ

الرحب، تعدو

فيأتي إلى غربتي زَبَد

طافرٌ ورذاذٌ حنونٌ

وتغمرني الريحُ بالقُبُلات اللعينة

(٤)

هوَ البحرُ....

آتٍ

هُوَ البحرُ آتٍ

حقولاً من القمحِ والنخلِ

والنخلِ والقمحِ...

يأتي سنابلَ حيناً

وحيناً عناقيدَ يانعةً

وخمائل

(٥)

وأنا

في مكان اللقاءِ

من البحر والرملِ

ماشٍ

إلى عَطَشي

باحثٌ عن بيادرَ

تقبلني

وعناقيدَ لا تستخفُّ بجوعي

(٦)

وأنا في مكان الفراق من

الرملِ والبحرِ واقف

وأنا أرقبُ النخلَ والقمحَ

من هدأةِ البِحرِ...

يأتي،

ومن غضبة الزَبَدِ المستطيرِ

يطلُّ صفوفاً صفوفا

قطوفاً قطوفا

يجيءُ خمائل

(٧)

وأنا في مكانِ

اللقاء من الرملِ والبحرِ....

أستصرخُ البحرَ للرملِ،

أسأله رحمةً بالبيوتِ

العطاشِ

وبالشجَرات الحَزينة...

(٨)

وأنا

في مكان اللقاء من الرملِ

والبحرِ....

تطلبني هدأةُ البحر طوراً
ويجذبني غَضَب البحرِ أخرى
فأمضي إلى البحرِ...
منتشياً وأخلي الرمال

(٩)

ثمَّ يطلبني الرملُ...
والعَطش الأبديُّ
فأعدو إلى وطني
عامراً بالخيال

(١٠)

وأنا في مكان اللقاء مِن
الرمل والبحرِ
اخترتُ العَطَشَ الأبديّ
وأحمل من وَطَني

## لَهفاتِ القلوبِ السجينة

### (١١)

إنني ها هنا

واقفٌ من قرونٍ

يلاحقني الرملُ والقيظُ

والعَطَش الأبديُّ

وتتركني في العراء الجداول...

### (١٢)

يقف البحر حيناً ولا

يقفُ الرملُ

أو يقفُ الرملُ حينا

ولا يقفُ البحر

وأنا أطلبُ البحرَ حيناً

ولا أطلب الرملَ

أو أطلب الرملَ

لا أطلبُ البحرَ

والزهر في جسدي

ينشد الرملَ

طوراً

ولا ينشد البحر...

أو ينشد البحرَ لا ينشدُ

الرملَ

والبحرُ والرملُ مفترقان

وأنا واحد

وبيَ الرملُ والبحرُ...

والبرقُ والرعدُ

والغيثُ والعَطش الأبديُّ...

فمن يقرأ الفاتحة....

## (١٣)

هو البحرُ

يمتدُّ.... يمتدُّ.... يمتدُّ

يحتضنُ الرملَ في شطٍّ يافا

ويلهو مع الدور في عسقلان

وأنا ها هنا

واقفٌ لا أريمُ

ولا أُسلمُ البحرَ قلبي

ولا أقحمُ اليمَّ واللُّجَجَ الجامحة

وأنا ها هنا

قيدتني المدينة...

## (١٤)

أيّها البحرُ قِفْ

أيّها الرملْ قِفْ

إنَّ قلبي يشعشع بالحزنِ...

والحَسَرات السجينة....

وأنا أعشق الريحَ واليمَّ

والقُبلات اللعينة....

(١٥)

أيها الرملُ قِف

إنني قادمٌ بالسيول الجوارف

أيها البحرُ سِرْ...

إنني أمتطي الصهوة الجامحة...

# عن الزهر والنار

## المجموعة الخامسة

# عن الزهر والنار

## تقديم

تضم هذه المجموعة قصائد، كتبت ما بين شهر كانون الأول سنة ١٩٧٧، وشهر كانون الأول ١٩٨٩، وهي مجموعتي الشعرية الخامسة، من بين شعري المنشور، وقد جمعت المجموعات الشعرية الأربع، في مجموعة واحدة، صدرت عن وزارة الثقافة في بغداد، سنة ١٩٧٩، ولكن هذه المجموعات لا تضم كل شعري الذي كتبته، منذ ١٩٥٠ وحتى الآن. وآمل أن يجد القارئ في هذه المجموعة ما يبرر نشرها.

ناجي علوش

# [1]

## يُزْهرُ الدّمُ

" ١ "

يُزْهرُ الدّمُ حيناً،
وحيناً تضوعُ الزّنابقُ
لَكنّنا حينَ نَسْهرُ، نَشْعرُ
أنا مَنَحْنا الأحبَّة شيئاً كثيراً..

" ٢ "

فَلماذا تَضوعُ الزَنابقُ في الحَقْل
أو يُزْهرُ الدمُ في الوَحْل
أو تَمْنَحُ البِكرُ حُلْمَ البَكارة
إن نَكُنْ لا نُقدّم للواهبين
سوى أُغنيات البشارة

" ٣ "

يُزهرُ الدَمُ حيناً،
وحيناً تَضوعُ الزَنابقُ،
لكن للوَجْدِ أوجاعَه في زَمان الحرائق
والرُعْب والقَسْوة الهمجّية

" ٤ "

فلماذا تُغني الحَساسينُ في
الدوْح إن كانَ سامعُها
لا يُقدّر آياتها
ولماذا تضوعُ الرّياحينُ
إنْ كانَ جامعُها
يَعشَق المزهَرّية !

" ٥ "

يا عطاءَ الزنابقِ لم أُعطِ
شيئاً كثيراً،

ولم أمنح الحقلَ مِن كَبدي
شَجراً أو ينابعَ...
لمْ أمنح الأرضَ حُلْماً مُثيراً

"٦"

يا عطاءَ الزنابقِ
إن الشّقائق كانت دَماً،
يا عطاءَ الزنابق
عفْواً إذا كُنتُ قَصّرتُ عن وَقْفة أريحية

# [2]

## هذا سرّي

" ١ "

أحتاجُ إلى كلّ الصمت الوارف في عينك
فالغربة لا ترحم
والديلمُ ينتهكون الشَرَف الوطنيّ
وعُبّاد اللذةِ يحتقرون الأشواق
وأنا لا أشكو
فَلْتغمُرْني لَحظاتُ الصمت البرية

" ٢ "

أحتاجُ إلى غلات الحنطة في وجْهك
فالأطفال الجوعى
من تلِّ الزعتر
والمُدُن النفطية

والأرياف المعروفة يوماً بالأهراء
ما زالوا جوعى
والقِلّة لا تَرحَم
وأنا – عفواً – أعرفُ حقاً معنى
الجوع

"٣"

يا سيدةَ الصمت الأزليِّ
وحارسَة الأسرار العُذريّة
الجَمرُ بصدري لا يهدأ
وأنا أخُفي الوَجَع الكاسر
وأناشد شوقي أن يهدأ
والديلَمُ يكتنزون الحنطةَ والحَجَر
الأصفر في الغُرف السريّة

"٤"

ماذا أحكي ...؟

لا شيء لديَّ سوى أشواقِ

الجوعى والمقهورين...

هل أحكي عن وَجَعي؟

الغربُة لا تَرْحَم

والقلّة لا تَرحَم

وأنا أظمأْ

أظمأ

والجمُر بقلبي لا يُطفأ

يا سيدة الصمت الوارفِ

والظلِّ الممتدّ على وَجَعي

يا حارسة الأسرار العذرية

هذا سرّي أستودعُهُ

في عينيك

وعيون الأطفال الجوعى

والمقهورين

هذا سرّي

# [3]

## الحلم المستحيل

" ١ "

وأسماءُ

دورية سكنت دارنا

وكانت تحطّ على بابنا في الصباح

وتشغل شباكنا في الظهيرة

وتسرحُ حيناً على الياسمين

وتسكنُ حيناً إلى "الميرمية"

وتعشقُ أشجارنا

وأسماء

في عرف والدتي

"أجنبية"

" ٢ "

وأسماء
لم ترو للزهر أسرارها
لأن العيون التي حجرتها القساوةُ
لا تقبلُ الهمسات الندية

" ٣ "

وأسماء
دوريةٌ حاصرتها الصقور
فطارت مع الريح، وهي صغيرة
وضاعت عن الحلم ...
في الجزر الحجرية...

" ٤ "

وحين التقينا

على شاطئ في الجزيرة
وطالعني وجهها "المتغرب"
شبّت دموعُ الطفولة من مقلتيها
وطرنا مع الحلم المستحيل

"٥"

وأسماء
لم تقرأ الشعرَ يوماً
ولم تكتب الشعر....
لكنها خَلَّفت في حناياي
كلّ اختزان الليالي المطيرة

"٦"

وأسماء
عذراء
عذراء
عذراء

لم تعرف الدّنَسَ البشريّ

ولا جاءها الروح بالنطفة القدسية

وعذراء ...

أولدها الغاصبون مراراً

وعذراء

يدعونها "مجدلية" ....

"٧"

وأسماء

في مدن النفي

تلهج في زبد الرملِ والريحِ

تشربُ من ريقها

دون أن يعلم الرمل

أو تعلم الريح

تبحثُ عن نبعها

والرمالُ السوافي

تمدُّ على الأفق كثبانها

## والرياح السوافي تسد العيون

"٨"

وأسماء

لا تجد النبعَ

أو تجد النخلَ

لكنها ترتوي تارةً من سراب الصحارى

وطوراً ترى الحلم في هسهسات

الرمال الشجية...

وأسماء

لم يبقَ من "بئرزيت" لديها

سوى الحلم المستحيل

"٩"

وفي بئر زيت ...

يظل انسيابُ العيون العذارى...

يشدّ الجذور إلى أرضنا ...

وتبقى العصافيرُ نشوانةً

تروح وتغدو على ... دارنا

ويبقى الذين تركناهمُ

على جمر غيبتنا

صامدينَ

يمدون أيديهم للقاء

ويحييهمُ ذكر أخبارنا

وأسماء

من يرجع الحلم يوماً إليها

وينشدها بعض أسمارنا...

ويبلغها أننا لم نزل على العهد

للجوزِ والتوتِ والتينِ " والميرمية "

وأنّا

إلى دارنا

عائدون ...

بيروت – أيار ١٩٧٨

# [4]

## عن الانتظار

" ١ "

انتظرْ

إن طيرَ البشارة

آت من اليابسة

هاهو الغصنُ في فمه يتدلى، كما كان قبل القطاف

لا تقلْ إنه لا يبينُ

لأني أرى وَمْضَ خُضْرته،

يُشعلُ الظلمةَ الدامسة...

" ٢ "

انتظر

إن كأس المرارة تعبر

واللحظةُ اليائسة

سوف تمضي

من اليمّ والغيم والريح ...

والذكريات العجاف

"٣"

آه يا سيدي لو عرفتَ الذي في حناياي

إني هنا من سنينَ طوال أهدْهدُ ناري

أصنعُ الشوقَ من كبدي

أمنحُ الشوقَ سوداءَ عيني...

أحميه من هجمات الرياح الضواري

وأغني لطير البشارة

واليمُّ يُطلقُ شهوتَه الهمجية...

هل أقولُ لك الحقَّ يا سيدي ؟

إنني أكتبُ الشعرَ من خلجات دمي

ثم لا أقرأ الشعر

إن الذين كتبت لهم

أخَذَتهم رمالُ البراري

وانتظرتُ

انتظرتُ

فلم ترجع الريحُ منهم صدى

وأنا واقفٌ في انتظار الذين سيأتون

من لُجَجِ اليمّ

أصدى وأعرى واحتقرُ اللحظة اليائسة ...

" ٤ "

انتظر ...

إنني ها هنا في انتظار البشارة

لم تترك الأفق عيناي

لكنني أسأل اليمّ والغيم والليل

عن وجه أمي التي طلبتني

وقد جاءها الأجل المتعطش

فانتظرتْ عودتي،

ثم أسلمت الروحَ

إذ كنتُ في اليم،

والفلك لم يستطع أن يشقّ العُباب
وأن يتركَ الريحَ تعوي...
ألا فاسأل اليمَّ والغيمَ والليلَ عن وجه
أمي التي أرضعتني حليبَ الهموم الكبار

" ٥ "

أنت تسألني
تطلعُ الشمسُ
في خارج الفلك
أم تغربُ الشمس
سيّان عندي،
لأني مُذْ شدّني اليم
أصبو إلى الغسق المتوّهج من
جبل الخربة العلويّ
وأرنو إلى غرق الشمس في بحر يافا
فهل كان ذلك طيشاً
وهل كنت أهذي؟

" ٦ "

انتظر

إنني في انتظار البشارة

لكنني أسألُ الريحَ عن طيرنا

غابَ عنا

وأذكرُ أنا انتظرناه من أمد

وهو في رحلة ليس ندري

أيرجعُ أم يجدُ الأرضَ دافئةً فيعشش...

واليمّ يغمرُنا والرياحُ الضواري

تلاطمُ صدرَ السفينة

والليلُ لا ينجلي...

وأنا أسأل الأفقَ عن عودة الطير....

واليمّ عن سورةِ الغمر

والريحَ عن عبثٍ لا يداري ...

هل تراني إذا ما تساءلتُ في الفلك عن

قدري

أخدشُ " الحضرة القدسية " .

"٧"

آه يا سيدي

ذكرتني الزوابعُ

بالنرجسات اللواتي تجذّرْنَ في صخر "جبورَ"

أطللنَ من شرفات الصخور،

وناديننني...

وأنا سادر

تستثيرُ المرابعُ وجدي

ويُذكي اخْضلالُ المسافات روحي

لا تقلْ

يطلعُ الزهر

أو يذبلُ الزهر

لا تَدعني لاختيار الزنابق

نرجستي لم تزلْ في انتظاري...

هل ترى

يغضبُ الزهرُ

أن تشغلَ القلب نرجسةٌ شرشت في

جراحي الندبة....!

"٨"

انتظر

ها أنا مطلقٌ مقلتيّ مع اليم والريح

منتشرٌ في رذاذ المطر

انتظر

إنني، كنت مذ كنت، أهجسُ

بالخبر المنتظر

"٩"

انتظر

سيدي

هل عرفت انتظار الحقول الندى

وانتظار الجذوع المطر

هل عرفت انتظار الرغيف

أجبني،

لأني انتظرتُ

وما زالتُ أعرفُ معنى انتظار الجموع

للكِسْرة اليابسة ....

" ١٠ "

انتظر...

جاء موسمُنا ...

والشرارةُ صارت من الريح

والآن أنتظر البرقَ والرعدَ والسحب

المدلهمةَ

والواعدين يجيئون من كلّ فج عميقْ

فتحتُ لكلّ الأعاصير قلبي

وأطلقتُ في الأرض كل هوايَ

المؤرق

ألقيتُ في اليم أرديتي

ومزجتُ دمي بالوعود القوية

ولقد أخبرتني اليمامةُ

إن الإشارةَ في الأفق

فانظر إلى الأفقِ

إني لأبصرُ في مقلتيها الإشارة...

" ١١ "

جاء طائرنا

هلّلوا

هلّلوا

يحملُ الغصن أخضر

والغصنُ من بئر زيت

ونحن على خشب الفلك

نحدو مجاذيفنا منشدين

ونَغلْي اشتياقاً إلى اليابسة ...

لبنان – ١٩٧٨/٨/٢٧

# [5]

# المُهرة

"١"

مُهرَتي
صعبة
شَربت لَبن البيدِ، واختزنت زخم العاصفة
فهي دفاقة بالأعاصير
سيَالةٌ بالرياح
وهيَ ريانة من وميض الرماح

"٢"

مُهرتي
مُرّة
يزخرُ الكبر من مُقلتيها

ويطفرُ من وجهها العنفوان
كلما هبت الريحُ
حرّكها الوجدُ للساحة الراعفة

" ٣ "

وأنا الفارسُ الصعبُ
في جسدي كلُّ جرحِ القبيلة
في خَلَدي كلُّ أشعارها
ولقد علّمتني القبيلةُ
أن أعشقَ المهرةَ الجامحة

" ٤ "

كان في وَجْهها حُلُمي...
فتصابيتُ
واشتقتُ للنرجس الجبلي وللخضرة الوارفة...
وتناسيتُ ثانيةً أن للحلم صحوتَه الجارحة

" ٥ "

آه

يا مهرتي
إننا مذ درجنا على الأرضِ
نفلحُ بورَ القبيلة
نزرعُ في الملح شوقَ الرجولةِ
نجرعُ حصرمَها
ونغني لروعة أزهارها
فلماذا تثورُ القبيلةُ إن
حدّثنا حذام بأسرارها؟

"٦"

آه
يا مُهرتي
كأسُنا طافحة
وكؤوس الهوان
تثلج الهمَمم الرازحة
إنها لحظة الصحوة الجارحة
فلنكُنْ نحن للرمل والريح والعنفوان

بيروت ٢٠-٢١/٩/١٩٧٨

# [6]

# البحر

" ١ "

البحرُ
يستضيفُنا على رماله
يخطُفنا
زَبدهُ هنيهةً
نورسُهُ هنيهةً
شرودُهُ هنيهةً
ويستثيرُنا بالهيجان مرةً
وبالسكوت أخرى
وعندما يأخذنا "يلعبه" انشغاله
يمعن في اختياله.

"٢"

البحر

يدعونا إلى قراره

يقول: بيننا الأمواجُ والزبدْ

يقول: بيننا قراركم أن تتركوا

على الرمال كلّ ما حمّلكم آباؤكم

من "الحجب"

يقول: إنه ما زال في انتظاره

ونحن لم نجب

البحرُ

يدعونا إلى قراره

"٣"

البحرُ

يا رفاقَنا

يتركنا نعرى

فيطلقُ الزوابعَ الثلجيةَ الكبار

وعندما تُعيدنا رعدتنا

للحجب الملقاة في جواره

يغمضُ عينيه على انتصار

" ٤ "

أيعرفُ البحرُ الذي

يخطفنا إلى دواره

بأن كل ما يثيرهُ من الزوابع

الكبار

لن يصدَّنا عن شوقنا

إلى قراره ...!

٤-٨/١٠/١٩٧٨

# [7]

# دعوةُ الرّيح

"قصيدة من مقطعين، الأول كتب في غرفة مغلقة، بعد اختفاء أشهر، ولكنها لم تكتمل إلا بعد عام"

" ١ "

ها ...

أيقَظَني المطَرُ الهاطلُ

عندَ الفجرِ

وحيَّاني بالريحِ البريةِ

والرعدِ الصاهل

لم يُمْهلني حتى أرميَ عريي القاتلَ

في النارِ

ها ... إن المَطَرَ يَعْبُرُ نافذتي

ويذكرني بالعطشِ الأبديّ

وبالجدبِ الماثل

وأنا أحلم ...

يا حُلمي ... لا ترْحلْ

لا تَترُكني

يا حُلمي

يا راحِل

الرعْشَةُ جَاءَت،

والموقِدُ لم يُشْعَلْ

والبرقُ الهائِلُ

يَكشِفُ أعماقي بحثاً عن أسْرارِ الداخل....

١٩٧٨/١١/١

" ٢ "

ها أَيْقَظَني الشَجَرُ السائلُ

عن أوراقٍ تَسقُط عنْدَ سُقوط الأمْطار

ها أيْقَظَني الشَجَرُ المُطْلِقُ أذرُعه

عاريةً في تِشرين الثاني

يَتَعرّمُ بالعري القاتل...

يَدْعُوني أن أَخرُجَ في الريحِ،
وأن أَترُكَ أوراقي في البَرْدِ القارسِ تنهار
ها
أيقظني الشَجَرُ السائلُ
عَن ريحٍ تُعطي المَطرَ المدرار
وأنا أقبع في زاويتي
أجْمَعُ أوراقي، وأضمُّ السّاقطَ منها
حتّى لا أعْرى
وأُسائِلُ إيقاعَ المَطَرِ الهاطلِ
عن دِفءٍ يأتيني من أتون النَار
هذا الشجَرُ المائلُ
في الريحِ البَريَّةِ يَطلبُ مِنّي أن يَلْقاني
وأنا أقبع في زاويتي
حتى أهْرُبَ من لفحات المطر المِدرار
والرَعْدُ الصاهِلُ
يكشِف أعماقي بحثاً عن أسرارِ الداخل.

١٩٧٨/٩/١

# [8]

## محاورة مع أبي الطيبِ المتبني

"إلى الرفيقة سَمِيرة"

" ١ "

لليلِ رهبَتُه
وبي شوقٌ إلى سفرٍ طويلْ
أمتدُّ فيه حيثُ لا تصلُ
العيونُ الزئبقية
لأحُطّ في حَدَق الرفاقِ المولعين
بطلعة النجم البهية
والساهرينَ على السبيلْ
لليل رهبتهُ
وبي شوقٌ إلى سفرٍ طويلْ

---

* نخلة او نحلة: قرب بعلبك نزلها المتنبي وقال: ما مقامي في أرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود
* فاتك الأسدي ، قاتل المتنبي ، كما تجمع الروايات

" ٢ "

لليل رهبتهُ
ووجهُ المهرةِ الخضراء ممتدٌّ
على الرملِ الخريفيّ المُذَهَّب
وأنا أسابقها فتسبقني،
وأتركها فتلحقني، وأدعوها إلى كأسٍ
فتسقيني ولا تشرب
يا مهرتي الخضراءَ شَوَّقني التحفزُ
والتغاوي والصهيل
لورودِ نبعِ المستحيل
والدربُ أبعد ما يكون
وأنت أبعد ما يكون
والدرب لا يُفضي إلى يافا،
ولا يُفضي إلى عكا، ولا
يُفضي إلى المدن المجوسية
فلننددفعْ في الرمل،
ولنعبر إلى الشهباءِ،

ولنشرب من البيداءِ أشواقَ
الظهيرة
ولنقتحم سر الينابيع الغزيرة.
فالدرب أبعدُ ما يكون
والدربُ أوعرُ ما يكون
يا مهرتي الخضراء لوّعني
الضياعُ عن السبيل
فلنشرب الكأس المجربَ
قبلَ إعلان الرحيل

"٣"

وأنا المطاردُ ما عرفتُ من الولادةِ
صدرَ أمي
كانت سعالى البيدُ ترصدُها،
وترصدُني،
وكان أبي طريداً
فرضعتُ من عطش الحسين هوىً

وعانقتُ الدمَ المُهراق في يومِ
الشهادة
وعرفتُ في الَفلَوات كيف يصيرُ
ذاك الهمُّ همّي...
ودخلتُ نخلة
غير أني لم أكن فيها وحيداً
كانت عيونٌ حانياتٌ، حيثُ أعبر،
ترصدُ الأسديَّ تدعوني إلى
النومِ الهنيء، وتغمرُ الآفاقَ
جودا ....

" ٤ "

وأنا الذي يممتُ باديةَ السماوةِ،
أسألُ الكثبانَ عن نَفَرٍ يجوبون
الصحارى... أعبرُ الوديانَ
لا ألوي على شيء، وأمشي
في المضاربِ، والمضارب
لا تحير ولا تجيب...

والليلُ يعطيني عباءته المهيبةَ،
والنهارُ يقصُّ أخباري على العسسِ
الموزّع في الثنايا
وأنا أهوِّم في البراري،
والبراري تسألُ النجمَ المشعشعَ
عن فتىً يغزو السباسبَ،
لا يكفُّ عن النفارِ،
ولا يخيب.

" ٥ "

لليل رهبتهُ
وفي قلبي نداءاتٌ إلى سفر،
وحرّاس الأمير يلاحقونَ البيدَ بحثاً
عن خطى رجلٍ، يوزّعُ في
صعاليك القبائل سورة البركان،
ثم يغوصُ في الرمل المذهّبُ
لا يبوحُ بسرّهِ العربيّ، لكنَّ

الرياحَ تذيعُ بعضاً من قصائده
الكثيرة، وهو يُطلقُ في الهجير
خُطاهُ، منتشراً مع الريح المثيرةِ...

يا صعاليكَ القبائل، إن هذا اليوم
يومكُمُ، وإني أطلق البركانَ،
فانتشروا مع الرملِ المعذّبِ، وارفعوا
الرايات في الآفاق، وامضوا نحو
باديةِ الشآم، فإنَّ فيها جَذوَةً
من روحِ فارسنا الشهيد، وفي
رُباها ينبُتُ السِّدرُ الذي لا
يستطيعُ هجيرُ آبَ المستطير، بأن
ينالَ من اخضرار غصونِه النضراتِ،
في يومٍ من الأيامِ، فانتشروا إلى
كلِّ المضَاربِ، واصرخوا في القفْرِ
هيا يا نشامى...
أبوابنا نهبٌ لغزو الروم، والأمراء

في كل العواصمِ، يُحضرونَ الخزَّ
والديباجَ والفُرشَ الوثيرةَ والسبايا.
أبوابنا نهب، ونحن نَعدُّ للغلمان
أوسمةً، وللندمان أشربةً، وللفقراءِ
أدويةً من السُمِّ الزؤامِ، ولا نسائل
عن أراملَ أو ثكالى أو يتامى
أوطاننا نهبٌ لجيش الرومِ،
والأمراء يستبقونَ كي يأتوا لقيصرَ
بالهدايا...

"٦"

يا أيها الوجهُ الذي يصبو
إلى وجعي ولا يحكي
ويدعوني إلى ولعي ولا يحكي ...
أأحكي مرةً عن أعمقِ الأشجانِ؟
في قلبي لهيبٌ لا يراعيني
وعيناها تصدان اعترافي

وهْيَ تدعوني إلى الكأسِ،
وتدعوني إلى اليأسِ
وحبي، كلما حاولت أن يخفى
أتاني غير خافٍ...
أيها الوجهُ الذي يشرق بالنجوى
ويزهو بالأمان
إنني أحكي عن الأوجاعِ في غير
الأوانْ...

"٧"

لليلِ رهبَتُه
وحراسُ الأميرِ يقلّبون الرملَ
بحثاً عنكَ، والرملُ المعذب لا
يبوح، وأنت منتشرٌ مع الريحِ
المثيرة... غير أن خُطاك لا تقوى،
فتسقطَ بين أيديهم، وتدخلَ حمصَ
مطعوناً، ويتركَ الصعاليكُ

النشامى في قيود الحور
والصفصاف... ينتشرونَ
في عَصَب القبائل.
...عفواً أخا الفلوات لا تفزع،
ولا تُرهبكَ عربدةُ الجلاوزة القُساة،
لأن باديةَ الشآم تموجُ بالدمِ والزلازل
... فالعقْ جراحَكَ، وانتظر
فجرَ الغدِ الآتي، ولا تسأم، لأنّ
قيودك الهرمات سوف تهرُّ حين
تُنَسِّمُ الريحُ الجنوبية...

"٨"

وأنا المطارد
ذاك كافوُرٌ يلاحقني إلى قلب
الجزيرة،
يطلقُ الفرسانَ في أثري إلى
الوادي، ويُغري كلَّ أوباش

القبائل باصطيادي

فلقد أصرَّ بأن أعود إليه في قيد

من الذهب المرصّع، كي يحاورني

على نكران نعمته الأميرية

ولقد أصرَّ بأن يعيدَ إليَّ

رشدي، بعد أن أوغلتُ في

هَوَسي، وأسقيتُ القبائل

خمرة الشهداءِ، واستنفرتُ

أرجالَ الجراد...

ويريدني أن أهجر الفلوات والرملَ

المحبّب، أن أعودَ إلى الحظيرة، معلناً

فشلي، وأن أنسى على الفُرُشِ

الوثيرة كل أوجاعَ الجماهير الغفيرة

ويريدُ صوتي أن يكون مع الدراهمِ

والجواهر في خزينته الحديدية...

وأنا أكابدُ..

ذاك صوتي لا يُعادُ، ولا يُخبَّأُ في

الصناديقِ الصغيرةِ... ذاك صوتي

يعشقُ الآفاقَ والقمم السوامق

والبوادي..

وأنا أجالدُ....

كي أعبّر عن مشاعر لا يحسّ

بها الأمير، ولا يُقدّرها الخليفةُ،

وهْوَ مصمودٌ على دست الخلافة

وأنا أجاهِد...

كي أعمّم في القبائل

ما تحدثني السقيفة،

وهي تشحنني بإكسير الرهافة.

"٩"

وأنا المطاردُ..

حَدَّثوني في العواصم أن في

طرف الجزيرةِ طالباً ثأراً يهددني،

وأن العارَ لا يمحى بغير الدمِ..

إذ إنّي قذفتُ ذمار محصنة،

ولم أمنعْ لساني من حديثٍ يخدشُ

الحرمات... يا للعار هذا فاتكُ

الأسديُّ منتَشرٌ على الآفاق،

منتظرٌ فرسيته الشقية، مقسمٌ

أن يتركَ الطير الجوارح تُشبِعُ

الشهوات من جسدي، ليرضيَ ضبة

العتبيَّ والشرف الرفيع، ويغسل

العارَ الذي لبسوه..

يا للعار ...هذا الفاتكُ الأسدي

ممتدٌ على الآفاق، منتظر لقاءك،

فاعبر الفلواتِ مختفياً، وكن حذرا

لأن لفاتكِ

الأسدي في البيداء أرصاداً من الطيرِ الجوارح

والسعالى...

هذا مصيرُكَ...

فاحذر الأسدي في الغدوات

والرَّوحاتِ، لا تُقبلْ على المجهول،
لا يحميك إنسان ولا جان،
ولا يغنيك ما جمَّعت من حُبِّ القبائل
في حياتك، أو أحرزت من جاه
ومن سلطان

" ١٠ "

عفواً أخا الفلوات، أين تفر،
هذا الفاتكُ الأسديّ منتظرٌ، وكافورٌ
يُؤلبُّ كلّ أوباشِ القبائل في الشآم،
وسيفُ الدولة المضري لم يفهمْ رحيلك.
وَهْوَ إذ يرجو حضورك سوف لا
ينسى خروجك عن إرادته السنية .
عفواً أخا الفلوات، إن العاهلَ العربي،
لم يفهمْ لماذا كنتَ في حلبٍ، وشاء
بأن تكون من البطانة، أن تعيش مع
البطانة، أن تقاتل تحت رايته،

وتنسى عهدك القدسيّ.... أن

تُحيا مع النُّدماء، تبسُم عند

بسمته وتبكي حين يسعل،

أن ترى الغلمان فرسانا، وأن تتجاهل

الفرسان من كلبٍ، ومن بكْرٍ، ومن

قيسٍ، ومن عيلانَ... أن تنسى

لماذا جئتَ،

أو قاتلتَ، أو طوَّفتَ

في العَرَبِ...

... وفي حلب، وفي الأمصارِ،

يُشعِلُ مَحفِلَ الكُهّان نيران الكريهةِ

حولَ قصدك، يطرحون على القبائل

أنك اخترت

الهريبة، حين كان

الروم يقتربون...

.... عفواً إنهم يدرون أن الروم

ينطلقون في حلب، وفي الأمصار،

منصورين، والأمراء ينتظرون

قواد الدمستق في المشارف

بالذبائحِ والخزامى

عفواً أخا الفلوات... هل تحكي

لهم ما رُمْتَ من حلب، وما استهدفت

من أيامك النكدات في الفسطاط،

أو ما رمت من سكناك بادية السماوة؟

أنهم يدرون قصتك القديمة

والجديدة، يعرفون بأنك اخترتَ الرحيلَ إلى حِمى الشهباء منشرحاً،

لتدفعَ عن حِماك الرومَ، لكنَّ

الأميرَ الشهم أوغل في الغواية،

واستوى في عرشه ملكا، وراح

يحارب الأروام بالغلمانِ، لم يركن

إلى الفتيانِ من فرساننا النجبِ،

ولم يبحث عن الفرسان في عبْسٍ

وفي ذبيانَ... إن الفارس المغوار

محكومٌ بدولته، ومحجوز

عن الفقراء بالسلطان...

" ١١ "

وأنا المطارد...
لا أقاتلُ جيشَ قيصرَ بالعلوج،
ولا أواجهُ جيشَ كسرى بالصنوج،
ولا أرى الأمراء قُوّاداً، لأمشي
تحت رايتهم، فلي عهدٌ مع الفقراء
لا أرضى له بدلا، ولي ثقة برايتهم
أحاذرُ أن يزعزعَها سرابُ الوهن
والخذلان...
وأنا المطاردُ
ما رميتُ على الطريقِ حطامَ سيفي
أو تركتُ زِمامَ مهرتي الخضيبة
للرياح
أمشي فتشتعلُ الجراح
أمشي فتندملُ الجراح

وأغذُّ سيري، لا يكلّ على
احتراق الرمل طرفي
وأنا المطاردُ...
هل تعيّرني قريش بالتخفي؟
وبطاحُ مكةَ تعرف الفتيان ،
إن غابو وإن حضروا،
وتعرفُ كيف تعمرهم
أساطيرُ الشهادةِ في الغدوِّ
وفي الرواح...
فقراءُ مكةَ علموني كيف
أنسى في ليالي العصفِ خوفي

"١٢"

لليل وحشتهُ
وبي خلجاتُ نفسي تسألُ النّجمَ
المغرِّب، عن حبيبٍ كان غرَّب،
ثم لم يسألْ ولم يكتبْ ولم يرجعْ

إلى دارٍ بنيناها، ولم
يترك لنا أثراً نلاحقهُ... ظننا أنه يأتي
مع الطير الربيعيّ، أو الطير الخريفي،
أو الطير الشتائي، فلم يأت...
ورحنا نسألُ
الركبان عن عشٍّ
له في غابة أخرى، فلم نعثرْ
على عشٍّ، ورحنا نسأل الركبان عن
عظمٍ وعن ريشٍ، فلم نعثر على
عظم
ولم نعثر على ريش، ترى
هل نخبر الأحبابَ والأصحاب أنَّ
الإلف محكوم بغيبتهِ... وأنَّ
الإلف لن يرجع...
لليل وحشتهُ...
وقلبي لا يؤمل أن يعودَ إلى
الحبيب، ولا يقامر أن يقول

مضى الحبيب...

لليل وحشتهِ

وبي رَعْشٌ شتائيٌّ غريب....

"١٣"

لا تطلبوني باسم ضبة

إن تشاؤوا فاطلبوني

فأنا المطاردُ تعرفُ الفلوات

وجهيَ والعواصم

وأنا المؤمّن لن أساوم...

"١٤"

لليل رهبتهُ

وفي الفسطاط خلفت اليمامة، كان

فرخاها صغيريْن، وكانت في

لياليها أعاصيرٌ ضوار

مسحت على رأسي بكفيها، وأعطتني

بعينيها أعاجيبَ السلامة

واستدارت نحو فرخيْها. وقالت لي

سنبقى بانتظار...

فتذكَرنا إذا حدثتَ أزهارَ البراري

وتذكرنا إذا أشجاك في الفجرِ هديل

لليل رهبتهُ

وقلبي في مجاري الريح سابح

وأنا أراها، وهيَ رابطَةٌ على غصنٍ

تحاصرها الجوارح...

فأصدّ قلبي عن مخاوفه، وأعطيها

على حبي علامة...

"١٥"

تقتلوني باسم ضبةَ

إن تشاؤوا فاقتلوني...

وتحمَّلوا عبءَ الدمِ المهراقِ في غير

القضية ...

وتذكّروا أن الدماءَ هي الدماءُ

وأنني كنت القتيل،

وقاتلي ليس القتيل...

وتذكروا أني رأيت دمي على

قسمات كافور الزرية...

"١٦"

لليل هدأتهُ

وفي طرقِ المدينةِ يخطرُ الفرسان

مزهوّين بالخوذ الحديدية...

يتدافعونَ على المداخلِ، والمنازل

تسألُ المذياعَ عن غزواتِ جيشِ

الروم، في كلِّ المناطق، والمدائن

في بلادي تستريحُ على الهزيمة،

ثم تغمضُ مقلتيها... حين يعلنُ

حاكموها أنهم هزموا الجيوش البربرية

... وأوامر الأستاذ تصدرُ

بالتوغل في المدينة.. فهْوَ مشغولٌ

بكوكبةٍ من الشذاذ تسكنهم أساطير

الشهادة...

... العفو، هذي حكمةُ الأستاذ،

والأستاذ معروفٌ بحكمته، ومشهورٌ

بخبرتهِ، ومحسودٌ بفطنتهِ، فلا

تخشوا على أمن

العشيرة...

لليل هدأتهُ

وكافورٌ يقهقهُ في استراحته، لأن

جنوده الشجعان جاؤوه بكوكبةٍ

من الأسرى... وخصّوهُ بصندوقٍ

به أوراقُ مطلوبٍ يوزّعُ في القبائل

سورة البركان...

لليل هدأتهُ

ورأسي لا يقر على وسادة...

"١٧"

يا أيها الوطن المسافر في الجبالِ،
وفي السهولِ، وفي الهضابِ، وفي
الصحارى...
يا أيها الوطنُ المعزز بالمحيطات
الفسيحةِ والبحار...
طوّفتُ فيك من الطفولةِ غير أني
لم أسافر بعدُ...ذاك النيلُ يدعوني
وتلكَ شوامخُ الأوراس ... هل يمتد
عمري كي أغوصَ إلى منابعكَ السخيّة؟ ...
ودّعتُ دار أبي صغيراً،
وارتحلتُ، وكنت ألقي فيك رغم
شراسة الأمراء عائلتي وداري...
يا أيها الوطن الموزَّع في الخرائط
والمضيع في المصارف، والمقطع في
الجمارك، والمجوع بالجوازات
الكثيرة

---

* الدسكرة: دساكر فارسية: القرية العظيمة، الأرض المستوية، بيوت يكون فيها الشراب والملاهي، بناء كالقصر تكون حواليه بيوت يجمع فيها الشطار.

أبناؤك الأحباب ما زالوا على درب
المحبة يعبرونَ، ويدفعون ضريبة
الشغف الغزيرة..

"١٨"

لليل رهبتهُ
وقلبي سوف يرحلُ في بلادي ...
يا بلادي
أن تكوني
سجناً، فلي منه نصيب أرتضيه
وأن تكوني...
قبراً، فلا أرضى بديلاً عنهُ يوماً،
أو تكوني...
نجوى ففي عصبي، وفي عرق المحبة
في فؤادي....
وأنا المسافرُ فيكِ، لا أرضى الرحيل
إلى سواكِ، ولا أغرِّب عن هواك،

ولا يخامرني الوداعُ...

في القلب نبعُ هوىً... يفور في

المقامِ وفي الرحيل، فلا تجِفِّفُهُ

الرمالُ، ولا يبدِّدهُ اندفاعُ... وأنا المسافرُ فيكَ، أعبر من رُباك

إلى رُباك، فلا أملٌ، ولا أكلٌ، ولا

يفارقني الْتياعُ... وأمرُّ بالخلفاء

والأمراء والتجار، لا ألقي السلام،

ولا أردُّ لهم تحية. يتحرَّق الشهداءُ

في جسدي، ويسكنني الجياعُ...

في القلبِ نبعُ هوى...

وأنتِ هوايَ في جوعي وفي عطشي،

وأنتِ الشاعريةُ في شجوني...

ما شئتِ كوني...

إني أريدك أن تكوني

سلوى لكلِّ المتعبين،

وواحةَ المهجِ الشقيّة...

ما شئتِ كوني .....

يا بلادي...

إن قلبي لا يوزَّع أو يروَّع
أو يميلُ ...
ولا تضيِّعهُ الرياحُ السافياتُ
عن السبيل...

" ١٩ "

عفواً أخا الفلوات، لا تأخذك
لحظتكُ الشجيّة...
فالنيلُ يحمل سرَّهُ الأزلي للمدنِ
الكبيرة والدساكرُ والفيافي...
والنيلُ يطلقُ خُضرة الرملِ المعذب
لا يراوغ أو يجافي...
والنيلُ يأخذهُ انقباض،
ثم يأخذهُ اتساعُ
لكنه يجري بصدقٍ لا يخلّ به
انقطاع...
عفواً أخا الفلواتِ والجفناتِ لا ترسم
على شفتيك آثار الجفاف...

للنيل عادتهُ
وقلبيَ لا تغيِّرهُ الرياحُ الموسمية،
فإذا تخاذل متعبونَ على الطريق
وخلَّفوك بغير زادِ
فاصبر قليلاً إن سِرْبَكَ سوف
يأتي من مضاربَ لا تغادرها
الحمية..
إن الصراعَ هو الصراع
وأنا أصارع لو عصتْ قدم، ولو
كلّت ذراع...
والنيلُ يعرف وجهه البحريّ، مهما
غيّر الرملُ القوافي..
والنيل لا ينسى، ولا يلهيه عن
عطشي الضياع...
عفواً أخا الفلواتِ... جيشُ الروم
في الأبواب، والغلمان يغتسلون،
والأمراءُ، حين تكالبَ الغازون،
خلّونا بلا مالٍ، ولا جندٍ،
وأعطونا إشاراتِ الفرار
وأنا يلاعبني السرابُ، فلا أجيب،

وأشربُ الكأسَ المجرب حين يتعبني،
فتنكشفُ الأحابيل الخفية...
ويبين لي دربُ اللقاء،
على الرمالِ الجاهلية.
للنيل عادتهُ
ونيلي لا يشت ولا يراعُ
ولا يكفُّ عن المسيل.

" ٢٠ "

للصبح طلعتهُ
وقلبي لا يملُّ من الرحيل...
وأنا المسافر....
في دمي زخمُ العواصفِ والزلازل
والصهيل...
لم يبقَ عندي مستحيل...
الزادُ من جسدي وفي قلبي الدليل
ما أجملَ السفرَ الطويل ...!

فيتنام ٢٠-٢٧/١١/١٩٧٩

# [9]

## وداعُ بوذا

"وقفة على نهرِ الميكونج"

"١"

حَدّثنا الراوي يوماً عَن نَهْر الميكُونج
وقَالَ لَنا:
إنَّ الأعشابَ البَريّة صارَت
أزْهاراً وَردية .
والرّاوي لم يَعرفْ نَهرَ الميكونجِ
ولَمْ يَشْهَدْ كَيفَ يَسيرُ حَزيناً،
والراوي لمْ يَشهَدْ كيفَ يفيضُ
البَامْبو والمَوْزُ الأخضَرُ والأشْجارُ
السِّحرية،
فالراوي مشغولٌ بالأخبارِ وبالقَصَصِ اليومّية

والراوي لا يَعرِفُ أسرارَ الأرضِ
وأسرارَ العُشبِ وأسرارَ الماء...

" ٢ "

هذا نهر الميكونج يَسيرُ رَزيناً
والأزْهارُ الوَردية تنمو في النارِ الوثنية
والبامبو يَنشُر خُضرَتَه في الطينِ
الحامِلِ أسرارَ المَطر المدرار
وأسرارَ الغاباتِ العذراء،
والمَوزُ الأخضَرُ يُعطي للفُقراءِ أمانا،
وأنا أجِري ما بين الخُضرَةِ والماءِ
وما بينَ الطينِ وسرِّ الطين
وبوذا الصامتُ في كلّ الأرجاء

" ٣ "

حدّثنا الراوي يَوماً عن فُقراءِ
الميكونجِ، وقالَ لنا: إن الفقراءَ

اجتمعوا في الدلْتا، واندفعوا
صفاً صفاً نحو المُدُن العاجيّة
واجتازوا أوكارَ التنينِ الرابضِ
في الأشجار الدَهْريّة
والراوي لم يَشرح ما تعنيه الأخبارُ،
ولم يُوضِح كيف تصيرُ المُدُنُ العاجّيةُ
ألعاباً للأطفالِ الفقراء...

" ٤ "

هذا نهرُ الميكونجِ يَسيرُ أميناً
وأنا أبحثُ في الطينِ النابضِ
عن سرِّ الأزهارِ الورديةْ
وأُغني للوطن المسلوبِ، وللأطفالِ
الأسرى في الأريافِ، وفي المدن العاجيّة
وأنادي نهر النيل من الميكونج،
وأدعو أنهارَ بلادي أن تُطلق خُضرتَها
في الرمل اللاهثِ، والأرضِ الناريةِ

والكُثبانِ الصَخريةِ .. في كل الأرجاءِ،
ففي وطني ما زال الفقراءُ حَزانى
والمْوزُ الأخضرُ لم يُعطِ الفقراءَ أمانا
والأشجارُ الدهْرّيةُ ما زالت تحت رمادِ
الصحراء

" ٥ "

هذا نهرُ الميكونجِ ينادي
وأنا أبحث عن سرّ الأزهار الوردية
وأودّع بُوذا الصامت في كلِّ الأرْجاء
هذا نهرُ الميكونجِ يُناديني....

فينتيان ٤/١٢/١٩٧٩

# [10]

# هانوي

" ١ "

تلك بيوت القشّ والبامبو
على جوانبِ الطريق
تغوصُ في التّراب مرةً
ومرّةً تركُضُ في ملاعبِ الأعشاب
ومرةً تَسرحُ في الخَمائلِ الطليقة
ومرّة تجتمِعُ المياهُ في الأبواب
فيلعَبُ البطُّ معَ الأطفالِ في الحديقة
هانوي...

" ٢ "

تلك بيوت القشِّ والبامبو
على جوانبِ الطريق

تفورُ طَوْراً باللِّحى
وتارةً تفورُ بالجدائل الطِّوال
وتارةً يُكنكنُ الرّجالُ والنِساءُ والأطفال
حَولَ كؤوسِ الشاي في المَساء
فتزهرُ العُيون بالحدائقِ الغَنّاء
هانوي...

"٣"

هانوي..
تطلقُ الأحلامَ في العُيونِ
والعزائم الكِبارَ في الخلائقِ
الصغار
وترصُدُ الأنهارَ في اندفاع
هانوي..
وتشربُ الأنهارَ في انقطاعها
وتعرف التنينَ من سوالفِ القرون
وعندما تحرمُها السماءُ من مَسيس الماء

تشربُ من أوجاعها
وتطلقُ العُيون...

" ٤ "

وإلفُها الذي ينسابُ من أبوابها
يجيشُ بالهيامِ تارةً، فيغمُرُ
السهولَ والرُّبى
وتارةً يَجْفو، فيترك الحبيبَ
في تَحرُّقِ الصبا
لكنّه الوفيُّ من قرون
يغيبُ أو يحضُرُ لا يَخون
ويُطلقُ الخُضرةَ من عذابِها

" ٥ "

الله لو رأيتَ
كيف تزهُر الوجوهُ
في مسابحِ الأرزِّ

من طلوع الشمس للمساء

ولو رأيتَ كيف تمنحُ الصدورُ

للبذورِ كلَّ ظلِّها

وكيف تشرب الوجوهُ

كلّ روعة السماء

الله لو رأيتَ كيف توغلُ السيقان

في الترابِ

والأناملُ المجرّبات في قرارِ الماء...

هانوي...

أوائل كانون الأول ١٩٧٩

# [11]

## أنا المودّع

أنـا المُـوَدِّعُ لا غـاوٍ ولا نـزِقُ ... ولا إلـى صـبـواتِ الـعُمـر منطلقُ

وأنتِ أعـرفُ بي من كلِّ من عرفوا ... وأنـتِ أرأفُ إن شـتَّتْ بـيَ الـطُرُقُ

ومـا أنـا مـدعـي عُـذرٍ فـأطرحـه ... ولا أنـا مـدّعـي شـوقٍ فـأختـلِقُ

ولي حكاياتُ شوقٍ عششت بدمي ... ولـيـسَ يـعـرفُـهـا حـبـرٌ ولا ورقُ

أعـيـشُ حُـرقـتـهـا والـعـينُ سـاهـرةٌ ... وحـيـنَ يخطفني السِّـلـوان أحـتـرقُ

"ما لي أكتّم حبّاً قد برى جسدي" ... ويدّعي الحبَّ من خانوا ومن صدقوا

هـذي المـدائـنُ تدعـونـي وتُنكرني ... ويـفـتـحُ الـبـابَ خُـلّانـي فيصطفقُ

وكلُّـهـا مُـدُنـي حـتـى ولـو غَضِـبـوا ... وكـلـهـا وطـنـي حـتـى ولـو حَـنِـقـوا

ولـسـتُ سـائـلَ مـأوىً فـي مرابعها ... ولا قِـرى نَـفَـر من دَمْـعِـهـا شَـرِقـوا

وقد أغادرها سراً

فتسكنني...

لأنها وطني

وقد أزاورُها سراً،

فتحضنني

ونطلق الشوقَ سيّالاً فَيندَفقُ

وحين تَطلبنا الساحاتُ نفترقُ

أمشي ويدفعني

شوقٌ أهدهده

حيناً

وأطلقْهُ حيناً

فينطلقُ...

١٩٨٠/١٢/٢٥

# [12]

## سلاماً يا أبا ناجي

إلى إبراهيم علوش الصغير

كتبت عند وفاة الوالد إبراهيم سالم علوش

(١٩٠٦-١٩٨١)

إبراهيم سالم علوش، ولد سنة ١٩٠٦ في بيرزيت، من قضاء رام الله بفلسطين، فقد أمه صغيراً، تزوج أبوه ثم ما لبث أن فقد أخاه الوحيد. وفقد خلال الحرب العالمية الأولى والده ومعظم أقاربه، ما عدا عمه المهاجر، وابن خاله الضائع الذي عاد فيما بعد، وابنة خال آخر، وخالته وزوج عمه.

عاش مخزونا بالهم والحزن والشعور بالقهر ولقد ولد فقيراً، ومات فقيراً، دخل المدرسة ثلاثة أشهر في حياته، ولكنه كان يقرأ جيداً ويحفظ الكثير من الشعر والزجل والتاريخ كان راوية القرية، وحافظ تواريخها، وعارف حدود أراضيها، وسجل أزجالها، وكان يعمل في تقليم الأشجار وتطعيمها وزراعتها، وبناء السناسل "الجدران" والسقائف.

لم يغادر القرية إلا في فترات محدودة جداً، توفي يوم ٨١/٥/٢٣ في بيرزيت، عن حوالي خمسة وسبعين عاماً، وكان لقبه أبو ناجي، وناجي اسم أخي الأكبر الذي توفي صغيراً، فأخذت اسمه.

# المراثي الأولى

" ١ "

تطيَّر أمسِ
كانت روحه تسهرْ
وكانت عينُه "تكبي"
وفكر كيف يلقاني
فراحَ يُقلّب الدفتر
وأطلقَ ذهنه المَكدودَ
في آثار عنواني
وفكّرَ...
ها هنا "بيزريتُ"
والميلادُ مكتوبٌ على الأحجارِ
والأشجار حولَ الدار
لكنَّ الفتى المفتونَ مدعوٌّ
إلى الأسفار
مُنذُ نعومةِ الأظفارِ

والأسرارُ

تدعُوهُ

فيركضُ في زوابعها

وتشقيهِ

فيسرح في مرابعها...

هنا الميلادُ

لكن الفتى المفتونَ

بالأسرارِ والأخطارِ

همَّ سُرىً

ومر العامُ إثرَ العامِ

لم يظهرْ

***

هنا عمّان

لا أخبارَ من أيلولَ أو

تشرينَ في السبعينَ

فالفرسانُ حطّوا في عمائرها

ولم يَدَعوا الشواهدَ في مقابِرها
فمن يتذكرُ العنوان
يا عمّانُ...
من يتذكر العنوانَ
والفرسانُ يزدحمونَ
والخيل الغربيةُ لا تكفُّ
عن الخوارِ، ودولة السلطانِ
تمحو كل ما كتب "الفدائيون"
يوماً في شوارِعِها
هنا عمّان
لا عنوان

***

هنا بيروتُ
أخبارٌ من الآتينَ والغادينَ
أنّ مجامعَ الأخبارِ قد حَرَمتهُ
والحرمانُ في عُرفِ المجامعِ موصِلٌ
للنار،

والزعّارِ

ينتظرونَ وقعَ خُطاهُ...

لكنَّ الفتى المحرومَ يُفلتُ من

أصابعهم

ويَسرحُ في بلاد اللهِ،

يَنهَلُ من مواجعها

ويَروي من منابعها...

***

هنا وهناكَ

أينَ يكونُ يا مُدُن الهزيمةِ

والكريهةِ خبّريني

***

وراحت روحهُ "تكْبي"

فأرْخَتْ كفُّه الدفْتَر...

"٢"

سلاماً يا أبا ناجي

سلاماً يا أبا ناجي

سلاماً يا أبا ناجي

"٣"

سلاماً أيُّها المشحونُ بالأشعارِ

والأخبارْ

سلاماً أيّها المطحونُ في الأحجارِ

والمسكون بالأشجارِ

والمعجونُ بالتُربة

لماذا تنْشُدُ الغُرْبة

ولم تَتَعلّم الأسفارَ

منذ نعومةِ الأظفار !

***

عرفتُكَ لا ترى أزْكى

مِن النَّسماتِ في "الخربة"

ولا أنقى مِنَ الماءِ الذي يَنْسابُ

من هَضبات عين القوصِ

أو رَبَواتِ عين المَرجْ

ولا أشهى من العنبِ

الذي زرّعتَ

والتينِ الذي رَعْرَعْتَ

والزيت الذي عصَّرتَ

من زيتونك الدهريِّ

في جبّورْ...

ولا "أمرا" من العدساتِ

"والبصلات" والجرجير

والعكّوبِ والزعتَرْ

ولا أحلى من "الشوباش"

حين يُلعلع "الموزر"

ولا أغلى من الصُحبة...

عرفتكَ دائماً تحتَج

فكيف تُرى تُخلِّفُ روعةَ النوّارِ

في أيار

وكيف تُرى "تخلي" الدار؟

وكيف تفارقُ البستانَ
والخلّان
يا مُستودَع الأحزَان
وكيف تُرى عَزَمْتَ سُرىً
على الإبحار في أرجوحةِ الغُرْبَة
وقطَّعتَ الوشائجَ لم تدَعْ منها
ولا شِرْيانْ
أَيحملُ قلبُكَ السلوان
أتقبلُ روحُكَ الغُربة؟

" ٤ "

سرحنا اليومَ في جبور
وكنّا أمس في " الخَلّة "
وقُلنا فلتكُن " طلّة "
على كنزٍ لنا مَهْجور

***

عُروقٌ تَجْبُر المكسور

وأشواقٌ إلى الغلّة

ولكن يا أبا سلمانَ

هاشت هُوشة العُلَّيق

والقُنديل

وراحَ تُرابُها في السيل

ويا خوفي على رِزق الذراري

من هُجوم البُور...

ويا ويْلي من القِلّة

وربّك يا أبا مَنصور

إذا عشْنا

يميناً لن ترى يوماً من الذِّلّة

" ٥ "

غداً إنْ نوّر الحَنّونْ

وحمَّرت الشقائقُ كلَّ ما يَعرى من الوديان

غداً إنْ غرَّد الحسّون

على " التوتات " و " التيناتِ "، و " الجوزاتِ "

و "الخوخاتِ" في البستان

غداً إن أزهَرَ الزَيتون

وأغفت تِلكُمْ الرّبواتِ تحتَ لحافهِ الأخضَر

تُزّينها أكاليل من البلّور

***

غداً إن أثمَرَ الزَيتون

وأعلن مِن علالِيلها

مُناديها

مواعيدَ الجَداد

وراحَ حاديها

يُردِّد تِلكُمُ الأزجْالَ

فوقَ عرائِشِ الزيتون

فهلْ تأتي

وتلقاني على بوّابة البيتِ

وتدعوني إلى فَرْطِ القلائد من أعاليها ... ؟

"٦"

تُرى إن سَحّتِ الأمطار

وهبَّت ريحُها الصَّرْصر

ودوّى رَعدُها

واستأمنَ الغادون والآتون

إلى النارِ التي تزْأر

وحدَّثت العجائزُ عن لياليها

وأخرجتِ الخبايا من خوابيها

فهل ستُقدّم "الحَطبات" للكانون

وهل ستقصُّ للسمّارِ

ما جمَّعتَ من قصصٍ ومن أخبار

لأن كواكِبَ السمّار

ستأتي بيتنا، وتُسائل الكانون

عن أحلى أماسيها...

"٧"

تُرى هل تَجْمع الحنون؟

تُرى هل تقطف الزَعتر

تُرى هل تكتبُ الأخبارَ في الدَفتر

وتُشعْل قَلبَكَ المخزون

بقدحِ شرارة التذكار

"٨"

حنانك يا أبا ناجي

حَنانَك شبّت الدمْعَة

ولم تُسعِف كُهولتيَ التي

فولذت في النيران

ولا أغنَت مواثيقي معَ الأشجان

حنانك إن قلبي بالأسى مخزون

ويكفي أن تمرّ شرارةٌ عن مخْزَن

البارود في جرحي

لكي يتفجّر البركان

حنانك يا أبا ناجي

فقد طعّمتني بالنار،

مُنذُ نعومة الأظفار

وقد علّمتني أن أجعلَ الحَسَراتِ

بُستاني

وأن أتعشَّقَ

الأحجارَ والأشجارَ والأخبارَ

والأشعارَ والتُربَة

وأن أتجرّع الكربة

وقلبي مُوَلعٌ بالنار

مقدودٌ من الصوان

لا يَعنو ولا يُقهَرْ

ولكنَّ الهوى يَسبي

ولا يَتقبَّلُ الأعذارْ ...

" ٩ "

عَتابا يا عتابا يا عتاباي

نُعاتِبُ من إذا شئنا عِتاباي

هَوانا ما عفا عنّا وتاباي

لننسى في منافينا الصِحاب

حِصانك يا أبا ناجي حمَاناي

ولم يَهْجُرْ مع البلوى حماناي
يميناً سوفَ نحميه حماناي
ولو كان الفدِا أغلى الشباب

" ١٠ "

غداً إن نوَّر الحنّون
سنغدو يا أبا ناجي إلى الوديان
ونجمعُ من روائعها
هدايا للصبايا الغِيد

غداً إن فحفحَ الزعتر
وشبّ العِلْتُ والشومر
ونادتنا الشّعاب الغرُّ
سُحنا في مغانيها
وروَّينا الحنايا من منابعها
وقُلنا يا رِفاق العُمر هذا العيد
غداً إن أثمرَ الزيتون

ونادانا مُناديها

هرعنا مِن منافيها

وأطبقنا بأيدينا على الأغصان

غداً سنزوّج العرسانْ

ونمشي بالمشاعل في لياليها

و"نَصْحَجُ" في شوارعها

ونَسرَحُ في مَزَارعها

ونقطْفُ ما تقُدّمه دواليها

"١١"

سلاماً أيُّها الأحجارُ

حين تُسَقْسِقُ النَّبْعة

ويجري الماء في الوديان

سلاماً أيُّها الأشجارُ

حين يزقزقُ الحسّون

ويدعونا إلى السلوان

وعهداً أيُّها الأحبابُ

والخلانُ أن نبقى مُحيّيها
وهذا عَهْدُنا دمْعة
وعهداً أن تظل الدارَ والعنوان
وأن نتعجل الرَجعة

## المراثي الثانية

" ١ "

وأذكرُ أنني ودعتُها يوماً،
وخلّفتُ الأمانةَ في رحاب
الدار تزهرُ...
قلتُ للزيتونِ لا تبخل عليها
باخضرارك...
واسقها من مائك القُدُسيِّ
في كلِّ المواسم..
فهيَ أحوَجُ ما تكونُ إلى
الرِفادةِ

قلتُ للخروبةِ العذراء

ها إني أشرّقُ

فاذكري عهدي

ولا تَدَعي الأمانةَ

في الخماسين اللعينةِ

تسأل الأحباب عن ناري

وتدعوني إلى ردِّ المظالمِ

أنتِ شاهدتي

أطالبُكِ الحضورَ إلى الشهادةِ

يوم لا أقوى على دفع المزاعمِ

فاحرسي سرّي الذي خلّفتُ

في الأحجارِ

والأشجارِ

والعرزالِ والدار العتيقة والكروم...

" ٢ "

واذكر أنني هوّمتُ في

مُدُنِ الرمال

ولم يكُن عندي سوى جُرحي

المفتّحِ

واسْتِعار الشوق

كانَ الجوعُ يُدركُني على رملِ الصفاةِ

وكنتُ في الرملِ المُبرّحِ

أقرأُ الرؤيا

وأسألُ كلَّ سانحةٍ وبارحةٍ

عن اليوم الذي أمَّلتُ

لكنّ الرياحَ تهبُّ، والسّفنُ

التي حمّلتُ ... تمضي في طريق لا

تقودُ إلى مَزارك

آه كم أمّلتُ

كم حاولتُ

كم ساءَلْتُ

لكني اكتشفتُ بأن نجمي

لا يَسيرُ على طريق مناي

بل يمضي إلى سرِّ العواصمِ

قلتُ للرمل المبُرَّح

هاتِ حَدّثني عن الأشواقِ

وافتح لي طريقَ هواي

إني لم أكن برّاً بوعدي

والأمانة ما تزالُ هناك

تُزهِرُ في انتظاري

غير أن الرّمل أرشدني

إلى بئرِ الجماجم

فاندفعت على دروب هوىً مُثيرٍ

واختلطتُ مع الفجيعة والقطيعةِ

والدماء

وقلتُ: إني سوف أرجعُ ذاتَ يومِ

بانتصاركِ

غير أنّي لم أوفَّقْ بعدُ..

ما زالت خُطايَ تغوص في رملِ الجزيرةِ

ما زالت يداياَ

تُحاولان عبورَ قيدٍ من شباك العنكبوت

ولم يَزَلْ ما بيننا بحْرٌ مِن الظلماتِ

لكن الأمانة لم تزل نجمي

ولم تزل العزيمة من حجاركِ

والوليمةُ من حناياي الجريحة

صدقيني ما نسيتُكِ

حين آوتني مقاصيرُ الوفادةِ

أو أضافتني دَواوين العواصمِ

أنتِ شاهدتي

وقائدتي

وقلبي لا يريمُ ولوْ

بَعُدْنا عنْ مزارِك

أو غرقنا في رمالٍ لا تنمُّ عن السبيلِ

ولا تبينُ على الدليل

وها أنا أمشي مع الحُلم

المجنّحِ

لم أبعْ عهدي لأهل النفطِ

أو أنسى الأمانةَ

فهيَ سرّي

بيد أني حينَ أرشدنِي كتاب

الرمل لِلكِلَم الفصيحة

شعَّ في قلبي هوىً بكرٌ

ونادتني رُبىً لم اكتشِفْها بَعدُ

شدّتني قُلوبٌ لم أنادِمْها

فأيقَظني هوى الزيتونِ

في الأرضِ الفسيحة...

واغتراب النخل في أرضِ النخيلِ

فَصِحتُ: إنَّ النصل مربوطٌ على

عُنقِ الذبيحةِ

ثم واصلتُ المسيرةَ

كانَ يَحْدوني هوايَ إلى الملاحم...

آهِ كَم عذّبتُ قلبي بانتظارِكِ

آهِ كَم أوغلتُ

لكنَّ الفتى المفتونَ

مشدودٌ إلى فرحِ الولادة

وهْوَ لا يأتيكِ إلا بانتصاركِ

فافتحي الأبواب للجفنِ المُقرَّحِ

افتحي الأبواب للآتي

بغاركِ

افتحي الأبواب في قلبي

وميضُ الشوق يُزهِرُ

واحضني جُرحي الذي فتّحتُه

للرمل والماءِ المُملَّح

آه يا شوقي إلى الزيتونِ

والدار العتيقة والبراري والكروم

إنّ هوايَ مشدودٌ

إلى المُدُنِ الكسيحةِ

والبراري والصحاري

والروابي والشوامخ

والتخومِ

فزوّديني من جرارك

زوَديني باخضرارِك

واسقني من مائِكِ القدسيِّ
حتى لا أضِلَّ عن السبيلِ
ولا أكِلّ عن السفارِ
لأن قلبي لا يقرُّ، إذا ظللتُ
بلا قرارِك.

"٣"

وأذكُر أنني ودّعته يوماً
وكانت شمسُ نيسان الوضيئة قد
تخطّت قمة العاصور مُسْرِعةً
وذهَّبت الحصائر في زوايا بيتنا
الصاحي على خبر النوى
كانتْ يداه تَفتحانِ مغالِقَ الأحزانِ
كانت مقلتاه تشعشعانِ
وكان يَجْهَد أن يردَّ الدمعَ حين هوى
ويجهد أن يتمتم بالنصيحةِ
ثمّ يُطرقُ، فهو أدرى

بالذي يعنيه إن يتبدّد الأحبابُ

في البيدِ الفسيحةِ...

إن خالَته قَضَتْ، وَوَحيدُها لم

يأتِ من سَفَر

ولم يَظْهرْ على أثر

وقد عادَ الذينَ مَضوا

ولم تجمعْ عليهِ روايةُ الرُكْبانِ

قيل قضى

وقيلَ مضى

فَمَن سَيُعيد أوحَدها الذي ترَكَتْهُ

طِفلاً فاستوى شيخاً مع الأيام في الغيبة

هي الغيبة

وقاطرةُ القطيعةِ لا تردُّ مُسافراً

حتى ولو ظلّ الأحبة في انتظارِ

***

وأذكرُ أنني لم أَبْكِ حينَ

تركتُهُ، وغضونُ جبهته

الحزينةِ كالصخور الصمَّ في الرُّجمانِ

لكنّي احترقتُ جوىً

***

وأذكر أنني ودّعته والدمع في

عينيه يدعوني إلى الأوْبة

ولكنّ النوى

جرّ السفينة في بحار لا تحددُ

وهْوَ لم يَصبر على حُكم النوى

فنوى الركونَ إلى رُكوب الريحِ...

يطلبُ راحةَ النفسِ التي اختزنت

بأحزانٍ كبار

وها هوَ يتركُ الدارَ الصغيرةَ

والهموم ويهجُر الأحزان

ويمضي دونما زادٍ إلى دارٍ بلا عنوان

ويرحل دونَ عنواني

تُرى هل يَعرف الشجَن

الذي خلّاه عندي، حين خلّاني!

# [13]

## وأُغني وجِراحي نازِفة

" ١ "

قلتُ للمهرةِ: ها نحن التقينا من جديد
وبصدري شَغَفُ المهرِ بجولاتٍ كبا
فتعالي نوقظ البيد ونزهو في الغبار
ملأتْ رأسيَ أحلامُ انتصارْ

" ٢ "

وأنا الفارِسُ
أشواقي من البحْرِ
وأزهاري من القفْرِ
وأنفاسي من الجمْرِ
وقلبي

مَنَحَتْهُ الريحُ سِرَّ العاصفة

وحَباهُ البحرَ ما فيهِ من النار وما

في الخبايا من أعاصيرِ اشتياقٍ

للشطوطِ اللاهفة...

فهوَ مشدودٌ إلى البحرِ

ومشدودٌ إلى القفرِ

ومشدودٌ إلى الجَمرِ

ومنذورٌ لدقّات القلوبِ الواجفة

وهْوَ مجبولٌ من المدّ العنيد.

"٣"

إن للبَحْرِ تقاليدَ

وللطيرِ مواعيدَ

وقلبي...

عن تقاليدِ الهوى ليسَ يَحيد

يُطلقُ الحسّون في الصُبحِ الأغاريدَ

وتبقى

في الأراكِ الوُرْقُ دوماً هاتفة
وأنا الفارسُ لي عَهْدي وعَهدي
قائمٌ وَسْطَ السيوفِ الرّاعِفة

" ٤ "

أعرف الشَمسَ التي تُخْسَفُ
والبَدرَ الذي يُكسَفُ
والحُلْمَ الذي يُخطَفُ
والزهرَ الذي تطويه أمواجُ الرمالِ
الزاحفةْ
غير أنّي
أعرفُ الشَمسَ التي تُبْهِرُ
والبَدْرَ الذي يُقمِرُ
والزَهْرَ الذي يُثمِرُ
والحُلْمَ الذي يَرْسُمُ في الصخرِ
تضاريسَ اخضِرارْ
فلماذا حينَ أدعُوها إلى الميدانِ
تَغزوها حِكاياتُ العِثارْ

وهيَ الصَّعبَةُ إذْ تَدْعو الميادينُ
وإذ يزهو المَيامينُ...
وإذْ تزدحمُ الراياتُ في كلِّ صعيد...

" ٥ "

قلتُ للمهرةِ ها نحنُ التقينا بعدَ حين
وانخطفنا في ظلال الشجراتِ الوارفة
فلماذا تَتأبينَ اكتشاف العاصفة
وأنا فارسُك الصَعب الذي لا تجهَلين؟

" ٦ "

إنه قلبي المُدمّى والمُضرّج
كُلما ناداهُ حدّاء الميادينِ توهّج
فتعاليْ ننهل الصَّحوةَ من نَبْعِ الرعودِ
القاصفة
إنني آليتُ ألا أتَفرَّج
ولقد علّمني كأسُ العِثار
كيفُ أنقضُّ على النارِ
وأجتازُ اختلاطاتِ السيوف الجارفة

"٧"

إنني الفارسُ... لم يكبُ الجواد
حينَ نازَلْتُ ولا السيفُ نبا
كاثَرتنا الخيلُ واشتدّ الطِراد
وطغى السيفُ على تِلْك الوهاد
فَتَرجّلتُ على إحدى الرُبى
وتَذكَّرتُ هناكَ ابن زيادْ
وهوَ يلوي الخيلَ عن خوض الغمار
حينَ صاحت بَلَغَ السيلُ الزُبى
هل يقولون فتى الفتيان في الدربِ
كبا؟
فليكُنْ... يكبو عل الرملِ الجواد
ويظلُّ السيفُ سيفاً إن نبا
ويجيءُ البرقُ حيناً خُلّبا
لا تقولي أروعُ الفرسانِ أعياه الجلاد
"صحّ مِني العزمُ والدهرُ أبى"
وأنا الفارسُ لا أرخي القيادْ
وأُغني وجراحي نازفة

١٩٨١/٩/٦

# [14]

## ترى ما تقولُ اليمامَة

" ١ "

أنا واليمامةُ إلفانِ
ما بيننا أمدٌ لا يُحَدُّ
وما بينَنَا خُطوةٌ واحدة
هُنا تَقفُ السروةُ الشاهِدة
هنا كُوّة تصل القلب بالحُلُمِ
المستحيلْ...
ولَكنّها تكتفي بالهديل
وأرضى بِغُدْوَتها الواعِدة

" ٢ "

أنا واليمامةُ إلفانِ

ما بينَنَا حائطٌ لا يحولُ
وقُضبانُ نافذةٍ لا تُحسُّ اختلافَ الفصول
وما بيننا وَلَعٌ لا يُردُّ
ولكنَّها حين تأتي
تَظَلُّ على السَرْوَةِ الشاهدة
ولا تفتحُ القَلبَ في بابِ بيتي
وأدعو
فلا تَقبَلُ الدعوَة البدَوية

"٣"

أصيحُ من الحُجرةِ الساهدة
لماذا تجيء؟
لماذا تُثَوِّر لِي وَلَعي في الصباح
وَتُطلقُ لي وجعي في الظهيرة
وتأوي معي في فراشِ الرّحيل
وتَسكنني في الليالي المَطيرة
تُرى
هل يُحدِّثها حبُّها
أن تُحرّكَ في خَلَدي كلَّ وَعدٍ خبِيئ

" ٤ "

لماذا تُداهمني حينَ تَصْحو الجِراح
فتنكأُ جُرحاً
وتُلهبُ جُرحاً
وتفتحُ بوَّابة الأمل المستحيلِ
وتمضي
وفيمَ تصبُّ الهديلَ
على شجني
وهْيَ تدري بأنّ براكينَه النائمة
ستُطلق أزهارَها الحالمةْ
تُرى
هل يُعذّبها أنني هائمٌ
في رُبى وطَني...

" ٥ "

سألتُ اليمامةَ يوماً
تُرى ما يَقولُ الهديل؟

فقالت: أتيتُ مع الفَجرِ

والفجرُ راح

وعذراً، إذا حانَ وقتُ الرَّحيل...

"٦"

تُرى

ما تقولُ الينابيعُ للطيرِ

إن حطَّ ملهوفها في حُمَيّا الظهيرة؟

تُرى هلْ تقولُ لها:

إن للوصلِ أوقاتَه

ثم تجعل سَلسالَها صَخرةً هامدة

"٧"

هُوَ النَهرُ يَجري

إلى البحرِ يَجْري

إلى الرملِ يجري

ولا يسأل النَخَلَ والسِّدرَ والشِّيحَ عن

موْعدٍ أو زَمان
هُوَ النهرُ يَدْفقُ في كلِّ آن...

"٨"

تُرى ما تقولُ اليمامةُ؟
بي وَلَعي
إن حَللتُ
وبي وجَعي
إن رَحَلْتُ
وبي شَهوتي للرِّهان

"٩"

تُرى
هل تقولُ الينابيعُ للطيرِ
إنْ رفرَفت في سراب الظهيرةِ
فاتَ الأوان؟

# [15]

## وعن الدّم الذي يُزهرُ في كلّ المواسِم

" ١ "

قلتُ: هل تأتي لنا
المهرة بالمُهر الجميل
إننا نَنتَظر النجمَ، فلا
يأتلق النجمُ
ونمشي
في ليالي التيهِ من غير دليل
ها هو الأُفق موشّىً
بالأَماراتِ
وتأتي الريح بالنّوارِ
والأثمارِ
والأخبارِ

والمهرُ الجميل

لم يَزَل حُلماً يُناغينا

وينأى

لم يَزَلْ هاجسنا المُنعِشَ

في ليلِ المفازاتِ الطويل

قلتُ: هل تأتي لنا

المهرةُ بالحُلْم

وتُعطينا مع الفجر الأَمارة

إننا ننتظرُ اليوم الذي يأتي

وندعو الأهل في كلِّ هلال

لاستراق السرِّ من ريح الشمال

غيرَ أنَّ الريحَ تأتينا

فتذكي

كامنَ الأشواق فينا

ثمَّ تدعونا إلى النسيانِ

تُلهينا بأضعاثِ مُحال

وتخلينا على الدرب نناغي
صورة المهر الذي ننشد
والمهرُ خيالْ

" ٢ "

أيّها المهر الذي لم يأتِ
هل تسمعني أدعوكَ
في قلبي اختلاجات لمرآكَ
وفي عيني أحاديثُ لعينيكَ
وفي صدري تباريحُ ثقال
وأنا الآملُ
اشتقاقُ إلى النور الذي تُشعلُ
والبشر الذي تحملُ
والغار الذي يأتي مَعَك

وأنا العاشقُ
صدتني الرياح

حين كابَرْتُ

وألقتني إلى الرمل الذي

يشربُ أنهار الفرح

فتمالكتُ وعاهدت الجراح

أن أرى ذات صباحٍ مَطلعك

وتطلعتُ إلى قوس قُزح

غيرَ أني لم أرَ الطيرَ

ولم أفرحْ بأغصان البشارة

أيها المهر الذي لم يأتِ

إني ما أزالْ

ضارباً في غربة الرملِ

ومشدوداً إلى وهج الرمال

أطرق السمعَ إلى الظلمةِ

حتى أسمعك

"٣"

ما الذي يطلقُ في صدري

براكين هوى

ما الذي يجعلني أشحن كلَّ

الكلمات

بأعاصير من الوجد

وأنهار جوى

وأنا أعبر بحر الظُلُمات؟

أيها الشلالُ

في الجوِّ مَوات

فتدفق

أيها السلسالُ

في الأرض موات

فترقرقْ

وإذا قلتُ ترفق

فتدفق

واعبر الحَرّة فالأرجاء ظمأى...

وتدفق في العروق اليابسات...

آه لو تعرف ما معنى الرحيل
وحكايات الهوى المشتعلة

" ٤ "

قلتُ: للمهرة طالت غربتي
وأنا العاشق تشجيني تراجيع
الصهيلْ ...
فتعالي نملأ الدنيا صليل
إنّ في الميدان أشجانا
وفي الميدان تحنانا
لصيحاتِ الرجال
بعد أن غادره الفرسان
من غير قتال...
وتلهّى بالسيوف القتلة...

قلتُ للمهرة طالت غربتي
فتعالي نبدأ الشوط الطويل..

" ٥ "

آه يا زهر الحقول
ها هو الزيتون في نيسان
والسنبل في شهر الحصاد
ها هو النهر الذي ينسابُ
والفجرُ الذي ينجابُ
والبحرُ الذي يزخر
والزهرُ الذي يبهر
والسرُ الذي يسحرُ
والسحرُ الذي يُنطق
بالشعر الجمادْ

ها هي الخضرة في كل الفصول
آه يا جدب الأعالي والروابي
والسهول

" ٦ "

لا تقولوا

ها هو الموسم يمضي

والحقول البكر لم تعرف براعم

لا تقولوا

حَكم العُقم المواسم

لا تقولوا

ما الذي تعطي البتول

إن فيها شغف الطمي

وأشواق البذار

فاسألوا الزارع عن

سر البوار

" ٧ "

قلتُ للمهرة هذا البرق لاح

من ثنايا الغيم في الأندلسِ

فالمسي صدري الذي

ناشته آلاف الرماح

وانظري:

هذا دمي المنذور من

وجهي يسيل

واعرفي القاتلَ

إن الومضَ أعطاني

تقاسيم القتيل

ها هو النجم على الأفقِ

يميل

ها هو النجم على الدرب هوى

هل رأيتِ الوجه والقامة

والرمحَ الطويل

آه عفواً يا نبيل

إن أصابتنا سهام العَسس

والميادين تنادينا إلى عرسٍ جليل

آه عفواً

إن تلهّى بالسيوف القَتَلة
وانتشى الأوباشُ من خمرِ الجراح
يسرحُ الخفاش في عتمته
عفو الجناح
وتُهاهي في العراء الحجلة

"٨"

آه يا كلّ العواصم
آه لو يسعفني قلبي
فأنسى
لحظةً أو لحظتينِ
آه لو يصمتُ جرحيَ
عن مقاضاتي بدينِ
آه لو يهجرني الحلم
قليلاً
فأنام
ساعةً

أو ساعتينِ

آه لو يعبرني الرعد

لماماً

فأغني بسلامْ

لكِ يا أغلى العواصم

لكِ يا أقسى العواصم

غيرَ أن الجرحَ لا يعفو

وعين الوجدِ لا تغفو

وحلم القلبِ لا يجفو

وقلبي لا يساوم

أغريبٌ أن حضنتُ الجرحَ

جيَّاشاً

وخليت الكوابيسَ

أعاصيرَ

ونغَّمت الأحاسيس

ملاحم

فأنا المجروح لم أوفِ

بديني

وسأوفي

"٩"

عندما نادى المنادي

في "علالي" "بئر زيت"

سقط الفارس في الدرب

طعينا

صمت الزيتون مكسوراً

حزيناً...

وتوشّى بوريْقاتِ الدوالي

كل بيت

فلقد حَدَّثنا الراوي عن الدمّ

الذي يزهر في كلّ المواسم

لا تقولوا

إنني، حين جرعتُ الكأس

لم أبكِ، ففي الكأس دمي

ولقد أوجَعني الكأس وأدمى

فبكيتْ

إن للدمعِ نواميسَ

وللحبِ نواميسَ

وهذي

لوعة الفرقة تأتينا

فتذكي

لهب الحرقة فينا

فلماذا الحرقة فينا

فلماذا نجمع الحزنَ إلى الحزنِ

ونبقي الوجع المرّ دفينا

إن فينا الوجع الموروث من

جيل لجيل

وجراحاً لم تفد فيها مراهم

والمغاوير

يحبون

ويبكون

ويرعون مواثيق الوداد

" ١٠ "

قالت المهرةُ

في البرقِ أمارات

وفي الغيم رعود وسيول

وأنا أسمع ...

في صدري إشارات

وهذا الدمُ يمتد إلى كلِّ الحقول

لا تقل فلنبدأ الشوط

لأنا

قد غدونا

في مدارات الفصول

# [16]

## عن الزّهرِ والنّار

" ١ "

هنا تَتَأجّجُ زهرة

هنا تَتوهجُ نار

وأنتَ المُولَّع بالنارِ والزهرِ

هل تتركُ الزهرَ للنارِ

أم تتركُ النارَ للزهر

أم تجمعُ الزهرَ والنارَ

كي تَتَحرّق...

هوَ الزهرُ في النارِ يورقُ

والنارُ في الزهرِ تُشْرقُ

والوجدُ إن عانقَ الزَهرَ فوّرَ

أو عانق النارَ فاض

فمَنْ يمنعُ الوجدَ أن يتأججَ

إن سقسقت في الحديقة نار؟

ومن يمنعُ الوجدَ أن يتوهجَ

إن أشرقت في الحريقة زهرة؟

ومن يمنع القلبَ أن يقطفَ الزهرَ

أو يخطفَ النارَ

أو يعشقَ المهرة الجامحة؟

" ٢ "

سألتُ الحريقةَ

عن وجَع الروحِ

فاستهجَنت وَهَني

وَدعتني إلى جذَل النارِ

والنارُ في جسدي

فتأكدتُ أن الحريقَة لم تلمسِ الجرحَ

كي تَعرف اللهب الذي يتدفَّق

تُرى هل أقول لها:

أزهر الجمرُ في الصدرِ

حتى غدا القلبُ فوّار نار

وقلبي المُعلَّقُ

يَنشدُّ للزهرِ والنارِ

وهوَ الذي خَبَر الضرّتين...

فَمَن يقنع الريحَ أن تجمعَ التوأمينِ

والنارُ لا تقبل النارَ

بل تَطلب الزهرَ

والزهرُ لا يقبلُ الزهرَ

بل يَطْلب النارَ

والقلبُ يحتضن الجمرَ والزهرَ

والجمرُ كالزهرِ لا يَتَرفَّق

"٣"

وحين سألتُ الحديقةَ

عن زهرةٍ تتوهجُ

أزهرتِ النارَ

وانطلقت في الفضاءِ الحساسينُ

وامتلأت دُورنا بالبنفسج

فقررتُ أن أوقظَ الوعدَ

والوعدُ في الزهرِ والنار

هذي يدي تَلْمس النارَ

أو تلمسُ الزهرَ

هذا دمٌ سالَ

فاختبأ الطيرُ

واختزن الأُفقُ بالبرقِ والرعدِ

سالَ دمي

فَتَلفتُّ

كانت أزاهيرُ تذوي

وتنبتُ أرباضُ عوسج

فَمن يوقف الدمَ

أو يمنع العوسجَ المُتنمّرَ

عن جَذل الزهرِ

أو كبدي...

ليت للنارِ أُذْنا فتسمعُ ...
ها هو الزهرُ يزهرُ في الدمِ
والعوسجُ المتنمر يطلق من
فمه زبداً....
وللنار هسهسةٌ في الرياحِ
ووسوسةٌ في جراحي...

" ٤ "

هُنا تَتألقُ زهرة
هنا تَتَأجج نار
هُنا يَتنمّرُ عوْسج
وأنتَ المولَّعُ بالزهرِ والنارِ
هل تقبلُ العوسجَ المُتنمر
أم تعشقُ النارَ
أم تترك الزهرَ في النارِ
أم تَتَمزقْ ... ؟

" ٥ "

وها أنا أحْضرُ

من أَلقِ الزهرِ جئتُ

ومن أرقِ النارِ جئتُ

ولا شيءَ عندي

سوى وَلَعٌ يَتدفَّق

أمدّ يديّ فأدمى

وأعبر خيطَ دمي طالباً

زهرةَ النارِ

والنارُ والزهرُ يستغربان

فيا ألقَ الجُلنار...

أناديكَ... حينَ تحُط جبالُ

الصقيع...

على كاهليّ

وحينَ يصيرُ النجيعُ حجارة...

أنادي، فيملأُ صوتي المكان

وأدعو فيوقظُ صوتي المدى

وأصمتُ حيناً فيأتي الصدى

أمان، الأمان، الأمان، الأمان

وأهتف من أمِّ قلبي

فيأتي الصَدى

أمان الأمان الأمان

ويعبرني الزهرُ حيناً

وتعبرني النارُ حيناً

وأبقى

يدايَ إلى الوعدِ ممدودتان

وصوتي من البَرقِ والرَعدِ

لا يَتلجْلَج

فَهلْ يسمعُ الزهرُ؟

أو تسمع النارُ؟

هذا هُو البَرْقُ

يُعطي الإشارة...

وها هي سيّدة الريحِ

تَدعو إلى مِهْرجان .

" ٦ "

هُنا الصَوْتُ

يملأ كل المدى

هُنا وهناك الصدى

هُنا الصمتُ يُشعِل كلَّ المكان

هُنا لا يَغيبُ الزَمانْ

فماذا يقولُ الفتى: هل يقولُ

أتيتُ من الزهرِ والنارِ خِلْو الوفاض

والوَجدُ إنْ لامسَ الزهرَ فوّر

أو عانقَ النارَ فاض

أمان الأمان الأمان

هُوَ الليلُ يَغمُرنا بالندى

هي الريحُ تَدعو إلى مِهرجانَ

أمان

الأمان، الأمان، الأمان

"٧"

هُنا تَتَألقُ زهرة
هُنا تَتَرقرقُ نارْ
فهلْ تَجهل النارُ وَجْهَكَ
أو يَجهلُ الزهرُ عينيك
أو يُنكرُ الرَبْع لهفتك الطامحة؟

"٨"

هنا
أفتحُ الجرحَ للزهرِ والنارِ
لا أسألُ الزهْرَ أن يرتوي
ولا أسألُ النارَ أن تَرْعوي
ولا أتَمزّق
هُنا أفتحُ الجُرْحَ
فلينهلِ الزَهرُ
ولتَجْذَلِ النارُ
ولتصْهلِ المهرةُ الجامحة...

٢٢-٢٤كانون الثاني ١٩٨٣

# [17]

## هو النّسرُ طار

إلى ناجي العلي المسافر بريشة أَحدّ من السيف

هُوَ النسرُ طارَ
لا ريشُه خَشِيَ الريحَ
أو ظُفرُه خشي العاصفة
ومِنْ مُدن الرَمْلِ سارَ
إلى مُدُن الثلجِ
في صَدره نُدبةٌ نازفة
وفي قلبه كلُّ حُزنِ الوَطَن
وفي مُقلَتيه
مرايا شجَن...
هُوَ النسرُ طار
وقالَ لكلِّ رفاقِ المُخيَّم

وكلِّ المحبينَ في المُدُن الخائفة

أنا حنْظلة

سَأزرعُ في الثلجِ جُرحي

وأرسُمُ بالريشة الراعفة

على الثَلجِ كلَّ تضاريس هِجْرَتنا

وكلَّ خبايا الرّحيل

وكلَّ عُروق الدّوالي

وكلَّ جذوعِ النَّخيل...

وكلَّ حجار البيوت التي هُدمَت،

والبُيوتِ التي صَمَدَتْ رَغْمَ أنفِ الدخيل...

أنا حَنظلة

سيَبقىالمُخيّمُ ذاكرَتي

وَتبقى المَنارةُ في شط حيفا الدّليل...

هُوَ النسرُ طار

لأنّ ديارَ العُروبةِ أوسَعُ من طَلْعَةِ

الشمسِ...

شامخةٌ بالجبالِ

ومُمتدةٌ بالمتَاهاتِ مَفْتوحةٌ بالصحارى

تنامُ المحيطاتُ دونَ رُباها

وتأوى إلى رَملِها صَبَوات البحارِ

ولكنّ حِزْبَ الخَفافيش فيها...

يَضيقُ بنسرٍ يَطيرُ جَريحاً..

ويَشمخ بالريشةِ الراعفة...

هُوَ النسرُ طارْ ...

وَصاحَ بكلِّ رفاق الرحيل...

هَلُمّ فموْعِدنا قِمّةٌ،

في جِبال الجَليل...

أنا حَنْظلة...

أُغادِرُكُم

لأفتَحَ بوّابَة المُستْحيل...

# [18]

## قصائُد أغادير

## (١٠/١٩/٨٨) - (١١/١٢/٨٩)

البحر

الرمل

الغمامة

المهرة

النخل

الحنونة

الزنبق

# البَحْر

" ١ "

قَلبي مَنْشورٌ في الريحِ
وأشرعَتي مَطْوية
والزورقُ يَمْشي، أو يَنشَدُّ إلى
الصخرةِ، أو يَغْفو فوقَ الغَمْرِ الغَافي
وأنا أبْحثُ في الليل الجافي
عن مِصباحٍ لم تُطفئه الريحُ الغَرْبيّة

" ٢ "

هذا الموجُ الأرعنُ يَلْهو
والأنواءُ تُناكفُ ...
والبَحْرُ المَوارُ يُلاطفُ
أو يَقْسو، أو يَعبَثُ
والوحشةُ تدعوني أن ألقيَ قلْبي
للنوْرسِ... أو للزَبَدِ الطافي

أن أبحَثَ عن ماءٍ صافٍ
ألقي فيهِ وجهي التائهَ في الأمواجِ
البَرّية...

"٣"

قَلْبي مَنشورٌ في الريحِ
وَهذا الموجُ الأرعَنُ يَلهو
فلماذا لا ترفعُ أشرعَتي كفّانِ
ولماذا لا تُومضُ في أفقي عَيْنانِ
لماذا؟

"٤"

هَذا الزَبَدُ الطَافي
يُحْدقُ بالزَوْرَقِ،
والزَورَقُ يَنْحو نَحوَ الشطِّ الصَخْريّ وَوَجْهي
يَبْحَث عن وَجْهي الصافي في الأعماق
والنَوْرسُ يَلْعَبُ بالأشواقِ وبالأحداق...

والريحُ الشرقيّة
تَنْثُر كلَّ الرمْلِ الصَحْراويّ على جُرْحي
قَلبي يَنقبض الآن
قَلْبي يَتَمزَّق
والريحُ الشرقيةُ لا تَترفَّق
قَلْبي يَنقبض الآن
والزَبَدُ الطافي
يُغوي النَوْرَسَ
والزورقُ يَغْرق
قَلبي يَنقبضُ الآنَ
وأشرعَتي ترتَفعُ الآنَ
وجُرْحَي يَشتَعِل الآنَ...

" ٥ "

للبحر مَوْعدُ جَزْرهِ أو مَدّهِ
وأنا مَدَدتُ إليهِ في جَزْرٍ يَدي
فإذا رَجَعتُ إلى الرمالِ، فإنما

أنا عائدٌ لعُبابه في الموعدِ

للبحر مَوعدُ جَزْرِهِ أو مَدّهِ

وَلَه بأن ينسى النوارسَ والزوابعَ

والطيورَ العابرة...

لكن أينسى لَحْظةً

شوقَ الرمالِ المُستجيرةِ مِن لَهيبِ

الهاجرة؟

للبحر مَوْعُده وَلي

مَعَه بشارةُ مِوعدي.

# الرَّمْل

" ١ "

ها هُوَ البَحرُ
يرتفعُ الآنَ
ها هو البحرُ
يَندَفعُ الآنَ
ها هو البحر
يَقتَربُ الآنَ
يَنْجذبُ الآنَ
وأنتَ تَحُثُّ الرّمالَ
بلا مَلل أن تُبادرَ،
لكّنها تَنْزوي

" ٢ "

ها هُو البَحرُ
يرتَفعُ الآنَ

ها هُو البَحرُ

يَندفِعُ الآنَ

لكنّه حينَ يَملَؤني باستفاضَتِه

يَرْتوي

"٣"

ها هُوَ الرَمْلُ

يَنتَشرُ الآنَ

مُنتشِياً

آه يا سَيّدي البَحْرَ

هل تَتَقدّمُ...

لكنّه لا يَردُّ جواباً ولا يَتَقدّم

آهِ يا سيّدي البَحْرَ

هلْ تَتَكلّمُ

لكنه حينَ يَسمعُني يَتَجَهّمُ

والرَمْلُ يَنسابُ في قاعِ رُوحي...

"٤"

آه يا سيّدي البَحرَ
أرجَوكَ أنْ تَتوقف
أدعوكَ أن تَتَلطّفَ
فالرملُ مُنتشر في المسافاتِ
مُستَعِرٌ في جُروحي

" ٥ "

آه يا سيّدي البحرَ
إنْ أنتَ لم تَتَلطفْ
فمنَ يُخرج الرَمْلَ مِنْ قاعِ رُوحي

" ٦ "

ها هُو البَحرُ
يَنْحسِرُ الآنَ
هَا هُوَ الرملُ
يَنتصرُ الآنَ
ها هُو الجُرْحُ يَنفَجُرُ الآن...
يَنْفَجِر الآن...

## الغَمامة

" ١ "

حينَ نادَتْني إلى الحَقلِ الغَمامة
شَحنتْني ببُروقٍ ورُعود
وَدَعَتْني لاكتشاف العاصفة
وأنا القابعُ في شطِّ الوعود
أسأَل البَحرَ عَنِ الوَعدِ
وبَحَري
كُلّما لامَسَ رَمْلي
عادَ للغَمْرِ وخَلاني أمنّي
شَجراتي أنه يوماً يَعود

" ٢ "

آهِ يا بَحْري الذي يُطلِقُ في الأرضِ
الغمام
حَرَقَتْني جَفْوةُ الرَمْلِ

وَأضنَتْني استغاثاتُ الشَجَر
فَمَتى يَهْدِل في الدَوْحِ اليَمام

"٣"

حينَ نادَتْني إلى الحقلَ الغَمامَة
ودَعَتني لاكتشافِ العاصِفة
هَزّني الحُلْمُ
فَأعْلَنتُ عَلى الزيتونِ والرُمّانِ والنَرْجِسِ
والدُّفلى الخَبَرْ
وازدهيتْ ...
غيرَ أنّي، حينَ لبّيتُ نِداءَ العاصِفة
سألتني الشجراتُ اللاهِفةْ
عن بُروقٍ ورُعود
وحِكايات وُعود...
فتلفتُّ يميناً ويساراً...
وبَكيت...
لم تكُنْ قدْ وَصَلتْ بَعْدُ اليَمامة...

# المُهْرة

" ١ "

قُلتُ لِلمُهْرَة الجَامحة
اجمَحي مَا يَشاءُ الغِوى
واسرَحي ما يَشاءُ الهَوى
واتركي الزَنبقات التي لألأتْ في حقول
التوهّج تَنْثُر في القاع أوراقها
فَلَقَد شَرب الرملُ أشواقها
واستباح جِراج القطيعةِ خُضرتها الطافحة
إنها لحظَةُ الصَحْوَة الجَارِحةْ...

" ٢ "

آه يا مُهْرَتي
فَتّحت مَقلتايَ عَلى ظَبيةٍ سارحة
غيرَ أنّ البراري دعَتْني إليها
فغَاب وميضُ البراري...

وغَابَ الطريقُ الذي يَفتَحُ القلبَ
للحلم المُستحيل...
فَمَنْ يُرشِد الحالِمَ المُستَهامَ إلى
دَرْبِهِ
مَن يُعيد الصوى
للطريق التي انقطعت، مَنْ

يُعيد الصوى...؟

"٣"

وأنا الفارِسُ الصَعْبُ ...
أدركَني الرَملُ مِن قَبْلِ أن يَهدُرَ
السيلُ ...
وانكسر الرُمْحُ، مِن قبلِ أن تَصهَلَ
الخيلُ
وانفجرَ الجُرحُ من قَبلِ أن تُوقِظَ
الروحَ عاصفةٌ من وميضِ الرّماح

فاتركيني على رَبْوةٍ في جوار الأقاح
وَدَعيني أداوي الجراحَ التي فجّرتها الجِراح

" ٤ "

آه يا مُهرتي
لِنَقل إنه الحُلُمُ المُستحيلُ الذي
زارَنا فاحتضنّاه، راودنا فَعَشِقناهُ،
لكّنه حين أيقظَنا لم نجدهُ فسِرنا
نُطارِدُه، وهو يجري
نُحاصِرُهُ، وهوَ يَترُكنا حالمين
ويسري
ونسألُهُ مَوعداً في الصباحِ
فيسأل عَنِ نَسوَةِ البارحة
إنّها لحظة الصحوةِ الجارحة
فاتركي الَفارِسَ الصَّعبَ، يُلقي قَصيدته في الرياح

# النَّخْل

" ١ "

أغاديرُ
... رَمْلٌ تَهادى على البحرِ
نخلٌ تَهادى على الرملِ
بوّابة من رَخاءِ النخيلِ
ومَوكِبُ رَملٍ ونخلٍ وخيلٍ إلى
صَخرةٍ في الأعالي...
فَمَنْ يُبلغ البحرَ أني وَصلتُ
ومَن يُبلغ النخلَ أني اشتَعلتُ
ومَنْ يُبلغ الرملَ أني حَمَلْتُ
إليهِ ندى غُربتي وارتِحالي
ومَن يُبلغ القمَم المُستفيضةَ عنْ
شَغَفي واشتعالي؟؟

" ٢ "

أغاديرُ...

هذا أنا في رِمالي
أمُدُّ إلى البحرِ ظِّلي،
فلا يَصِلُ الظلُّ
أُلقي على الرَملِ وَجهي
فلا ينهَض الرملُ
أسعى إلى النخلِ مُحتفلاً...
فَيُدهشُه فَرَحي واحتفالي
فَمَنْ يُبلغ الرملَ والنخلَ والبحرَ
أنّي وَصَلتُ
وأني حمَلْتُ مَعي مِن بَراري الرحيلِ
زُهورَ احتفالي...

"٣"

أغاديرُ..
ريّانة بالربيع
ولمْ يَرْحَل الصَيفُ عَنْها
فكيفَ إذا هلّ نيسانُ

أو حلّ أيّارُ

أو جِئتُها من رُبى "كَفْر قاسمَ"

بالزَنبقاتِ التي أزهَرَتْ في النجيع

وكيفَ إذا امتدّ ظِلّي إلى البحرِ

واحتفل النخلُ بي

واحتَضَنَتْ لهفتي صهوات الجبال

وكيفَ إذا احتَضَنتْ شَغَفي صَبَواتُ

النخيل...

" ٤ "

أغادير..

هَل قُلتُ إني وَصلتُ؟

رُويدَكِ

ماذا يقول النخيلُ؟

وماذا تقولُ الرمالُ التي

حاصَرتني...

وماذا تقولُ الجبالُ التي

حَاصَرتني...

وماذا تَقولُ الجبالُ التي شَغلتني

ولكنّها انشغلت عَن سُؤالي..؟

أغاديرُ...

هل قُلْتُ إني رَحَلتُ

رُويدَكِ...

ماذا يقولُ الأمازيغُ...؟

إنّ اليماماتِ قد عشّشت في

المنازلِ

والبُذورَ التي أرسَلتها جبالُ الجليلِ

قد شرّشت في الحدائقْ

وفتيةَ طارق

يُشيدونَ للنسر مَعْقَلِه في الأعالي

وَيعطونني موعداً في الجليل...

# الحَنّونة

"١"

وَماذا؟

هل هُوَ الرَعْد الخَريفيُّ المُجلجِلُ

أيّها الأشْجارُ

أمْ هذي خُيولُ الوَعدِ

تَصْهَلُ في الفيافي والمَنافي والمَيادينِ؟

أجل هذي وُعودُ الرَعد

أجل هذي خُيولُ الوَعد

وأفتَحُ مُقلَتيَّ... فيَصدعُ وابلٌ مِنْ

بَرقِ تِشرينِ

وبينَ الوَمضِ والوَمضِ

يُفوِّر باطِنُ الأرضِ

بأرتالٍ مِنَ الحَنّونِ

تُزهِرُ في سُهوبِ الرَمْلِ

تدنو من عُروقي العَارياتِ هُنيهةً

وتُحيطُني بجَنائن الأسرار
وبينَ الغَمْض والغَمْض
تَهُبُّ شقائقُ النُعمان نَحْوي كُلُّها،
وَتَطولُ، تَقْربُ، تجمع السيقانَ
في ساقٍ، لتُطلقَ وردةً جبليةً حَمراءْ
وبينَ الوَمْض الوَمْضِ
أراها أرزَةً مرَّة
وأحيانا أراها غابةً مِن أجملِ الحنّون
وحين يشدّني التِّذكار
إلى خَلَواته، وأقلّبُ الصَفَحاتِ مُنهمكاً
أراها واحةً من أعرق الزيتون...
وبينَ الغَمْضِ والغَمْض
أهبُّ، أصيحُ في الفلَوَاتِ
هذا الرعدُ...
هذا البرقُ يُطلِقُ سِرّه الأزَليَّ سرّاً
في شراييني...

" ٢ "

فيا حُلم الفَيافي والمَنافي والبَساتينِ

أنا المزروعُ، مُنذُ وُلدتُ، في بَوّابَةِ الصَحراء
فضُمّيني إلى يُنبوعِك الفَوّارِ
ضُمّيني...
أنا المَعْزولُ في الظَّلْماءِ عن نَخْلي
فَلُمّيني على بَعْضي
ورُدّيني إلى أرضي
وخَلّيني نزيلَ ظِلالكِ الثّرة
أنا المَتروكُ في دوّامة الرَمْلِ
فغَطيني بِكلِّ غُصونِك المُخْضَلَّة الخَضراء

"٣"

وماذا؟
هلْ هُوَ الرَعْدُ الخريفيُّ المُجَلْجِلُ
أيّها الأشْجارْ؟
أجل هذا صَهيلُ الرَّعْد
أجل هذا يَمامُ الوَعْد

وبين الغَمْضِ والغَمْضِ

تصيرُ مظلّتي

وَتَدبُّ في نبضي...

وتُرجعُني إلى أرْضي...

فيا أشجارَ هذا الرَمْلِ...

هذا الرَّعْدُ

هذا البَرْقُ

هذي المُزْنَة الثرّة...

وهذي فتنةُ المفتون

# الزَّنْبق

" ١ "

إنه الزّنْبَقُ...
يدعُوني إلى نَفْسي
ويَدعُوني إلى عُرْسي
ويُعطيني على نفْسي الأمان...
فلماذا لا تُوافيني الحَساسينُ إلى داري
وتَهْديني البَساتينُ
إلى غاري

وأَزهو بانْتصاري... ؟

" ٢ "

أيُّها الزّنْبقُ قدْ طالَ انْتِظاري
وأنا أحْكي عن الأشجانِ
في غَيْرِ الأوان..

فَلِماذا لا أبوحُ الآنَ

عن سرّي

وأحكي

قصّةَ النَّهرِ الذي فاضَ

وأعراسَ الضِّفاف

إنه الزيتونُ في تِشْرينَ

يَرنو للقِطاف

وأنا أدْعو الحساسينَ

إلى داري

وأُدْلي باعترافي

" ٣ "

أيّها الزنبقُ قدْ آن الأوان

فَتَوهَّجْ

# رسالة عاجلة إلى الطروادي الفذّ ..وقائد غُوّار الثقافة ناجي علوش...

## مراد السوداني

**السلام عليك عليّاً رضيّاَ .. مفرداً جمعاً**

**السلام على أبي إبراهيم . .وبعد :**

ربّتما شهر أو يزيد وأنا أدوّر هذه الرسالة حتى أصابني دوار هتّاف، حتَّ قلبي وأورثني غمّة فقلت: "احتمل غمّة البرمكيين". بتعبير الشاعر الراحل عفيفي مطر، وها أنذا أخطّ لك أيها الكبير المُحْتَمِلْ، والعنيد الجسور هذه السطور..لتكون شاهدة في زمن السقوط والارتهان والإقعاء على موائد اللئام..زمن السلام الجنائزي والمثقف المباع ، زمن الردّة والارتداد، وتكالب الأدعياء على الأخضر الماكر..زمن الشَلْف ومَحْضِ السفالات..وتقاسم الجوائز الثقافية مع الأعداء.

*

كنت شبلاً في الانتفاضة الكبرى لعام١٩٨٧ حين قلّبت ما وقع تحت باصِرَتي من سيرتك ومسيرتك.. واليوم أعيد القراءة والدرس فأحسست بالذنب والتقصير تجاه أحد الأسماء الكبرى في بلادنا المؤسس والأمين العام للاتحاد العام للكتاب والصحفيين العام ١٩٧٢، الشاعر والمفكر ناجي علوش.

وقرأت في مذكرات الكاتب نزيه أبو نضال التي سترى النور قريباً، أسماء الأمانة

العامة التي كنت رئيسها، بعضها ذهب شهيداً، وبعضها بقي على قيد جمرة الصبر والمنازلة وبعضها وجد المال فمال وأخاله يخشى ذكر اسمك..

فقد أورثته الإنتهازية داءها العضال فاحتاز غير شقّة في غير بلد ونسي أصحاب الفضل.

وتساءلت: إنّ فلسطين التي منحها الرجال جذوة الروح والجسد تستحق منّا الأفضل..بعد أن عمّ الخذلان حتى طمّ، واستنسر بغاث القوم..وسقط من سقط في الطريق..ولأنّ الوفاء وردتنا الأبقى التي نطوّق بها أعناق الرجال..وكان لا بدّ لنا أن نفيد من تجارب الآباء والرواد المؤسسين لنعبر هذه العتمة ونواصل الطريق رغم قلّة الزاد والعلّيق الجرّاح والعَلَق النّهاب..

لابدّ أن نغترف من قُرَاح الفعل المجيد وقولة الحق الصّداحة حتى يكون الزمن أكثر احتمالاً. وحتى نعلّم أبناءنا أن الوفاء فريضة وأن للرجال علينا حقّاً، أن نتّبع خطاهم من أجل العالية الشاهدة الشهيدة فلسطين، وأن نجعل أسماءهم الثقافية الكبرى في صدر منهاجنا الذي غفل عن الكثير منهم لجهل أو لموقف أو لتمويل...الخ

وفي ظلّ الواقعية السياسية الخائبة..باتت هلوسة قتل الأب سياقاً. تحديداً في المشهد الثقافي..حيث وجد البعض في التنكّر للآباء أسلوبهم الأجل !! وفي إهالة التراب على السادة الكبار ومشروعهم المعرفي طريقة مثلى للصعود إلى قمة الوهم والهوان ولتحقيق ذات عاجزة عن مطاولة جبال البلقان. ولأنها فلسطين الأنقى والأبقى فهي لا ترضى سوى بالجدير والحقيقي، الذي تليق به ويليق بها..وأنت أيها الشاعر والمفكر والمناضل الجمع، واحد من الذين خُلِقوا ليعطوا، ولم تمدَّ يدك، بل مددت قدمك..لأنه آن لأبي حنيفة أن يمدّ قدمه، في ظل من ينسى أو يتناسى..فقد

استطعت وبحق أن تكون مثقفاً جسوراً لا يؤجرّ قلمه ولا قلبه إلاّ للبلاد..فَحُسْتَ في غربة غريبة، وحزنت وبكيت وجعت وظلمت وبقيت تطلق حتى اللحظة: بالدم نكتب لفلسطين..فقد صارت شعاراً منذ العام ١٩٧٢، وحتى اللحظة..وها نحن أبناؤك في الأرض المحتلة نقول: سيأتي من يحمل الدرع ثانية والرمح كذلك ولن تسقط الراية، لأن ثمة من يأتي ليتابع الخطى، خطى الشهداء والشهداء الأحياء..وعلى الرغم من أن بعض المثقفين والكثير منهم في بلادنا المحتلة تمت بَرْدَخَتُهم، بالترهيب تارة وبالترغيب تارة وبأموال ومشارط المانحين وإل( NGO،s) دام فضلها على مؤسساتنا ومثقفينا؟!! والكتابة وفق مزاج المحرّر الذي تحتضن صحيفته رثّ الكلام وما داهن من القول – فإنّ البلاد بخير والمقولة بخير . .كيف لا وأنت قائد حرب غُوّار الثقافة بامتياز..والبادئ أكرم.

*

## الأستاذ العميم ناجي علّوش ..

يومياً في الطريق من قريتي دير السودان مروراً ببيرزيت وما بينهما من حاجز احتلالي لئيم، أتذكّر ناجي علوش وكمال ناصر .. وقد طلبت شخصياً من بلدية بيرزيت أن نعمل معاً لوضع تمثال للشهيد كمال ناصر..ومنذ سبع سنوات ما زال الوعد وعداً..

فالشهداء سيعودون هذا الأسبوع .. وكل لحظة..لكنهم سينكروننا يا أبا إبراهيم لأننا وجدنا التجارة بالذهب والدم فتاجرنا.. وبات وطننا "وطن المجاعة والفراغ" بتعبير الباقي حسين البرغوثي.

أمّا عن مكتبتك التي تبرعت بها لجامعة بيرزيت فإننا ومنذ خمس سنوات ننتظر الموافقة على أن ينقلوها للبلاد. لم تفهم الموظفة المكتبية البائسة أن هذه المكتبة من حق أجيالنا .. وقد تبرع بها ناجي علوش وهي رأسماله الباقي من أجل أبنائنا .. ولكننا سنحضرها إن شاء الله وننفذ الوعد. يكفيك فخراً أن اسمك مازال يرجّ المدى..

فهذا دليل صدق وحقّ .. فالقلّة العارفة هي التي تصنع التاريخ وتغيّره كذلك .. والمثقف النقدي هو الذي يحرس الحلم ويبقى بعد انهيار ما تبقّى لكم..والمثقف الكفء هو رأس الحربة المقاتلة وهو الوازن الأكيد في ظلّ اختلال الموازين وانقلاب المعايير وتشويه الحقائق والإنكار المدان.

## العزيز العالي ناجي علوش..

" ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين " . (صدق الله العظيم)

فهذه ضريبة الصدق في القول..وضريبة المثقف الكفء الذي يأبى أن يقف على باب السياسي..وهذه ضريبة هذه الفلسطين التي تقودنا من قلوبنا نحو حقيقتها الباذخة..وهذه ضريبة الالتصاق بالفقراء والجماهير والانحياز لروحهم الوسيعة.

*

لقد كتبت هذه الرسالة العاجلة بعد تأزيم لافح ومرّ..وقد قرأت مقالتك عن الشهيد القائد (أبو داوود).. وبكيت، نعم لأن الرجال يذهبون دون وصيّة أو وداع..كما

يرحل الطروادیون على محفّة الماء..حيث تتعالى أجسادهم نيراناً ووهجاً يفضح العتمة والإنكسار..وكلّما دهمنا الليل تفهق أفعالهم البيضاء فينكسر الحزن والويل والسقوط.

عزاؤنا أن تجارب الرجال ستبقى هادياً للأجيال القادمة التي ستخلق ظرفها ومساحتها حتماً وباقتدار .. لنركِزَ علم البلاد على سفوحنا المحرّرة بسواعد البطولة..قل متى هو، قل عسى أن يكون قريبا.

## الكبير الجميل ناجي علوش...

ماء كثير جرى تحت النهر وفوقه وعلى حفافيه..أصدقك القول أن الثقافة اليوم في الأرض المحتلة صنفان: ثقافة تخلّت عن كل شيء في كل شيء لتحصل على ما يجود به المانحون وأذرعهم واستطالاتهم..فيكون مالٌ وترجمات واستضافات وتطبيع، لتفتح الثقافة رجليها لتضع قدماً بأقصى المشرّقين وقدماً بأقصى المغرّبين، هؤلاء تهيأ لهم الفضاءات والمنابر الصفراء..ولكنّهم غثاء كغثاء السيل، يلفظهم شعبنا ويشير إليهم بإصبع الإتهام.

أما الصنف الآخر فهوهو باقٍ كزيتوننا المحارب.. على الرغم من أنياب الجوع والحصار والمحو والإلغاء .. إلاّ أنه يغني لفلسطين ويقولها سرّاً وجهراً.. لقد صار غريباً في أيامنا أن نقول فلسطين!! ولا بدّ من توخي الحذر حتى لا يظنّ المثقف الحُمُورِيّ أننا مازلنا نعيش في عالم آخر وفي حلم مختلف ؟!

ولا تحزن أيها الكبير لعدم تلقف دور النشر في بلادنا لمشروعك العالي.. ففي

بلادنا محمد يرث وأحمد لا يرث.. وستأتي اللحظة التي يكتشف المثقف وغيره أنه تخلّى عن دوره ومسؤوليته..

سندافع عن الثقافة والمثقف بالقول والفعل لأنّ " الأمة التي لا يوجد بها مثقفون كبار لا يوجد بها سياسيون كبار "، على حدّ تعبير الشهيد الفادي صدام حسين.. وفلسطين أنبتت الشجر العالي الذي لا يرضى بسماء أقل..ودورنا أن نعمم مشروعهم الكتابي ليكون بين يدي الأجيال..

**العزيز الحرّ ناجي علوش..**

طوبى لك وأنت تجسّد البلاد مقولة عالية وعناداً مقدّساً.

طوبى لك وأنت تحرس أرواحنا من الانكسار والسقوط في اللحظة.

طوبى لك وأنت ترفع الكلام إلى آخره حتى تندحر الظلمة وتتراجع أسدافها.

طوبى لك وأنت تعانق جوز بيرزيت والخلّة والرجوم وحقول الزيتون ونبع الماء كطير شريد.

طوبى لك وأنت تعلي قنطرة النزال والمواجهة مع العدو وتمنح الأجيال سناكي الأقلام، لتبقى "الكلمة البندقية" بوصلة المثقف حتى التحرير الناجز.

طوبى لك وأنت تعيش مع أبناء شعبك ملحمة الصبر الفلسطيني والمنازلة الهادرة.

طوبى لك وأنت تجوع ولم تبع صوتك في مزاد وبقيت على عهد الشهادة والشهداء

نقياً بهياً كنجمة الصبح، غنياً عن العالمين.

طوبى لك وأنت الحقيقي الجدير بالثقة والتقدير.

طوبى لك حتى ترضى..

فنحن على طريق فلسطين نزرع الأمل وننحاز للفرح والحياة ونطوّق أعناق الأبطال بالبنفسج البرّي وشقائق النعمان، وننتصر..

وإلى لقاء قريب ...

فلسطين المحتلة

٢٠١٠/١/١

# الفهرس


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| تقديم: وليد أبو بكر | ٥ |
| بورتريه الشاعر الفارس:موسى علوش | ١٥ |
| **المجموعة الأولى** | |
| يا طريق الجراح | ٣٥ |
| مقدمة | ٣٧ |
| لنا الساحل | ٣٩ |
| في الميدان | ٤١ |
| قذارة الارض | ٤٤ |
| نحن | ٤٧ |
| صمت فلم يسمح | ٥٠ |
| اعصفي يا رياح | ٥٢ |
| هولاكو الجديد | ٥٤ |
| مواكب الأجيال | ٦٠ |
| ملايين | ٦٥ |
| الأسطوره القدسية | ٦٩ |
| أغنية الخلود | ٧٣ |
| النرجسة البريئة | ٧٧ |
| بغداد ثوري | ٨٠ |
| موكب التاريخ | ٨٤ |
| بطولاتنا | ٨٩ |
| حكاية كبيرة | ٩٦ |
| يا طريق الجراح | ٩٩ |
| لا تسأليني | ١٠٤ |
| هو الشعب | ١٠٧ |
| أمس في بغداد | ١٠٩ |
| أغنية للصامدين | ١١٤ |
| الفرار | ١١٩ |
| تحية الوداع | ١٢٦ |
| يا رفاقي | ١٢٩ |
| القرى والجرذان | ١٣٤ |
| تموز الذي مر بالأمس | ١٣٩ |
| شجرة الأسرار | ١٤٨ |

**المجموعة الثانية**

هدية صغيرة ١٥١
هدية صغيرة ١٥٥
سدوم اللعينة ١٦١
دفقة المطر ١٦٥
الغريب ١٦٩
الينابيع ١٧٥
أزار التين ١٧٩
طريق المدنية ١٨٣
على شواطئ المدينة الخراب ١٩٠
كلمات ومحبة ١٩٦
الفجر الجميل ١٩٩
أشواق كبار ٢٠٢
سيدة البستان ٢٠٦
السراج ٢١٢
البيت ٢١٣
المتفرج ٢١٤
الرحيل ٢١٥
الغول ٢١٩
العاصفة المداهمة ٢٢٢
الطائر الغريب ٢٢٧
بغير دار ٢٣٠
الغرفة الكئيبة ٢٣٤
باب الزاهرة ٢٣٦
النرجس البري ٢٣٨
الزنبقة ٢٣٩
القمباز العتيق ٢٤٠
الشمس والأشجار ٢٤٢
الكوكب الصغير ٢٤٣
الراية ٢٤٤

**المجموعة الثالثة**

النوافذ التي تفتحها البنادق ٢٤٥
مقدمة ٢٤٩
عبد الرحمن ٢٦٠
باب المحبة ٢٦٢
المجد للمقاتلين ٢٦٥
تشلا ٢٦٧
وهج البنادق ٢٦٩
هدية العيد ٢٧١

لن تخرجونا ٢٧٣
النوافذ التي تفتحها القنابل ٢٧٥
الطواويس والمطر ٢٧٦
الجذور الظمآنة ٢٧٨
النبع ٢٨٠
النرجسة ٢٨٢
سيل الحياة جارف ٢٨٤
رفيقة الفداء ٢٨٧
السترة الكاكية ٢٨٩
في طريق الى العرقوب ٢٩٣
ذكريات أيام عمان السوداء ٢٩٦
القاهرة ٣٠١
ماذا أقول لك ٣٠٤
لم ينته النضال بعد ٣٠٧
جزيرة الأحلام ٣١٠
زرعنا في ثرى الوحدات اخوتنا ٣١١
أقسمت يا عمان ٣١٣

**المجموعة الرابعة**

جسور الأشواق ٣١٥
هذا أنا في النار ٣١٩
الغائب الآتي ٣٢١
فارس الفرسان ٣٢٥
جسور الأشواق ٣٧٣
بيروت تولد في العاصفة ٣٣٦
صامداً سأظل ٣٤٥
أنا المنفي ٣٥٤
لا نجفو كمال يجفون ٣٥٥
أقول لسيد الأحباب ٣٥٧
ويا وطني ٣٥٨
أبحث عن وهجي ٣٦٠
وداعاً أخي موسى ٣٦٢
زيارة في الثلج إلى قبر أمي ٣٦٤
العودة ٣٧٠
الجسر ٣٧٢
حين ينقطع النبع ٣٧٨
الدمعات التى خبأتها العيون ٣٨٦
الطارق المنذور ٣٩٣
على الشاطئ ٤٠٣

**المجموعة الخامسة**

الزهر والنار ٤١٣
تقديم ٤١٥
يزهر الدم ٤١٦
هذا سري ٤١٩
الحلم المستحيل ٤٢٢
عن الانتظار ٤٢٦
المهرة ٤٣٧
البحر ٤٤٠
دعوة الريح ٤٤٣
محاورة مع أبي الطيب ٤٤٦
وداع بوذا ٤٧٤
هانوي ٤٧٨
انا المودع ٤٨٢
سلاماً يا أبا ناجي ٤٨٤
وأغني وجراحي نازفة ٥٠٩
ترى ما تقول اليمامة ٥١٥
وعن الدم الذي يزهر في كل المواسم ٥١٩
عن الزهر والنار ٥٣٣
هو النسر طار ٥٤٢

**قصائد أغادير** **٥٤٥**

البحر ٥٤٦
الرمل ٥٥٠
الغمامة ٥٥٣
المهرة ٥٥٥
النخل ٥٥٨
الحنونة ٥٦٢
الزنبق ٥٦٦
مراد السوداني: رسالة عاجلة ٥٦٩

ناجي علّوش سادنُ الفكرة الجَمْرة، قائدُ غُوارِ الثقافة اشتداداً وامتداداً في المشهد الثقافي الفلسطيني والعربي.

حالة استثنائية، مفردٌ جَمْع، ونموذج للمثقف الندِّ والفارس المذخَّر بقولة الجبل والعناد. ثابتٌ على الثابت، صنو الغفاريِّ أبي ذرّ. متقشِّفٌ حدَّ الفقر، غنيٌّ بقلبه وقلمه الحرّ، لم يكُ ظلاً لابن أنثى، ولم يقف على باب أَحدْ، ولم يختطف لقمة من فم أَحَدْ.

مقاتلٌ فذّ، سياقُه الجسارة والفعل المقدّس، أنعم من دمعة وأَحدُّ من الحدّ.

نصُّه نصلُ المنازلة، وقلبه جنّة للفراشات والخيل، وسادته من غبار المعارك. ابتعد ولم يَغِبْ، وها هو يعودُ إلى جذره الوهّاج والتراب المعافى، نتسع بعطائه ونستدرك اعترافاً بفضائله الوارفة، فهو المؤسس وغارس أغصان الوعد والعهد نحو هذه الفلسطين الشهيدة الشاهدة.

نرفع الوفاء لقامته العالية وبذْله المجيد. ونعلي مقولته الأكيدة: «بالدم نكتب لفلسطين». وننتصر...

اللَّهم قد بلّغتْ... اللَّهم فاشهد.

مراد السوداني

فلسطين المحتلة

٦ آذار ٢٠١٢